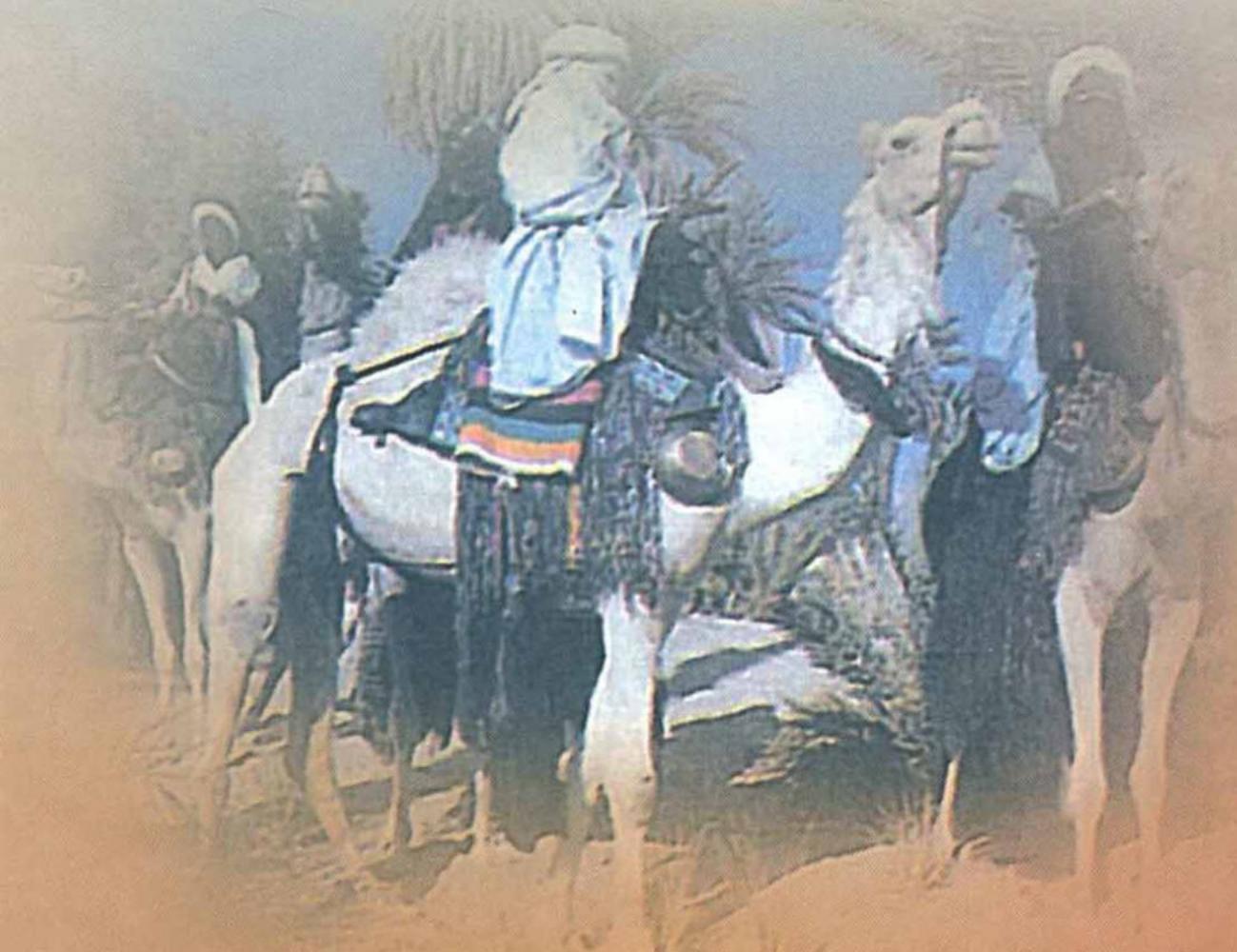


د. محمد سعيد القشاط

# عرب الصحراء الكبرى التوارق





الْمَوْلَدُ النَّبِيِّ



الدكتور محمد عبد القساط

# النواوف

عرب الصحراء الكبرى

مركز دراسات وابحاث  
شؤون الصحراء

**الطبعة الثانية**

**1989**

الله رب

إِلَّا وَلِيَسْبِقُ  
الَّذِي سَعَىٰ سَعْيًا بِالصُّرُكَ  
حَلَّهُ يَكْمِلُ الظَّرْفَ الَّذِي بَدَأَهُ

د. محمد سعيد العقاد



## مدخل

أذكر في حديثي وبالتحديد في عام 1949 وأنا بالسنة الأولى الابتدائية أن قدمت سيدتان إلى المجتمع الذي نسكته بالبادية في سهل الجفارة وهما تعزفان على آلة مصنوعة من الجلد المربوط على قدر من العود، وقد شُدّت على واجهته عصا قصيرة ربط فيها قضيب من شعر ذيل الفرس، وتدعى كانها بقضيب آخر ربطة في طرف قوس خشبي. وتتصدر هذه الآلة نغماً جميلاً يتردد مع غناء النسوة فتشعر وكأنه إنسان آخر له حنجرة جميلة يردد مع المغنيات. وقيل لي أن هاتين المرأةين من قبائل التوارق جاءتا من الصحراء تطلبان الصدقة بهذه الآلة.

وكان إعجابي بهذا الصوت منقطع النظير بحيث صرت أتبعهما إلى الخيم المجاورة لأسمع اللحن والغناء. ولا زال جمال ذلك الصوت يرن في أذني حتى هذه اللحظة. ومرت السنون والأيام ولم أكن أدرك أن ذلك الاعجاب سيكبر معه ليصبح إعجاباً بالتوارق وعاداتهم وتقاليدهم وفروسيتهم وشهامتهم.

وقدر الله لي أن ساقني بالتجاه هذه القبائل في معظم سنِّ عمري وعملني فيما إن تخرجت من معهد المعلمين حتى وجدت نفسي مدرساً في منطقة غدامس التي يسكنها التوارق ويعيشون في الصحراء التي حولها.

إنسجمت مع التوارق في منطقة درج حيث تسكن قبيلة منغستان، وتشاء الصدف أيضاً أن ألتقي بإحدى تينك المرأةين وأصبحت صديقاً لزوجها وهو من كبار مجاهدي التوارق.

عاملني أفراد هذه القبيلة وكانتني أحد أفرادها. وتعلمت الكثير من عاداتهم وشاهدت أفراحهم وأتراحهم. كما تعلمت أيضاً حروف (التيفناغ) والكثير من المفردات النارقية.

كما كانت فترة بقائي بتلك المنطقة ثلاثة أعوام كاملة ، كفيلة بأن تجعلني أتعرف على الكثير من رجالهم وشبابهم ويحدثوني عن أمورهم ما أكبر منها وما صغر. من عادات الزواج والأعراس حيث كنت أسمع معهم ، إلى العاب الشباب والشابات التي يحدثوني عنها. إلى ألعاب الأطفال التي كنت أشاهدها في خياراتهم قرب القرى والمدن.

رأيت مكانة المرأة في المجتمع التقليدي. كما شاهدت تصرفات صغارهم في حضور الكبار. ووقار كبارهم في المجالس حيث كانت تعقد كل مساء.

رأيت مكانة (الأمغار) واحترام الجميع لها. كما رأيت وجوم الشباب في مجالس الكبار.

رأيتهم عندما يفرحون وينطلقون في الرقص. ورأيتهم عندما يصمتون في لحظة الاستئذان (للأمغار).

رأيتهم عندما يفقدون عزيزاً وكيف لا يفارقهم وقارهم كما رأيتهم عندما يفقدون غير عزيز وكيف يتصرفون.

مجموعات لا يسيطرها الغنى ولا يذهبها الفقر. لهم طقوسهم الخاصة بهم في صحرائهم لا يمزق براعع تلك الطقوس ممزق. اتخذوا من الصحراء غموضهم وصمتهم وتأملهم، وإذا ما أنسوا إليك عاملوك كما يعاملون أولادهم.

ثلاثة أعوام كاملة ظننتها هي الفترة التي شاء الله لي أن أحياها بين التوارق غير أن المقادير لها في شؤوننا رأي وأي رأي.

فيما أن قامت ثورة الفاتح من سبتمبر في ليبيا حتى وجدت نفسي مكلفاً بالاهتمام ودراسة منطقة الصحراء الكبرى وأصبحت في «أغسطس» 1972 مربياً للصحراء. أكتشف مجاهلها وأقطع فيافيها وأدرس كنهها. أقف على شاطيء المحيط الأطلسي تارة. وأنطلق شرقاً إلى الحدود الليبية. قاطعاً موريتانيا شهلاً وجنوباً. جاعلاً من محيط الساقية الحمراء منطلقاً نحو شنقيط وجبل كيدال. وصحراء الأثير. مطلعاً على متجمعتاتبدو الصحراء ساكناً إليهم. آوي إليهم كلما وجدت نفسي في هذه الصحراء. متخدأً منهم أهلاً عوضاً عن أهلي ومن بيوتهم خياماً عوضاً عن خيامي في سهل الخفارة بليبيا.

استقبلني العرب في م المجتمعاتهم واحببتهم لدرجة أنني عندما كنت مفارقاً لهم عائداً إلى ليبيا توصيني نساؤهم وأطفالهم ويوصيني رجالهم (لا تطأنا) أي لا تتأخر وتطول غيبتك عنا.

استقبلني التوارق في خيالاتهم بضمتهم الفلسفى ووقاربهم الرذين معتبريني إبناً من أبنائهم . ورجلًا يقاسي الشدائد من أجلهم . ويسعى للنهوض بهم والاطلاع على ما غمض من شؤونهم . فبادلوني حباً بحب وتقديرًا بتقدير . وفتحوا لي صدورهم كما فتحوا لي خيالهم وصارحوني بمميزاتهم الخيرة وغير الخيرة . وكانوا يسردون على مسامعي عيوبهم وهم يضحكون .

لقد أتفنت عاداتهم لدرجة أن صرت لا يميزني عنهم واتقنلت لباسهم حتى صرت أتفن العمامه واللثام أكثر من كثير من شباب التوارق . كما صرت أمتلك الجمل المهرى وأفقرت عليه كمياً يقفزون واتعامل معه كما يتعاملون . حافي القدمين . ضيق اللثام معتمد القامة في مقعد الراحلة أمسك الخزام بيد والسوط باليد الأخرى . إذا رأيتى والمهرى يسابق الريح وأنا في مجموعة من التوارق لا يمكن أن تميزنى أو تفصلنى عنهم . أخرب الخبر وانضجه في الرمل المحمى . (تاجلاً) وأصطاد الصيد وانضجه على الأحجار المحارة أو جمر الطلح . وأمسح يدي في رقبة جمل وأواصل الطريق .

إن نيفاً وثلاثين سنة من معاشرة التوارق والتنقل بين م المجتمعاتهم والاجماع برجالمهم وشبيههم من مختلف الطبقات جعلني - دون أدنى شك - من القلائل الذين يتحدثون عن التوارق بمعرفة ، خاصة وأنني لم أقتصر على المعرفة المرئية والمشاهدة . بل اطلعت على ما كتبه الآخرون وخاصة الفرنسيون وهالئي منه الكثير من المغالطات والمبالغات التي كتب بها هؤلاء الكتاب . بعضهم لقلة التجربة وبعضهم لعدم معرفته بالتوارق . وبعضهم لمرض في نفسه وغرض يريده أن يغرسه في ذهن القاريء المحايد .

إن قلة من الكتاب هم الذين لامسوا حقيقة التوارق - أما أولئك الذين يكتبون عن التوارق وكأنهم عالم من العوالم المجهولة لخلوقات غير معروفة فأولئك لا داعي لمناقشتهم أصلًا .

كنت لسنوات مضت - وكلها اطلعت على كتاب في موضوع التوارق ، أمي النفس

بإعداد كتاب عن التوارق أتناول فيه هذا المجتمع الصحراوي. بخирه وشره. عاداته وتقاليده. أفراحه وأتراحه. أدابه وأشعاره . رقصه وموسيقاه. تاريخه القديم وال الحديث. جهاده ضد الاستعمار وحربه ضد نفسه. انتصاراته ضد الآخرين وانتصارات الغير عليه. مساهمته في التاريخ الإسلامي الكبير. مساهمته في الفتوحات في مناطق المغرب العربي والأندلس. دوره في الجهاد في إفريقيا. وفي نشر الإسلام في أدغال إفريقيا. مساهمته في الاقتصاد الصحراوي وسيطرته على طرق القوافل لزمن طويل. تنقله شمالي وجنوبياً غازياً أو متاجراً.

غير أنني في كل مرة أوجل ذلك لانشغالي بأشياء أخرى. ولأنني إذا أردت كتاباً أكاديمياً فلا بد لي من التفرغ لجمع مصادر مكتوبة ومحفوظة. وأخرى شفافية.

وظللت أنوي وأحجم إلى أن شجعتي مشكورة جامعة «بودابست» التي وافقت على موضوع رسالتي في دكتوراه دولة (عن التوارق) فنشط في نفسي ما كان كاسلاً. وانتشرت همي واندفعت بجمجمة موضوعات هذا الكتاب. من الأصدقاء التوارق ومن كتابات الآخرين. ومن خطوطات تارقية وغير تارقية كتبها كتاب من منطقة الصحراء الكبرى احتوتها مكتبتي على مر السنين الماضية. ومن ذاكرتي التي اخترت الكثير عن المجتمع التارقي.

قمت بجمع هذا الكتاب. وقسمته إلى أحد عشر باباً تحتوي على المواضيع التالية:

**الباب الأول:** يتناول نسبهم، موطنهم، لغتهم، وكتابتهم.

**الباب الثاني:** ويتناول النظام السياسي عند التوارق.

**الباب الثالث:** ويحتوي على الحياة الاجتماعية في المجتمع التارقي. (الطبقات الاجتماعية).

**الباب الرابع:** الحياة الاقتصادية عند التوارق. وسيطرتهم على طرق القوافل.

**الباب الخامس:** عادات التوارق وتقاليدهم .

**الباب السادس:** أ - الطبق الشعبي عند التوارق .

ب - الفأل والتقطير عند التوارق .

**الباب السابع: أ - الأدب والرقص والموسيقى عند التوارق.**

**ب - العابهم الشعبية.**

**الباب الثامن: ويحتوي على دور التوارق في التاريخ الإسلامي حركة المرابطين (المثميين).**

**الباب التاسع: ويتناول: التوارق ودورهم في صد الاستعمار الحديث. انفاضات التوارق ضد الفرنسيين.**

**الباب العاشر: ويتناول: مشاهير التوارق في التاريخ.**

**الباب الحادي عشر: ويتناول: التوارق والاستقلالات الحديثة. حاضرهم السياسي والاجتماعي.**

ثم ذيلته بخاتمة حاولت أن الخص فيها موضوع الكتاب والنتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي هذا.

وأنا إذ أقدم هذه الدراسة التي تفتقر إليها المكتبة العربية - ولا شك - فلا أدعي أنني قدّمت عملاً بلغ الكمال. ولكنني أستطيع أن أقول إن هذا العمل هو أقرب عمل إلى واقع التوارق وتاريخهم كُتب عنهم حتى الآن لأنه ولأول مرة يسمع صوت التوارق في تاريخهم وواقعهم إذ إنني كتبت هذا البحث من أنواههم ومن مجتمعاتهم. وبين قبائلهم التي تحوّلت بينها منذ أكثر من ربع قرن من الزمن.

**هذا وأرجو من الله العون والهدية.**

**د. محمد سعيد القشاط**



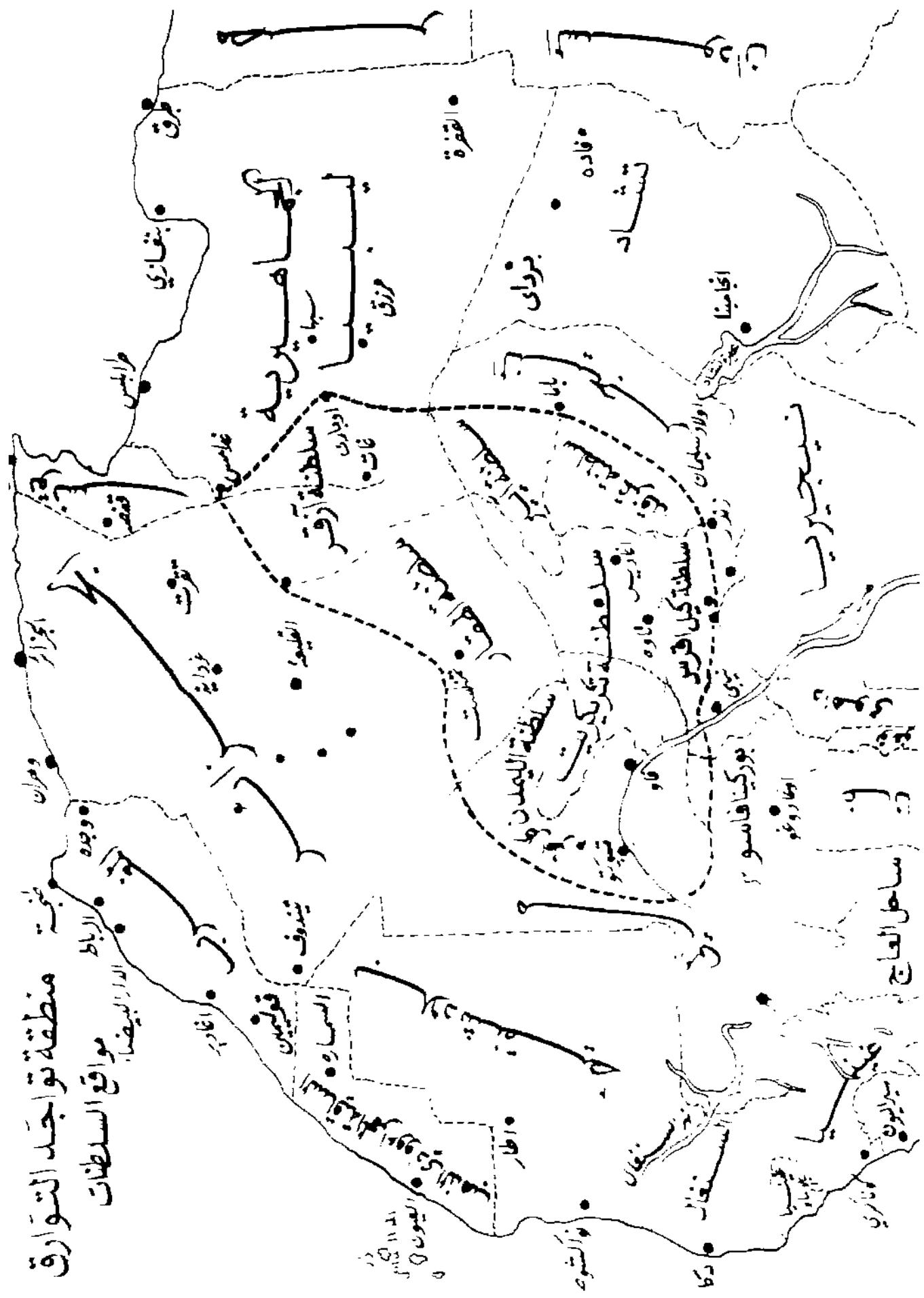
الحروف التارقية (التافيناغ) أو الفينيقية (اللبيبة القدمية)

العربية	التارقية	العربية	التارقية
أ ب ت ج ح خ د ز ن ط ظ	ل ل ع	ن م ص غ ب ع ف ق ش و	ي و
ج ح خ د ز ن ط ظ ظ ظ	ل ل ع	ن م ص غ ب ع ف ق ش و	ي و
أ ب ت ج ح خ د ز ن ط ظ	ل ل ع	ن م ص غ ب ع ف ق ش و	ي و
أ ب ت ج ح خ د ز ن ط ظ	ل ل ع	ن م ص غ ب ع ف ق ش و	ي و

## الباب الأول

مولئنهم بنيسبهم  
لغنائم كلاماتهم

الإمام  
موقع السلاطين





## موطنهم

ينتشر التوارق في الصحراء الكبرى ما بين حدود جمهورية مالي الشهالية الغربية مع موريتانيا إلى حدود السودان مروراً بشمال مالي وشمال النيجر وشمال تشاد وجنوب غربي ليبيا وجنوب شرقى الجزائر.

كما تنتشر مجموعات منهم ببوركينا فاسو ونيجيريا ونستطيع أن نقول إن وسط الصحراء الكبرى من مدينة غدامس ودرج في ليبيا وأوباري وغات. إلى تمنغست بالجزائر وجانت وتيمباوين وبرج المختار على الحدود مع مالي. إلى تينبكتو بالي وإلى طاوه بالنيجر، وانقيمقى على بحيرة تشاد، وابشه في شرق تشاد، تناثر قبائل التوارق في هذه الصحراء وتتفاوت بين الكثرة والقلة حسب تواجدها يجمعها الزي شبه الموحد: القميص الفضفاض والسروال الواسع والحزاء العريض المصنوع من جلد البعير والعمامه الكبيرة ذات اللثام الضيق حتى أصبح هذا اللثام علماً على التوارق فأسماهم العرب (الماثمون).

ويقول الأستاذ محمد عبد الرحمن عبد اللطيف وهو من مثقفي توارق النيجر: «ويكون موطن التوارق من الواحات والوديان التي تشق جبال تاسيلي (غات - جانت) والمحقار (تمنغست) وأمير (أقدز) وأصياغ (كيدال) إلا أن الجزء الأكبر من التوارق يعيش في منطقة السهول والمراعي الفسيحة التي تسمى باسم (أزواوغ) الممتدة من أعلى نهر السنغال غرباً إلى بحيرة تشاد شرقاً ومن أطراف المناطق الرملية إلى غابات السافانا جنوباً»<sup>(١)</sup>.

ولم يكن هذا موطن التوارق الأصلي. فلقد تردد التوارق من الشمال إلى الجنوب موغلين في الصحراء إما هرباً من الجيوش التي كانت تهاجم الشمال (الرومان - الوندال -

(١) - الطوارق شعب الصحراء الكبرى. محمد عبد الرحمن عبد اللطيف. من ٤ ، مخطوط مكتبة المؤلف.

البرتغال - الأسبان - الفرنسيون) وذلك هو وبأ بحريتهم . وإنما اندفاعاً نحو افريقيا لنشر الإسلام والاستيلاء على الملك والسيطرة عليها .

وهكذا ترك التوارق موطنهم في الشمال موجلين في الجنوب تاركين آثارهم . وأسماءهم حتى الآن تطلق على عدة مناطق في الشمال . بل وفي أقصى الشمال . ففي ليبيا لا زلت نجد الكثير من القرى تحمل أسماء تارقية مما يدل على أن التوارق كانوا يسكنون هنا منذ زمن متفاوت في القدم .

فنحن نجد مدينة (أورفله) وهي إحدى المدن التي تبعد عن طرابلس بحوالي 180 مائة وثمانين كيلومتراً وتسكنها قبيلة عربية كبيرة .

هذا الاسم هو اسم تارقي ومعناه (المكان المرتفع) أو المكان الذي يقع (فوق) وأهالي أورفله حتى هذه اللحظة يطلقون على قسم منهم اسم (ال فوقين ) لوقوعهم على جانب الوادي المرتفع .

كما نجد إسم (تغرين) وهي بلدة الزنتان وتسكنها الأن قبيلة عربية كبيرة . فهذا الاسم تارقي . ومعناه (القرى) أي مجموعة القرى . وفعلاً بلدة الزنتان توجد بها مجموعة من القرى القديمة أو القصور القديمة .

ورقدالين : وهي قرية ساحلية قرب مدينة زوارة و معناها بالtarقية الوادي الأخضر .

كما نجد أسماء كثيرة تارقية أمثال : تغرنة . وهي بلدة بغريان . وتغسات وطمزيين . والتي معناها الشعير . وكذلك (سوف الجين) وهو واد مشهور بمنطقةبني وليد ومعناها (وادي الجن) . وكثير من الأسماء التي تدل على وجود التوارق في فترة من فترات التاريخ في هذه المناطق كتاورغان وهي مدينة شرقى مصراته و معناها الساقية (تارقا) .

ويقول الأستاذ محمد أحمد الشفيع من توارق النيجر عن قبيلة تدعى (آيت أواري) بمنطقة طاوه بوسط النيجر : «إن تجميع بعض الروايات الشعبية المتعلقة بتاريخ قبيلة (آيت أواري) قبيلة طارقية كبيرة و معروفة في محافظة (طاوا) النيجر يعطينا معلومات طريفة ومهمة فيها نحن بصدده و سنقوم بذلك فيما يلي :

١ - يتكون إسم هذه القبيلة من جزئين :

آيت: معناه في الطارقية أبناء فنقول (آيت آدم) أبناء آدم أبو البشر.

أوواي: - يقول أبناء هذه القبيلة أنه اسم جبل بالشمال كان موطنهم الأصلي القديم . ومنه نزحوا منذ عصور قديمة جداً حتى استقروا في مواطنهم الحالية في النيجر (قد تناسوا تحديد موقع هذا الجبل وهم يتذكرون فقط إنه ببلاد الشمال) ، ومن المحتمل أن يكون هذا الجبل هو المعروف باسم جبل (الهواري) فاسم القبيلة إذن يعني أبناء أواري .

2 - يتكلّم أبناء هذه القبيلة لهجة طارقية خاصة تسمى (شن - سرت) أي التي تُنسب إلى سرت . وبهذه المناسبة نذكر أن البكري قد ذكر أنه كان يوجد بمدينة سرت قبيلة بربرية تتكلّم لهجة تختلف عن لهجات القبائل الأخرى .

3 - كان هناك شخص اسمه (مللن) من مجموعات (إدفافات) أي العتقاء . وهم الذين كانوا في الأصل عبيداً ولكن أسيادهم اعتقوهم فأصبحوا (أحراراً) وقد عرفته شخصياً وتوفي في السنوات الأخيرة قال: إن قبيلة (آيت - أواري) المذكورة قد تنازعـت مع قبيلة أخرى مجاورة اسمها (اماـلـلـنـ) أيـتها يـتبعـ الشـخـصـ المـذـكـورـ (مللن) أيـتها يـنـبغـيـ أنـ يـسـجـلـ رـسـمـيـاـ فيـ الـدـيـوـانـ . وأثناء التحكيم بين القبيلتين في هذا النزاع صرـحـ (مللن) أنـ قـبـيلـةـ (آيت - أواري) عندما هاجـرـتـ منـ (ودـانـ) كانـ أـجـدادـهـ منـهاـ وـمـنـ اـتـابـعـهاـ .

والغريب أنه في السنوات التي وقعت فيها هذه القصة الطريفة لا يعرف هؤلاء البدو أين تقع (ودان) ولم يسمعوا بأن هناك مدينة في ليبيا تسمى بهذا الاسم بل لم يسمعوا بوجود ليبيا نفسها . وإنما كان اسم هذه المدينة راسخاً في ذاكرة أبناء هذه القبيلة يتوارثونه في قصصهم كعوطن قديم جداً لهم .

4 - إن هذه القبيلة جداً مشهوراً عاش في أوائل القرن الثامن عشر إسمه (الفاروق) ويلقب (واو) تماماً كما ينطق اسم المنطقة المعروفة في جنوب ليبيا .

5 - يقول شيخ هذه القبيلة إنهم قبل أن يستقروا في مناطقهم الحالية بمحافظة (طاوا) بالنيجر كانوا قد سكنوا منطقة جبال (أمير) شمال النيجر أيضاً .

ومن المعروف أن قبائل الطوارق القاطنة بمناطق الأمير المذكورة وعاصمتها (إقدز)

لهم علاقات وثيقة بطارق فزان في الجنوب الليبي . . . »<sup>(1)</sup>.

لقد أوردنا هذه القصة التي أوردها الاستاذ محمد أحمد الشفيع وهو من توارق النيجر على لسان أشخاص من قبيلة (آيت أواري). وهواري هذا جبل بمنطقة القرفة وبجانبه جبل أصغر منه يسمى (المويوري) بالتصغير لا شك أن القبيلة المذكورة كانت تقطن هذه المنطقة. خاصة وأن منطقة (واو) بالقرب من القرفة التي قد يكون جدهم مدفوناً بها وهذا سُميّت باسمه.

### نسبهم

يقول ابن خلدون عن الملثمين:

« هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون المواطنون بالقرف وراء الرمال الصحراوية بالجنوب أبعدوا في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أنها فأصحرروا عن الأزياf ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها واعتاصوا عنها بالبان الأنعام واللحوومها انتباذاً عن العمران واستثناساً بالانفراد وتوحشاً بالعز عن الغلبة والقهر فنزلوا من ريف الحبشه جواراً وصاروا ما بين بلاد البربر وببلاد السودان حجزاً واحتذوا اللشام خطاماً تميزوا بشعاره بين الأمم، وعفوا في تلك البلاد وكثروا وتعددت قبائلهم من كذا له. ولتونه. فمسوفه. فوتريكه. فناوكا. فرغواوه. ثم لم طه أخوه صنهاجة كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس من قبيلة طرابلس وبرقة . . »<sup>(2)</sup>.

ويقول ابن خلدون نفسه في المصدر نفسه عن صنهاجه التي ينسب إليها التوارق.

« . . ولا خلاف بين نسبة العرب أن شعوب البربر الذين قدمنا ذكرهم كلهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة فإن بين نسبة العرب خلافاً والمشهور أنهم من اليمنية. وأن افريقياً لما غزا افريقياً أنزلهم بها . . »<sup>(3)</sup>.

(1) - محمد أحمد الشفيع / مقالات عن الطوارق. من 11 - 12 - 13 . غطاء مكتبة المؤلف.

(2) - تاريخ ابن خلدون / المجلد السادس. من 370 - 371 طدار الكتاب اللبناني.

(3) - تاريخ ابن خلدون / المصدر السابق. ص 192 .

« وقال الكلبي أن كنامة وصنهاجة ليستا من قبائل البربر وإنما هما من شعوب اليمانية تركهما افريقيش بن صيفي بافريقية مع من نزل بها من الخامدة . . . »<sup>(1)</sup>

أما عن البربر ومعنى هذا اللفظ فيقول ابن خلدون : « البربر قبائل شتى من حمير ومصر ولقيط والعيلقة وكعنان وقريش تلاقوا بالشام ولغطوا فسماهم افريقيش البربر لكثرة كلامهم <sup>(2)</sup> . وسبب خروجهم عند المسعودي . والطبرى . والسهيلى . أن افريقيش استجاشهم لفتح افريقية وسماهم البربر . وينشدون من شعره :

« بربرت كعنان لما سقتها من أراضي الضنك للعيش الخصيب »

وقال ابن الكلبي : اختلف الناس فيمن أخرج البربر من الشام فقيل داود بالوحى ، مثل (يا داود أخرج البربر من الشام فإنهم جذام الأرض) وقيل يوشع بن نون وقيل افريقيش وقيل بعض ملوك التابعة .

وعند البكري : إن بني إسرائيل أخرجوهم عند مقتل جالوت . وللمسعودي والبكري أنهم فروا بعد موت جالوت إلى المغرب . . . ويفخر الملثمون (لتونة . وصنهاجة) بنسفهم العربي القديم فيقول شاعرهم :

« قوم لهم شرف العلا من حمير وإذا دعوا لتونة فهم هم لما حروا عليه كل فضيلة غلب الحباء عليهم فتلثموا <sup>(3)</sup> »

أما الطبرى فيروى حديث نسبهم بطريقة أخرى فيقول :

« قال الطبرى خرج بر بن قيس ينشد ضالة بأحياء البربر فهو جارية وتزوجها فولدت . وعند غيره من نسبة البربر أنه خرج فاراً من أخيه عمرو بن قيس وفي ذلك تقول تناضر وهي أخته :

« لتبكى كل باكية أخاهما كما أبكى على بر بن قيس »

(1) — تاريخ ابن خلدون / المصدر السابق ص 177 .

(2) — تاريخ ابن خلدون / المصدر السابق ص 184 - 185 .

(3) — محمد يوسف مقلد / موروثاتنا الحديثة ، دار الكتاب اللبناني ص 82 .

ودون لقائه أنضاء عيسى

تحمل من عشيرته فاضحى

وما ينسب إلى تماضر أيضاً:

وطوح بر نفسه حيث يما  
وما كان بر بالحجاز بأعجماء  
بنجد ولم نقسم نهاها وعمنا

وشطت بير داره عن بلادنا  
وازرت بير لكتة أعممية  
كأنا وبرأ لم نقف بجيادنا

وأنشد علماء البربر لعبيدة بن قيس العقيلي:

توقف هداك الله سبل الأطاييف  
ثماناً وهم جد كريم المناصب  
وفي حرمته يشفى غليل المحارب  
علي رغم أعداء لشام المناكب  
وبر لنا ركن منيع المناكب  
وبهذا تقط اهام يوم التضارب  
وفي الفرع من أحبابها والذوائب  
وخبر معد عند حفظ المناسب  
وقيس لها سيف حديد المضارب

الآ أيها الساعي لفرقة بيتنا  
فأقسم أنا والبرابرة آخرة  
أبونا أبوهم قيس عيلان في اللرى  
فنحن وهم ركن منيع وإنحصار  
فانا لبر ما بقي الناس ناصراً  
نعدُ لمن عادى شواده ضمراً  
وبر بن قيس عصبية مصرية  
وقيس قوم الدين في كل بلدة  
وقيس لها المجد الذي يقتدى به

ويينشد أيضاً ليزيد بن خالد مدح البربر:

قيس عيلان بنو العز الأول  
عرف المجد وفي المجد دخل  
وكفانا كل خطب ذي جلل  
ولبر يعتزى قيس الأجل  
جدنا الأكبر فكاك الكبل  
معدن الحق على الخير دلل  
ملكون الأرض بأطراف الأسل

أيها السائل عنا أصلنا  
نحن ما نحسن بنو البر القوى  
وابتنى المجد فأورى زنده  
إن قيساً يعتزى بر لها  
ولنا الفخر بقيس إنه  
إن قيساً قيس عيلان هم  
حسبك البربر قومي إنهم

وبيض تضرب الهمام بها  
أبلغوا البربر عنّي مدحًا  
هام من كان عن الحق نكل  
حبك من جوهر شعر متخل»<sup>(١)</sup>

ولقد التقى بكثير من كبار السن من التوارق في الصحراء فوجدهم ينسبون أنفسهم إلى العرب ويقولون إنهم من حمير جاءوا إلى منطقة شمال الأفريقي بعد خراب سد مارب، وبعضهم تراه يحافظ بشجرة نسبه في جيبيه أو في صندوق متابعه يريكتها كلها دار الحديث عن أنساب التوارق تراه واصلاً نسبه بقرיש أو برسول الله ﷺ. أو بأبيه بكر الصديق أو بعمربن الخطاب وبعضهم يرى أنه من سلالة عقبة بن نافع أو بعض الفاتحين المسلمين لشمال إفريقيا.

هذا في غالبية التوارق، أما الكثير من قبائلهم الحالية فلها أصول عربية قريبة ولذلك:

١ - كل النصار: وهي أحدى قبائل التوارق المقيمة حديثاً بين بني بتو بشمال مالي، وهذه القبيلة تنتمي في أصولها كما يقول مؤرخوها وكبار السن فيها إلى قبيلة (الأنصار) المتواجدة بالمدينة المنورة.

وكل: عند التوارق معناها (أهل).

أنصار: الأنصار ومعناها أهل الأنصار.

ولما سألت بعض كبار السن فيها قالوا إنهم هاجروا من الحجاز أيام فتنة علي ومعاوية هرباً من الفتنة وأنهم اعتزلوها. وأكثر أفراد هذه القبيلة مثقف باللغة العربية والدين والقرآن والأدب. ويتكلمون اللغة العربية الفصحى إلى جانب التارقية.

٢ - إفوغاس: ومعناها (أشعل النار). هذه القبيلة جاء جدها محمد المختار من المغرب وهو شريف عربي ينتهي إلى الحسن بن علي ووصل إلى منطقة الصحراء حيث استقر بها أيام البطش بالهاشميين.

وفي منطقة التوارق تزوج بتارقية. وعلى عادة التوارق (وهي عادة عربية قديمة) أن

(١) - ابن خلدون / المجلد السادس، ص 186 - 187 . المصدر السابق.

الولد يتبع أمه<sup>(1)</sup> أصبح أولاد محمد المختار توارق وهم قبيلة إفوغاس، جزء منها يقيم بمدينة غدامس بليبيا.

3 - ريقناتن: وهي قبيلة كبيرة في منطقة مالي. جاء جدها الأول مع محمد المختار جدّ قبيلة إفوغاس ويقال إنه تلميذه. واستقر معه في المنطقة وتزوج كاستاذه من تارقية. وأصبح أولاده توارق باسم قبيلة ريقناتن.

4 - كل أغلال: وهي قبيلة عربية كبيرة تقيم بمدينة شنقيط الموريتانية. رحل منها فرع إلى النيجر وهناك اخترط بالتوارق بالتصاهر وأصبح تارقياً و(أهل الأغلال) هم من حملة القرآن والثقافة العربية في المنطقة<sup>(2)</sup>.

5 - كل السوق: (أهل السوق) وهي مجموعة من التوارق إلا أن أصلها جاء من برقة بليبيا التي يقول عنها خي بابا شياخ:

«ومن هؤلاء أهل السوق وهي قبيلة عربية من برقة التحقت بالطوارق فأخذت من عاداتهم الشيء الكثير كاللثام واللغة. ولكن أفرادها لا يتكلمون فيما بينهم إلا بالعربية الفصحى حتى في أبسط الأمور وأحقرها ويقتصرون من كلام الطوارق على خطابة غيرهم، وقد ساعدتهم اللسان العربي على التضليل في علوم الشريعة تضليلًا لا يتصور من أهل بلاد منقطعة عن العالم العربي ومراكز تجارة الكتب. وقد رأيت أطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم يتتكلمون فيما بينهم باللغة المعرفة سجية دون تكلف ويضارع هؤلاء في العلم قبيلة الشيوخن وكل انوكندر وسائر العشائر التي اتخذت العلم مهنة. وينضاف إلى هذه العناصر الثلاثة من العرب عنصر رابع من سكان المدن. ونعني به جاليات أتت من المغرب والجزائر وفزان فاتخذت المدن الرئيسية (غاو، وتبكتو، وان يورغن، وتغاروست) مراكز لها تجارية، وكان هذه الجاليات دور كبير في المحافظة على الطابع العربي لهذه المدن والتأثير اجتماعياً على شعب السنغاي حتى أصبحت لغته تتضمن 7 إلى 13% من اللغة العربية..»<sup>(3)</sup>.

(1) - جواد علی: تاريخ العرب قبل الإسلام.

(2) - أحد الأمين الشنقيطي. الوسيط في أدباء شنقيط.

(3) - خي بابا شياخ / ازداد، ص ٦٨، مخطوط مكتبة المؤلف.

٦ - منفستاتن: وأماكن تواجدها درج، واوباري. ويرجع أغوستيني نسبها إلى قبيلة المقارحة العربية.

إلى جانب هذه القبائل التي ذكرتها للدلالة لا للحصر فإن هناك عشرات القبائل الصغيرة الأخرى عربية الأصل واللسان التحتمت حديثاً بالتوارق وأصبحت منهم.

كما أن هناك قبائل أخرى من التوارق امتهنت مع أخرى عربية ولم تعد تنطق باللسان التارقي ونسقت عادات التوارق وتقاليدهم كما لم تعد تتلش كالتوارق وإنما أصبحت كعرب المنطقة يرون باللثام بعد التعيم تحت الحنك وأذكر من هذه القبائل (تكنة) وهي من أكبر قبائل الصحراء وكذلك (تاغانت) حيث مقر قبيلة الأمير يحيى بن عمر أمير المرابطين، أصبحت كلها عربية اللسان بما فيها أحفاد الأمير وقبيلته وغيرهم كثيرون. ويقول الأستاذ محمد أحمد الشفيع:

«وبصفة عامة فإن دراسة الروايات الشعبية الطارقية والمواقع الجغرافية وأسماء القبائل واللامع البشري والعقليات القبلية والعادات المحلية لمختلف القبائل الطارقية القاطنة جنوب الصحراء الكبرى (النيجر - مالي - بروكينا فاسو) تجعلنا نستشعر ونرجع أن هذه القبائل الطارقية علامات تاريخية أوثق بثلاث مناطق من الشمال الأفريقي وهي ليبيا والمغرب الأقصى وموريطانيا»<sup>(١)</sup>.

ولنختم هذا الفصل بقصيدة وجدها خطوطاً للشاعر محمد امبارك اللمنوني - رحمه الله - ومن لقبه يدل على انه من التوارق. يقول: -

امن حافظات الغيب لبنا أم الهرل لها مرتع يرتاده الغس والخبل  
نعم فلها يرعى الغوانى أمانة على أن عقد العزم منهون من حل  
ويحبّين من حب الرجال تكاثرا والأكثر فيهن الدسائس والختل  
وقد ذهبت عنهن جرفه حبهم أراهن كالدهر انقلابا متى تكل  
ومثل جياد الخيل تفقد نخوة فيركبهم الوغد والنكس والن Dell

(١) محمد احمد الشفيع / المصدر السابق. ص ١٤ .

يَبْيَنَا عَلَى أَن لَا تَخْوُنْ مَتَى تَخْلُو  
 لِحْلٌ حِبَالَ الْوَصْلِ مِنْ حِيثَ تَنْحَلُ  
 تَصْسُونَ الْجَهَنَّمَ مِنْهَا إِذَا أَدْبَرَ الْبَعْلُ  
 وَلَا تَعْتَرِي اجْفَانَهَا بَعْدَ الْكَحْلِ  
 وَلَا يَنْبَغِي عَنْهَا تَسْحُّ وَلَا فَصْلُ  
 وَأَيْنَ لَنَا خَلٌّ وَأَيْنَ لَنَا أَهْلٌ  
 يَذْبَّونَ عَنْهُ حِيثَ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ  
 تَنْهَنَّهُ عَنْ تَشْيِيدِهِ الْبَعْضُ وَالْكَلُّ  
 وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِيَانِهِ بَعْدَهُمْ ظَلٌّ  
 أَسَاسُ الْهَدْيٍ إِذَا مَسَهُ الْفَسْعُ وَالْخَلُّ  
 بِلَادُكُمْ فِيهَا الْمَعَاهِدُ وَالسَّبِيلُ  
 وَعِزْتُهُمْ قَدْمًا لَهَا أَثْرٌ يَعْلُو  
 شَهَائِلُ فِيهَا السِّيَاسَةُ وَالْعُقْلُ  
 بِأَيْدِي سَجَابِهَا الشَّجَاعَةُ وَالْبَذَلُ  
 بِأَنَّ الَّذِي يَسْتَبِطُ السِّيدُ الْعَدْلُ  
 إِلَّا أَنَّ أَهْلَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلٌّ  
 عَلَيْهَا كِتَابُ اللَّهِ نَصْ هَمَا تَعْلُو  
 لِقَوْمٍ عَلَى قَوْمٍ بَغَيْرِ التَّقْسِيِّ فَضْلٌ  
 لِلْمُتَّسِّونَ أَصْلٌ لَا يَفْاقِهُ أَصْلٌ  
 وَأَمَّا قَرِيشُ الْمُتَّهِي فِيهِمُ الْفَضْلُ  
 وَتَبَّعَ مِنْهُمْ تَابِعُ الْحَقِّ مِنْ قَبْلٍ  
 وَأَتَى تَرَى الْعُمَى الشَّمْوَسُ الَّتِي تَعْلُو  
 يَسْاعِدُ اطْسُورَا وَآخْرَى لَهُ عَطْلٌ  
 فَطْسُورَا لَهُ أَهْلُ وَطْسُورَا لَهُ أَهْلٌ  
 وَاجْدَادُكُمْ مِنْ بَيْعَةِ الْجَدِّ لَمْ تَخْلُ  
 مِنْ أَنْ يَسْتَرْقُوا أَوْ يَعْمَمُهُمُ الْقَتْلُ

وَرَبٌ فَتَاهَ أَقْسَمَتْ لَخْلِيلَهَا  
 وَمِنْ بَعْدِهِ تَعْتَادُ مَالُو بَدَالَهُ  
 فَهَذَا وَقَدْ تَلْفَى حَصَانٌ بِقَلْلَةِ  
 يَشْقَى عَلَيْهَا أَنْ يَسْبِبَ حَدِيثَهَا  
 فَتَلْكَ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ السُّودُ خَالِصَةً  
 وَأَيْ فَتَاهَ وَصَفَهَا الْيَوْمُ هَكُذا  
 وَأَيْنَ رَجَالٌ بَعْدَ لَمْتَوْنَ لِلْهَدِيِّ  
 فَاصْبَحَ مُنْقَوْضًا الْأَسَاسُ وَبَعْدَهُمْ  
 وَلَمْ تَبْنِ مِنْ بَعْدِ لَمْتَوْنَ دُولَةً  
 أَوْلَئِكَ لَمْتَوْنَ الْأَلَى قَدْ سَما بِهِمْ  
 أَوْلَئِكَ لَمْتَوْنَ الْمَنَالُ بِأَثْرِهِمْ  
 أَوْلَئِكَ لَمْتَوْنَ الْمَدُونُ عَزْهُمْ  
 أَوْلَئِكَ لَمْتَوْنَ الْمَتَّاصلُ فِيهِمْ  
 أَوْلَئِكَ لَمْتَوْنَ الْمَنِيعُ ذَمَارِهِمْ  
 لِلْمُتَّسِّونَ أَنْيَاطُ تَقادِمُ دَأْبِهِمْ  
 وَأَيْنَ لِأَهْلِ اللَّهِ نَصْرٌ وَرَاءِهِمْ  
 هُمْ دُولَةٌ مِيمُونَةٌ قَبْلَ أَنْهَا  
 بِأَيِّ حَدِيثٍ أَمْ بِأَيِّ آيَةٍ  
 وَمِنْ طَالِعِ الْأَنْسَابِ أَيْقَنَ أَنَّهُ  
 إِذَا الْأَصْلُ أَمَا حَمِيرٌ هَامَةُ الْعَرَبِ  
 وَحَمِيرٌ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْهُمْ وَمَالِكٌ  
 فِي عَجَباً وَالْدَّهَرُ جَمٌ عَجَاجِبُ  
 وَالْدَّهَرُ أَيَّامٌ هَنَّ تَقْلِبُ  
 لَهُ دُولَةٌ كَالْمَجْنُونُ تَقْلِبًا  
 وَبِأَيِّ جَلٌ النَّاسُ يَوْسُفُ جَدَنَا  
 وَفَكٌ بَدْفَعَ الرَّوْمَ عَنْهُمْ رَقَابِهِمْ

بِلَمْتُونَ أَحْيَا اللَّهْ نَجَّ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ صَلَاتُ اللَّهِ بِالنُّورِ تَجْنِلُ<sup>(١)</sup>  
عَلَى أَنْسَى مُسْتَاجِرٍ مِنْ جَمِيعِ ذَٰلِيَّةٍ .. الْخَ ..

## تسميتهم بالتوارق

اختلف المؤرخون في تسمية التوارق بهذا الاسم. ولما غاب عنهم مصدر التسمية بدأوا يتکهنون. فمن قائل أن سبب تسميتهم بالتوارك لأنهم تركوا طريق الهدایة. ومن قائل سموا بالطوارق نسبة إلى طرقوهم الصحراء وتوغلهم فيها. ومن قائل أن سبب التسمية هو انتسابهم إلى طارق بن زياد. إلى غير ذلك من التکهنات والاقتراب بالتفسير من مصدر الاسم ومشتقاته. أما الأستاذ محمد عبد الرحمن عبد اللطيف فيقول في تسميتهم بهذا الاسم :

« .. وكان الطوارق يعرفون من بين هذه القبائل في العصور الوسطى باسم (اسجلماسن) ولما انتشر الإسلام واللغة العربية ترجمت هذه الكلمة بمقابلها بالعربية (المليثيون) فأصبحت مصطلحاً يطلق على قبائل البربر في الصحراء الكبرى وذلك للزروهم عادة التلثم ووضع العياثم على رؤوسهم .. ». ويقول الأستاذ محمد عبد الرحمن :

« .. وفي العصور الحديثة ظهر اسم الطوارق وسميت به القبائل التي تسكن منطقة (أزواغ) بجوار ممالك السونغاي والهوسا وقد ذكره كتاب التاريخ باللغة العربية في غرب إفريقيا على هذا الشكل التوارك أو التوارق. ولا يعرف أصل هذه الكلمة ولا كيف بدأ استعمالها لتكون اسمًا يطلق على المليثيين من سكان الصحراء الكبرى ويتحمل أن تكون هذه الكلمة قد اشتقت من اسم الوادي الذي تسكن فيه قبائل المليثيين الفريبية من العاصم المغربية في الشمال وهو وادي (درعه) الواقع جنوبى مراكش الذى يسمى بالطارقية (تاركاً) ومعناه الوادي أو مجرى النهر والسبة إلى (تارك) (تاركاً) وجمعه توارك فأخذت هذه الكلمة من الكتابات الأوروبية التي نقلتها من المراجع العربية في غرب

(1) — هنا نهاية القصيدة وهي ناقصة. وقد أوردناها لأهميتها ولاعتراف التوارق ببناتهم العربى الحميرى القرشى.

(2) — محمد عبد الرحمن عبد اللطيف: الطوارق شعب الصحراء الكبرى، ص ٤ خطوط مكتبة المؤلف.

أفريقيا فكتبت باللغة العربية على شكلها الحالي الطوارق بليدال التاء طاء.

أما قبائل الطوارق فإنها تسمى نفسها (إمازغن) <sup>(1)</sup>.

ومعنى إمازغن كما يرويها الأستاذ محمد عبد الرحمن هي: «... نسبة إلى جدهم (إمازيغ) بن حام بن نوح» <sup>(2)</sup>.

ويستمر الأستاذ محمد عبد الرحمن يقول:

«... ففي خدامس. مرزق. غات. تمنغست. يسمى الطوارق أنفسهم باسم (إيموهاغ) وأصلها (إيموزاغ) جمع أمازيغ. فسكان هذه المناطق ينطقون (هـ) بدل (ز). ففي كيدال وأزواغ الغربي منحني نهر النiger يقولون (إيموشاغ) وأصلها أيضاً إيموزاغ فهم ينطقون الـ (ز) (ش). ففي آير (أقدز) وأزواغ الأوسط. و(أضر) وأزواغ الشرقي يقولون (إيماجفن) أو (إيموجاغ) فهم ينطقون الـ (ز) (ج).

أما إسم الطوارق فلا يعرف إلا المثقفون وال المتعلمون فنادرًا ما يعرف الشخص الأمي من الطوارق الذي لم يتصل بالثقافات العصرية والعالم المخارجي...» <sup>(3)</sup>.

ويقول الأستاذ محمد أحمد الشفيع. وهو من توارق النiger في عنوان فرعى في بحثه عن التوارق كيف يسمى هذا الشعب نفسه؟ «إن هذا الشعب يطلق على نفسه إسم (كليتاجق) كما ينطقه الطوارق في النiger أو (كليتاشق) كما ينطقونه في مالي أو (كليتاهاق) كما ينطقونه في ليبيا والجزائر. فالاختلاف هو في نطق الحرف قبل الأخير من هذه الكلمة حيث ينطق على شكل (ج) في النiger وعلى شكل (ش) في مالي. وعلى شكل (هـ) في ليبيا والجزائر.

وإذا ما حللنا هذه الكلمة نجد أنها تتكون من جزئين كل: أي أهل، أصحاب.

تماجق: ومعناه اللغة الطارقية.

(1) — محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق. ص 7 .

(2) — محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق. ص 6 .

(3) — محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق. ص 8 .

وهذا يعني أن الطوارق يعرفون أنفسهم بأنهم أهل أو أصحاب اللغة الطارقية»<sup>(1)</sup>.

أما عبد القادر جامي فيقول:

«إن كلمة التوارق جمع الكلمة التارقي المفردة، ذلك لأن العرب أطلقوا عليهم اسم التوارق نسبة لقبيلة (تارغا) إحدى قبائل البربر القاطنة في الصحراء الممتدة من المحيط إلى غدامس في القرن التاسع المجري»<sup>(2)</sup>.

أذن يتبع من حديث الأستاذ عبد القادر جامي أن الاسم جاء من اسم قبيلة (تارغا).

أما الأستاذ محمد عبد الرحمن عبد اللطيف فيبين أن الاسم جاء نتيجة لنسبة هذه القبائل للوادي (تارقا) ويرى الأستاذ محمد عبد الرحمن أن هذا الوادي هو وادي درعه. غير أنني أرى أن الاسم جاء فعلاً من اسم الوادي الذي كان مقرًا لهذه القبائل التي انطلقت إلى الجنوب.

وفي الشمال لا نجد أي منطقة تسمى باسم (الوادي) إلا منطقة (وادي الأجال) بجنوب ليبيا (وادي الأمل والحياة) حالياً، حيث لا تزال بقية من التوارق تستقر في منطقة أوباري بالوادي. كما لا تزال الكثير من الأسماء التارقية وكذلك النقوش بالحروف (التيفناغ) والرسومات في الجبال شاهدة على وجود التوارق في هذه المنطقة.

ولهذا أرى أن سبب التسمية هو نسبة لهم (لوادي الأجال) بليبيا وان التوارق هم سكان جنوب ليبيا في فترة من الزمن وأن أغلبهم ليبيون وهذا سموا توارق أي القاطنين بالوادي (تارقا) وهو الاسم التارقي للوادي.

## لغتهم

«الشعب الطارقي شعب مسلم من أصل سامي احتفظ بهويته الحضارية الأصلية

(1) - محمد أحمد الشفيع / مقالات عن الطوارق. نظر ط مكتبة الملف. ص 7 .

(2) - عبد القادر جامي / من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى. ترجمة محمد الأسطل. دار المصانع، ليبيا، ص 162 .

و (التماشك) لغته الوطنية وحروف هذه اللغة تسمى (التافيناغ)<sup>(1)</sup>? تجعل منه أحد الشعوب الأفريقية النادرة التي تملك أبجدية نظيفة يرجع وجودها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد السيد المسيح تقريرياً. كما تشهد على ذلك الكتابات والنقوش التي تمثل الصحراء وأفريقيا الشمالية...».

كما تقول دائرة المعارف:

«بأن (روسلر) المستشرق الألماني يذهب إلى الحد الذي يدخل فيه البربرية في اللغة السامية التي تعتبر العربية فرعاً منها «ونلاحظ في البربرية كما نلاحظ باللغات السامية وجود الحروف الحلقية والعبارات الجزلة»<sup>(2)</sup>.

كما يقرر محروم دائرة المعارف نفسها «بأن اللغة البربرية في استعمالها الحالي هي امتداد لصيغة اللغة العربية»<sup>(3)</sup>.

ويقول الأستاذ عثمان السعدي:

«ومن المؤرخين اللغوبن من يرد البربرية إلى أصول فينيقية مثل غوستاف لوبيون الذي يقول:

«أن لغة البربر العرقية في القدم. يحتمل أن تكون مشتقة من الفينيقية<sup>(4)</sup>، ومن الغريب أنه إذا حللنا الأبجدية التي يستعملها التوارق اكتشفنا الوجهة في رأي لوبيون هذا.. فالرأي السائد لدى الكثير من الباحثين أن الأبجدية التي يسميها التوارق (التافيناغ) استعاروها من الأبجدية الفينيقية»<sup>(5)</sup>.

فلغة التوارق التي يسمونها (تماشك) أو (تمامشاك) هي إحدى اللهجات العربية القديمة التي قضى عليها الإسلام عندما وحد لغة العرب بلغة قريش التي أنزل الله بها

(1) - الحجبي أبي / ملخص عن تاريخ الصحراء. مخطوط مكتبة المؤلف.

(2) - دائرة معارف بيرنير ساليس. مجلد 3 من 72

(3) - دائرة المعارف. المصدر السابق. ص 170 .

(4) - حضارة العرب - غوستاف لوبيون - ترجمة عادل زعير. الطبعة الثانية. ص 301 .

(5) - عروبة الجزائر عبر التاريخ / عثمان سعدي / الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر.

القرآن وهي اللهجة الوحيدة في اللغات الأفريقية التي يوجد بها حرف الضاد سمة اللغة العربية.

ويقول الشيخ خليفة نياس :

«عندما أنزل الله القرآن كان العرب في الجزيرة العربية يتحدثون اثنى عشر لساناً» (١).

ولقد وجدت في اليمن الجنوبي عندما زرته عام ١٩٧٣ م. في أغسطس بمنطقة حضرموت قبيلة المهرة تتحدث لغة قريبة من التارقية.

كما وجدت أيضاً بعض القبائل العمانية في ظفار. وفي أعلى الجبال يتحدثون لهجة هي أقرب إلى لغة التوارق.

كما اكتشف اليمنيون الجنوبيون آثاراً ونقوشاً في منطقة المكلا مكتوبة بالحروف نفسها التي يكتب بها التوارق حالياً (التافيناغ).

وكلمة (التافيناغ) معناها بالتارقية الحروف التي تنسب للفينيقين، والفينيقيون هم شاميون من العرب نزحوا إلى شمال أفريقيا، ولغة التوارق تجدها بها الكثير من الكلمات العربية الفصحى وتتجدها في صميم اللغة لا في مستحدثاتها.

ولنضرب لذلك مثلاً:

فالتارقي إذا قال لك أسرع في السير. قال لك (اركض) وهي كلمة عربية صحيحة. وإذا قال لك اجلس قال (أقيم) وهي عربية من الإقامة وإذا نفي التارقي شيئاً قال لك كلاً كلاً. وهي نفس الكلمة العربية المستعملة في النفي كلاً كلاً.

وإذا قال لك التارقي إنه يبحث عن فكرة في موضوع ما. قال الدباره: والدباره هي التدبير أو الدباره وهي كلمة عربية فصحى.

ويقولون للشيخ (معار) وهي كلمة عربية صحيحة، وفي الحديث النبوى الشريف

(١) - خليفة نياس / السنغال، مقابلة شخصية في ملوكلس ١٩٨٠ .

أن أعرابياً قدم على النبي ﷺ فرأه مع أصحابه . فقال أيكم ابن عبد المطلب . فقالوا: هو الأصغر المرتفق . أرادوا بالأصغر الأبيض الوجه (لسان العرب) <sup>(١)</sup> . ويسمى التوارق الرأس (إيغف) أو (إغف) وفي العربية الفصحى خفأ الشيء ظهر، والرأس أبرز شيء في الإنسان.

ويقولون للوجه (اودم) وهي مأخوذة من الأديم وهو بشرة الإنسان أو جلد ، ويُقال أديم الأرض أي وجهها.

ويقولون للكبير (امقران) . و (امقرن) والقرون في اللغة هو الشخص الذي يأخذ اثنين اثنين ، وقيل في المثل العربي (طفيلى وقرون) والأقرن في العربية الرجل القوي الذي يأتي بأسيرين في وقت واحد ، ويقال للناقة القرون التي تحلب وتقرأ إثنين في وقت واحد . ويقول التوارق للعامة (تقلوموست) وهي القلسنة العربية ويقولون للقميص (تميصت) وهي عربية واضحة .

وإذا قال لك فلان ينام قال لك (يطس) وفي العربية وتس الشيء في الماء إذا غطسه . والنوم فيه معنى الغطس في اللاوعي <sup>(٢)</sup> .

ويقول التوارق للماء (أمان) والعرب يقولون (الماء أمان) وللشرب يقولون (اسو) وهي يحسو الرجل الماء أو المرق يشربه جرعة جرعة .

ويقول التوارق لمحطة القوافل (مرزق) وهي عربية ومعناها المكان الذي يأتيه الرزق .

أما سلام التوارق عندما يلتقيون فأكثرو عربياً صميم . فيقولون :

السلام عليكم : وهي تحية الإسلام .

إسلام : ومعناها أسألك عن حالك .

الخير غاس : إننا في خير عميم ، وغاس نزل وتعمق .

(١) — عروبة الجزائر عبر التاريخ / عثمان السعدي . المصدر السابق . ص 52 .

(٢) — انظر عروبة الجزائر عبر التاريخ / عثمان السعدي . ص من 44 إلى 54 .

ويسألونك عن الاسم فيقولون :  
ما سميّتن كي : وهي نفس كلمة ما إسمك .  
يقولون (الحمد لله) و معناها الحمد لله .

ويقول التوارق للمرأة (تعطوث) ومعناها العربي للإنسان الذي يظمث . والنظمت  
للمرأة .

ويقولون للباس المرأة (قلحفت) أي الملحفة وهي القماش الذي يلتحف به  
الإنسان .

هذا قليل من كثير في صميم لغة التوارق من اللغة الفصحى مما يدل على أن نشوء  
اللغتين واحد . وأصلهما واحد . ويقول الأستاذ عثمان سعدي :

«وبعبارة أكثر وضوحاً فإنشي صرت متيقناً أن اللغة البربرية ما هي إلا احدى  
اللهجات العربية القديمة . التي تفرعت عن اللغة العربية الأم التي يعتبر مهدها  
الجزيرية العربية . ثم ان القبائل التي تكلمت اللهجة البربرية انتقلت جميعها بلغتها إلى  
شمال أفريقيا . وما يؤكّد ذلك وجود بعض القبائل بجنوب اليمن لا زالت تتكلم لغة  
شبيهة بالبربرية حتى الان» (١) .

#### التي芬اغ :

التي芬اغ هي الحروف التارقية التي يكتب بها التوارق لغتهم .  
وذكرنا أنها هي نفس الحروف (الفينيقية) التي نقلها الفينيقيون معهم من الشام إلى  
شمال أفريقيا قبل الميلاد .

ولقد وجد اليمنيون الجنوبيون في منطقتي حضرموت . والمكلا . نقوشا بالفينيقية في  
السنوات الماضية .

كما أنها نجد هذه الكتابات في مغارات جبال الأكاكوس . وناسيلي . والمغار . وجبال  
الأبير .

---

(١) — عروبة الجزائر عبر التاريخ / عثمان السعدي . المصدر السابق . ص 46 .

وتحتوي هذه الأبجدية على اثنين وعشرين حرفاً وهذا يضطر التوارق لتركيب حرفين لاعطائهم حرفاً آخر غير موجود في أبجديتهم ، وتلتقي حروفهم مع الحرف الحميري القديم (المسند) في كثير من الحروف . مثل (ل) (ا) والـ (ش) و (التاء) (+) حيث لا تزال مستعملة في الكتابة الاريتية حتى الان كما أن الدال (د) هو نفس الدال العربي .  
وهذا كله يدل على أن لغة التوارق . وحروف لغتهم من أصل عربي قديم سواء أكان فينيقيا (تيفناغ) أم (حميريا) يعني قدماً .

وحروف التيفناغ تكتب من اليمين إلى اليسار في العادة . أما إذا أراد التارقي أن يتناول موضوعاً منها ويرسله إلى شخص آخر بعيد . ويتوقع أن تقع رسالته في يد الأعداء فإنه يضطر إلى الكتابة في كل الاتجاهات . من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين . ومن فوق إلى تحت ومن تحت إلى فوق . وهنا يستغرق ذلك رمز الرسالة الواحدة عدة أيام (١) .

وتضع بعض قبائل التوارق حرف (+) التاء على رقاب الأئل كسمة لها . وهي الحرف الأول من الكلمة (توارق) أو (تماشق) وقد ذهب الكثيرون من كتاب الغرب إلى أن هذا الشكل هو الصليب يستعمله التوارق لأنهم كانوا قبل الإسلام نصارى . وأعتقد أن الرأي الذي أوردهناء هو الصحيح . وهذا الرسم (+) حرف التاء التارقي تسم به قبيلة (النوائل) العربية في ليبيا إيلها وهي من القبائل المهاجرة من الجزيرة العربية وتنتهي إلى بنى سليم الذين هاجروا إلى شمال أفريقيا في القرن الرابع المجري . إذن هذا الرسم لا علاقة له بال المسيحية وإنما هو التاء التارقية أو (التي芬اغ) .

وحروف التوارق لا يتقنها كل التوارق بل تتقنها النساء والخدم وبعض الذين تعلموها من النساء ، ولكن بعد قدوم الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة وعاقولته تزييق شعبها بدعياته المغرضة شجع هذه الحروف محاولاً أن يجعل لبربر شمال أفريقيا هوية أخرى غير هويتهم العربية الإسلامية . ومحاولاً أن يجد لهم أصولاً غير أصولهم وقومية غير قوميتهم .

ويقول الأستاذ عثمان السعدي في هذا الموضوع :

---

(١) - مشاهداتي الخامسة وجورج غريستر / الصحراء الكبرى / ترجمة خيري حاد، ص 58 المكتب التجاري - بيروت.

«الغرض من هذه الدراسة إثبات الأصول العربية للبربر. وأنا أنكلم في هذا المجال بلا عقدة. فأنا من الذين يقال عنهم ببربر. أنا من الشاوية. من منطقة الكاهنة. صومعة الكاهنة المشهورة تقع على مرمى حجر من متزلي في «دوار تازينيت». وبئرها التي كانت تشرب منها جيوشها تقع في مضارب القبيلة التي أنتمي إليها. وكسيلة ويوجورطا وتكفاريناس وغيرهم من منطقتني أي من جبال أوراس - اللماشة، لكن الفرق بيني وبين بعض النتمين إلى البربر من دعوة النزعية البربرية هو أنني درست اللغة العربية وتللمدت سواء في المدارس الثانوية أو في الجامعة على يد أساتذة عرب وقبائل (بربر) مسلمين ووطنيين. فتحوا عيني على حقيقة أصول البربر العربية بينما تلمنذ ذوو النزعية البربرية على يد أساتذة مستعمرين وبطريقة أوضح على يد (الأباء البيض). والأباء البيض في تاريخ الجزائر لم يكونوا يحملون تحت جلابيthem البيضاء الدعوة المسيحية. وإنما كانوا يحملون الأفكار الاستعمارية التي تعمل على غرس الوجود الفرنسي الاستعماري بالجزائر...»<sup>(1)</sup>.

وأخيراً نختتم الكتابة عن التيفناغ برأي الأستاذ جورج غيرستر عند حديثه عن النقش في الصخور في الجبال بمنطقة التوارق يقول:

«وتتحمل الصور الصخرية للجبال عادة كتابات منقوشة وتحت الرموز إلى نظام الكتابة الليبية - البربرية المشتقة من الحروف الفينيقية التي كانت مستعملة في البحر الأبيض المتوسط عندما كانت قرطاجنة في ذروة قوتها. ولا ريب في أن كتابة التوارق تقوم دليلاً على ذلك»<sup>(2)</sup>.

(1) — عروبة الجزائر عبر التاريخ، المصدر السابق، ص 9.

(2) — جورج غيرستر / المصدر السابق، ص 56.



الباب الثاني

النظام السياسي تحت التوارق



لم يكن للتوارق على مدى التاريخ نظام سياسي ، ولم تقم لهم أية دولة متعارف عليها كغيرها من الدول . إذا ما استثنينا دولة المراطين (المثمون) التي قامت في القرن الثاني الهجري العاشر الميلادي<sup>١</sup> إلى القرن السابع الهجري . الخامس عشر الميلادي وكان التوارق يمثلون جزءاً كبيراً من جنودها وكل قياداتها السياسية والعسكرية حيث التحزم معهم أغلب سكان الصحراء الكبرى والتي تتكون من قبائل تارقية وعربية وكذلك قبائل المغرب العربي .

غير أن التوارق في صحرائهم جعلوا لأنفسهم نظاماً سياسياً تعارفوا عليه وحافظوا على نواميسه واحترموه فيما بينهم على مدى التاريخ . وإذا ما حاول أحد المساس بهذا النظام والتنظيم وحاول الخروج عنه قاموا إليه وأرجعوا إليه بالقوة في حروب محلية تقوم وتخدم بين الفينة والأخرى .

وأسمى التوارق مناطقهم بسلطنات يرأسها سلطان يختارونه لذلك من بينهم .

وتنقسم منطقة التوارق إلى سبع سلطنات مقسمة على النحو التالي :

#### ١ - سلطنة آزر :

وتقع سلطنة الآزر في سهول ووديان وواحات جبال تاسيلي . وتقع من غدامس ومرزق في ليبيا إلى جانب ولizi في الجنوب الشرقي الجزائري وتحتدم من مدينة غات في جنوب غرب ليبيا مركزها .

تتكون هذه السلطنة من عدة قبائل أهمها :

- (أ) - أوراغن.
- (ب) - منغساتن.
- (ج) - إفوغاس.
- (د) - المطين.
- (هـ) - إمثان.
- (و) - كيل ولّي.
- (ز) - امقرّغسن.

وليست هذه القبائل أراضٍ محددة بل هي تتدخل فيما بينها مع قبائل عربية أخرى في المنطقة.

## 2 — سلطنة الهقار:

وتشترك سلطنة الهقار في حدودها الشرقية مع سلطنة آزرر وتحتخد من مدينة (قنيغست) في الجنوب الشرقي الجزائري مركزاً لها وتنقل بين جبال الهقار على الحدود مع مالي والنiger الحالية.

وت تكون سلطنة الهقار من عدة قبائل أهمها:

- (أ) - كيل أغلا.
- (ب) - تيطوق.
- (ج) - كل أغري.
- (د) - تاغت ملت.

## 3 — سلطنة والليمدن كل أطراهم:

والليمدن أهل الغرب، هذا معنى التسمية. وتحتل هذه السلطنة منطقة (أزواغ) الغربي ومنحني نهر النiger. ويحدها من جهة الغرب إقليم ولاته في بلاد شنقيط (موريتانيا الحالية) ومن الشرق تتدخل مع شقيقتها سلطنة (تكريقريت) ومن الشمال

تحدها تيزي (تنزروفت) تجاه سلطنة الهاقار ومن الجنوب تحدها بلاد (مالنكى) التي تقطنها قبائل الزنوج الباامبارا.

وتشمل هذه السلطنة عدداً كبيراً من القبائل تتشكل في إمارات كبرى أهمها:

- (أ) - إمارة كل انتصر: في غرب وجنوب تينبكتو.
- (ب) - إمارة تنكريقيف: في منحنى نهر النيجر.
- (ج) - إمارة كونته: وهي إمارة عربية حول مدينة (قاو).
- (د) - إمارة إفوغاس: في أضفاغ أو (أدرار) حول جبال إفوغاس.

وأهم القبائل التي تتشكل منها هذه السلطنة:

- (أ) - كل إهارا: وهي قبيلة السلطان.
- (ب) - كل تهينات.
- (ج) - أغطفان: واسمها تحرير لاسم قبيلة غطfan العربية.
- (د) - إلوغمان.
- (هـ) - أودالن.
- (و) - إمنان.
- (ز) - إمغران.
- (حـ) - إشنـهـارـن.
- (طـ) - إمضـضـغـنـ.
- (يـ) - كل ولـيـ.
- (كـ) - إداو اسحاق: وهي مجموعة قبائل.
- (لـ) - كل انتصر: وهي أيضاً مجموعة قبائل فيها كل أغزاف. تنكريقيف. كل تبوراق. كل تقلالت. كل اسكن. كل قوسـيـ. الهـشـانـ. أبوغـلـيـتـيـنـ. إـقـلـادـ. أـفـوـغـاسـ. إـيدـنـانـ. إـيرـقـنـاتـ.

#### (4) — سلطنة تقريريت: والليمدن أهل الشرق:

وهي تتوسط بلاد التوارق ومعنى كلمة تقريريت الوسطى لأن موقعها وسطاً بين السلطنتان. إذ يمدها شماليًّا سلطنة المغار وجنوبيًّا سلطنة (كل أفرس) ومن الغرب سلطنة (والليمدن كل أطراهم) ومن الشرق تحدها سلطنة (غزقدا) و (آيير) ومركز هذه السلطنة مدينة طاوه (شمال النيجر) الحالي، (حوالي 450 كم شمال نیامي العاصمة).

وتتكون هذه السلطنة من قبائل أهمها:

- (أ) - كل نان: (قبيلة السلطان).
- (ب) - كلا أغلال: (قبيلة الامام فيأغلب الأحيان).
- (ج) - تقرمت.
- (د) - إداولن.
- (هـ) - إيجيرخيرن.
- (و) - أزررياضن.
- (ز) - تلميديس.
- (حـ) - أقيران.
- (طـ) - كيل إزار.
- (يـ) - آيت أواري.
- (كـ) - الشريفن: (وهم ينسبون إلى بنى هاشم).
- (لـ) - داغمنا.
- (مـ) - اقدالن: (وهم بقايا قبيلة قداله).
- (فـ) - إزاويتن: (وهم من قبائل الزوايا بموريتانيا).
- (صـ) - اچوانجواتن.
- (قـ) - إيدابيرن.
  - - إبهيوان.
  - - إيكدقان.
  - - اينكلان.
  - - إلبكان.

- - ابضيضاين.

- - المغراون: (وهم بقايا قبيلة مغراوه الشهيرة بالشمال الأفريقي).  
- - إيكلان.

- - إبراكتان.  
- - إشيديوان.

وغيرها قبائل أخرى أصغر من هذه.

#### 5) — سلطنة آيير:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى جبال (آهير) التي يقطنها رعايا السلطنة. ويحدها شهلاً سلطنتنا آزقر والهقار، وتشترك جنوباً مع سلطنة (تمزقدا) في منطقة أزواغ الشرقي عند هضبة (تقيديت) وغرباً تتدخل مع سلطنة والليمدن كل دلت (تقريقيرت) في منطقة (إنقال تقداً) وشرقاً رمال تينيري غربي واحات كوار (بلما).

وت تكون سلطنة الآيير من سكان مدينة (أقدز) الذين أغلبهم لم يكونوا من التوارق. بل من الهوسا وعناصر أخرى. وتنتهي أسرة سلطان الآيير إلى أصول عثمانية تركية. إذ يتبع أحد أصول هذه الأسرة إلى مدينة غات حيث عينه الأتراك حاكماً على أقدز عندما كانت غات تحت الإدارة العثمانية فصار سلاطين الآيير يدعون نسبهم إلى الأتراك <sup>(١)</sup>.

ومن المتعارف عليه أن سلطان الآيير من الهوسا من النسب المذكور باتفاق مع القبائل التارقية المتواجدة في المنطقة.

ولا يزال السلطان حتى الآن من هذا الأصل الليبي من غات والذي يدعى منتبوه أنهم عثمانيون لأن ليبيا في ذلك الوقت كانت تتبع العثمانيين (وأقدز) تتبع وإلى طرابلس العثماني.

وت تكون سلطنة الآيير من مجموعة من القبائل أهمها:

(١) — محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / الطوارق شعب الصحراء الكبرى. خطوط مكتبة المؤلف. ص 37.

- 1 — كيل أواي.
- 2 — ايكركزن.
- 3 — كل تدلُّي.
- 4 — إفوغاس.
- 5 — إهقارن.
- 6 — كل إغاروس.
- 7 — كل افداي.
- 8 — أخير خيرن.
- 9 — إمزوراك.
- 10 — كل فروان.
- 11 — إفرتين.
- 12 — إقدالن.

ومن تقاليد سلطنة الأئير أن يتولى شيخ القبيلة كيل أواي منصب مستشار السلطان لشُؤون التوارق وهو بمثابة نائب السلطان ويسمى بلغة التوارق (أَسْتَافِيدَت).

#### 6 — سلطنة تمزقدا:

كانت هذه السلطنة من أقوى السلطنتين التارقية إذ أنها تحتل أراضي خصبة تنزل بها الأمطار وتحكم في طرق القواقل القادمة من وإلى ليبيا وببلاد الهمسا وكذلك مصر كما ترتبط بعلاقات تجارية مع شعوب بحيرة تشاد ومملكة كائم وقبائل التبو.

وقد ذكرها ابن بطوطة عندما ذهب في رحلة إصلاح بينها وبين سلطنة (تكريريت) حيث قال:

«... وفي أيام إقامتني بها. توجه القاضي أبو إبراهيم، والخطيب محمد والمدرس أبو

حفص والشيخ سعيد بن علي. إلى سلطان (تكدا) وهو بربري يسمى إزار وكان على مسيرة يوم منها. وقعت بينه وبين (النكركري) وهو من سلاطين الهربر أيضاً منازعة فذهبوا إلى الاصلاح بينهما<sup>(1)</sup>.

وتحد سلطنة تزقدا شمالي سلطنة آيير وتحدها جنوباً مملكة (كتشنا) الهمساوية ومن الغرب تحدها سلطنة (تكريريت) وسلطنة (كل أقرس) ومن الشرق تحدها مملكة (برنو) أو (كانيم) ورمال (ترقيت) وقبائل التبو وتحتل سلطنة (تزقدا) منطقة (أزواوغ)<sup>(2)</sup> الشرقي التي تسمى أحياناً (دمرقو) ومركزها (تاركا) غربي مدينة (نانوت) الحالية شمال زندر.

وتتكون من عدة قبائل أهمها:

- ١ - الشريفن: (وهم ينتسبون للأشراف بني هاشم).
- ٢ - كل فروان.
- ٣ - إيكزكزن.
- ٤ - إيفدين.
- ٥ - إيكشكن.
- ٦ - إفugas.
- ٧ - إمزوراك.
- ٨ - كل انبرده.
- ٩ - إبرضيان.
- ١٠ - إزمّيان.
- ١١ - إيزغران.
- ١٢ - إقدالن.

(1) - ابن بطرطة / رحلة، الدكتور علي المنشور الكتاني، الجزء الثاني، ص 800 . مؤسسة الرسالة،

(2) - أزواوغ / ومنها الصحراء، ويسمى بها العرب (أزواود).

13 — كل طهات.

14 — ايمزونغون: (المزاوحة، ومنهم في ليبيا قبيلة بترهونة ، وفي تونس أيضاً قبيلة كبيرة).

وأهل هذه السلطنة بحكم اختلاطهم بقبائل الهاوسا صاروا مزدوجي اللغة (لغة الهاوسا . ولغة التوارق) . ويقول الشيخ خليفة نياس أحد مشايخ الطريقة النيجانية في السنغال : إن أصل الهاوسا عرب وهي قبيلة (الخووصة) العربية وحرف اسمها في إفريقيا لأن الأفارقة لا يستطيعون نطق (الحاء) فينطقونها (هاء) <sup>(١)</sup> .

## 7 — سلطنة كل أقرس:

هي أقصى سلطنتان التوارق إلى جهة الهاوسا وتتكون من اتحاد مجموعة من القبائل التي تتمتع كل واحدة منها بنوع من الاستقلال الذاتي في شؤونها الخاصة . وفي علاقاتها مع جيرانها ورعاياها من القرоين السود . وغالباً ما تحالف مع مملكة (قوبير) في حروبها ضد سلطنة (تكريريت) .

وأهل هذه السلطنة يتبعون بكثير من عادات الهاوسا وكذلك لغتهم وتتدخل مع مملكة (قوبير) وأصبح من العسير تحديد مناطق التفاؤذ بينهما .

وتختل سلطنة (كل أقرس) المنطقة المعروفة (بآضر) الواقعة جنوب أزواغ الأوسط وهي منطقة جبلية تشتهر منها مجموعة من الوديان الصغيرة ولذلك سميت باسم (آضر) ومعناها الوادي الصغير في لغة التوارق .

وتشترك هذه السلطنة مع إمارة صغيرة معايدة ومستقلة من هذه السلطنتان وهي إمارة (إيسون) التي تتخذ مقراً لها في (كينا) شرق طاوه . بالإضافة إلى القرоين السود المسلمين المعروفين باسم (كل آضر) أي أهل الوادي الصغير الذين يخضعون لسلطان (تكريريت) في أغلب الأحيان .

وتحد سلطنة كل أقرس من الشمال والغرب سلطنة (تكريريت) ومن الجنوب مملكة

(١) — الشيخ خليفة نياس / مقابلة شخصية في طرابلس 1980 .

(قوبر) ومن الغرب سلطنة (تىزقدا) ومركز هذه السلطنة (أرزا روري) شمال مدينة (ماداوا) وتتكون من عدة قبائل أهمها:

- 1 — كل إقلال (وهم مجموعة الأغلال بشنقيط، عرب).
- 2 — إغاون.
- 3 — كل أمير.
- 4 — إتيسان.
- 5 — وعدد كبير من المولى والعبد الذين يسمون (إغويلن).



## نظام الحكم في السلطנות

يتكون نظام الحكم في السلطנות التاريخية من الهياكل التالية:

- ١ — منصب السلطنة أو السلطان ويسمى في اللغة التاريخية (الأمنوكال).
- ٢ — منصب شيخ القبيلة ويسمى (امغار).
- ٣ — منصب الإمام.

### ١ — السلطان:

يتولى هذا المنصب شيخ أقوى قبيلة من القبائل التي تشكل الاتحاد أو السلطنة.  
ويسمى (أمنوكال) أي الرئيس الأعلى للبلاد.

ويساعد السلطان في حكمه مجموعة من (الأنابال) أي رؤساء القبائل أو بالأصح  
رؤساء مجموعات القبائل لأن كل شخص من هؤلاء الرؤساء تحت إمرته مجموعة من  
شيوخ القبائل (الأمغار).

ويتولى الحكم بعد السلطان ابن أخيه وهو وريثه في الحكم فلا يتولاه إخوه أو  
أبناءه. ويرى التوارق في ذلك أن ابن الأخ يجري في عروقه الدم النقي الواضح  
لسلالة السلطان أكثر من الإخوة والأبناء الذين قد يشك في نقاء دمهم. وهذه العادة  
عربية قديمة <sup>(١)</sup>.

ويقول محمد عبد الرحمن عبد اللطيف:

«وقد بقيت هذه العادة حتى عهد قريب في عدد من السلطנות مثل المقار وكل

---

(١) — انظر تاريخ العرب قبل الاسلام / جرارد علي.

اقرس. وقد بطل العمل بها في السلطنة الأخرى مثل والليمدن. وتكرر يقررت. وإيير. فاصبع الحكم وراثياً يتولاه أكبر الأبناء للسلطان أو أحد إخوته أو أبناء عمه إذا لم يكن له ولد»<sup>(1)</sup>.

ويقول محمد عبد الرحمن عبد اللطيف:

«وفي الهقار واطرام وتكرر يقررت يسمى السلطان (أمنوكال) أو (أمغار ناكال) ومعناه إمام البلد أو شيخ البلد. وفي آيير وتمزقدا وكل اقرس يسمى (الطلب) لأنه يمسك الطليل شعار الحكم والسلطنة ويضرب عليه لاعلان الطوارئ والدعوة إلى الاجتماعات الرسمية»<sup>(2)</sup>.

ويقول الخجji آمي :

«وفي حالة اضطرارية لأي قبيلة لتتحقق بقبيلة أخرى فإنها لا بد وأن تأخذ ترخيصاً خاصاً من الأمنوكال لاستغلال المراعي أو الاقامة في أي منطقة لزمن غير محدود. وفي حدود كونفيدرايته فإن الأمنوكال يحتاج لعاونة أقرب معاونيه يحيون الضرائب ويأخذون الإتاوات ويقيم العدل ويقرر بداية ونهاية التنقل في المنطقة.

والأمنوكال ينصب من طرف (لاماني) وهو مجلس (الأتابالان) رؤساء المجموعات. وهو وبالتالي يستطيع أن يعزله وكذلك المجلس يكون تحت رئاسة الأمنوكال الذي له وحده الحق في إعلان الحرب أو نشر السلام. ومجلس رؤساء المجموعات هو الذي يتبنى ويستخدم الوسائل الخاصة بالأمن والاقتصاد والمسائل الدينية والاجتماعية.

ومن أجل القيام بكل هذا فإن الأمنوكال محاط بمجموعة من القانونيين<sup>(3)</sup> والحكماء والعلماء يقومون بوظائف المستشارين والقضاة والأئمة في المساجد والمكلفين بالبعثات والسفراء.

أما وظائف الرئيس السياسي والرئيس العسكري فإن الأمنوكال هو الذي يتقلدها

(1) — عبد الرحمن عبد اللطيف. المصدر السابق. ص 44 .

(2) — عبد الرحمن عبد اللطيف. المصدر السابق. ص 44 .

(3) — القانونيون / ليسوا أحرار يعني الجامعات في القانون. ولكنهم خبراء قوانين العرف في المنطقة.

يساعده في ذلك (أغار انغامان) (القائد العسكري) وهذا يقوم بتدريب الشباب على الأسلحة المتنوعة كالسيف والرمح وغيرها . . .<sup>(١)</sup>.

### الطبل :

يعتبر الطبل عند التوارق رمز السيادة وكذلك كان عند العرب إلى عصر قريب.

والطبل عبارة عن قصعة من العود (الخشب) كبيرة يربط عليها جلد بغير أو جلد بقرة بحبال متينة. ويثبت ذلك الجلد ثلاثة أو أربعة ثقوب متقاربة دائيرية ليست بالكبيرة لتسمع للهواء بالخروج عند الضرب على الجلد. ويضرب الطبل بعصا تصنع خصيصاً له أو بحبل متيّن ، وهو الأفضل ، حتى لا يتسبب الضرب في عطب الطبل . . . وعادة ما يكون ذلك الحبل عقال بغير. والطبل هو الطريقة التي يستطيع بها (الأمنوكال) إسماع أوامره لمرؤ وسيه في مختلف القبائل. إذ إن صوت طبل الأمنوكال تتبعه أصوات طبول رؤساء القبائل الأخرى بنفس الأمر إلى أن يصل الأمر إلى أسماع أقاصي القبيلة في المجتمعات التارقية المنتشرة في صحراء السلطة.

ولما كان للطبل هذه الأهمية فلنفهم وضعوا نواميس وقوانين متعارفاً عليها يستطيع أبعد شخص في التوارق ، عن طريق عدد ضرباته وأوقاتها ، أن يعرف المقصود من صوت الطبل ويستعد للأمر المطلوب.

ويقول الخجي أمي - وهو من توارق الليمدن - عن المواقع التي يضرب فيها الطبل والرموز المتعارف عليها للمواقع الضرب. يقول:

«وأهم الأشياء التي يضرب فيها الطبل هي:

- 1 - الأماني (التجمع العام).
- 2 - اختفاء إحدى القبائل.
- 3 - تغيير مكان مخيم الأمنوكال.
- 4 - إعلان هجوم غزاة أعداء.

(١) - الخجي أمي / ملخص عن تاريخ الصحراء / بحث خطوط مكتبة المؤلف. ص 14 .

5— إعلان الحرب.

6— العودة من عملية حربية.

7— القيام بغزو والخروج في عملية ضد الأعداء.

8— القيام بتغييرات خاصة.

وكل صنف من هذه الأشياء له شيفرة خاصة مقررة من المجلس العام. وتكون معروفة في جميع الأوساط في الكونفيدرالية التي تخصها الشيفرة، ولنذكر بعض البذاج على ذلك.

**إعلان الحرب:** 12 ضربة على الطبل تعداد بدون انقطاع كامل الليل والنهار.

**غزو على الأعداء:** ست ضربات على الطبل تعداد على الأقل أربع مرات في الأربع والعشرين ساعة.

**الإعلان عن قدوم غزو خارجي (لم يصل بعد):** يضرب على الطبل بدون انقطاع كامل الليل والنهار حسب زمن ورود الخبر.

**الاستدعاء العاجل للمجلس العام (أمامي):** ثلاث ضربات على الطبل في النهار ومثلها في الليل.

**اختفاء إحدى القوافل المهمة:** ضربتان على الطبل تعدادان عدة مرات بدون انقطاع.

**الإعلان عن رفع الخطر:** ثانية ضربات على الطبل فقط لا تعداد<sup>(١)</sup>.

وهكذا يتفق هذا الشعب الصحراوي الذي تنتشر جموعه في الصحراء على هذه الشيفرة ليسهل ابلاغه الخبر، ويسهل استئثاره في أي لحظة من لحظات الليل أو النهار.

وهذه القضايا كلها تعني السلطان أو تخصه، والطبل، وطريقة ضربه، والشخص المكلف بالضرب وعادة ما يكون أحد العبيد دائماً رهن إشارة السلطان.

ويأتي بعد السلطان في الأهمية والترتيب الوظيفي الشيخ (أمغار).

---

(١) — الحجي آمن / المصدر السابق، ص ١٦ .

**شيخ القبيلة (أمفار):**

يقول محمد عبد الرحمن عبد اللطيف:

«وإلى جانب السلطان يوجد شيخ على رأس كل قبيلة يتولى الإشراف على شؤون قبيلته ويعملها في المجتمعات العامة ويحمي مصالحها ويجمع منها حصتها من الأموال المطلوبة لخزانة السلطة أو لتمويل الحرب. ويقود رجال قبيلته في حالة الحرب أو للغارة على إحدى الجهات المعادية ويسمى شيخ القبيلة (أمفار) أو (حاكمي)، ولما مزق الفرنسيون الكونفدراليات الكبرى في بلاد الطوارق رفعوا شيوخ القبائل المهمة إلى مستوى الزعماء التقليديين على رأس مجموعات إدارية تابعة للإدارة الفرنسية مباشرة...»<sup>(1)</sup> ويأتي في الأهمية بعد السلطان والشيخ شخصية دينية مرموقة هي شخصية الامام.

**الإمام:**

بعد انتشار الإسلام بين بدو التوارق استحدثوا هذا المنصب وفي العادة يتولاه أحد الفقهاء المتضلعين في الدين الإسلامي ومهمنته إرشاد السلطات وتنويرها في مسائل الدين الخفيف. كما يشرف على القضاء ويصادق على أحكام القضاة. كما يعني بأمور التعليم والمساجد. وإليه يعود الرأي في حل النزاعات والخصومات القبلية.

ويقول محمد عبد الرحمن عبد اللطيف:

«ويبدو أن هذا المنصب لم يتمكن من الاستمرار إلا في سلطنة (تكريقريت). أما في السلطنة الأخرى فإن الامام تحول إلى مجرد مستشار أو فاصل تابع للسلطات إلى أن تم الغاء منصبه نهائياً في أطراط وفي المقار وفي غيرها...»<sup>(2)</sup>.

### **المجلس العام**

يتكون المجلس العام عند التوارق من جميع شيوخ القبائل الممثلين في السلطة ويجتمعون بدعوة من (الأمنوكال) حيث تعرض عليهم الأمور المهمة ويقررون الحرب

(1) — محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق. ص 44 .

(2) — محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق. ص 46 .

والسلم والقضايا المهمة في التجارة وارسال القوافل الكبيرة وحمايتها وقضايا الغزو وصد الغزو وحتى قضايا رحيل المتجمع بصفة جماعية طلباً للكلاً أو خوفاً من العدو أو الإتجاه إلى أرض دفاعية استعداداً للحرب.

إلى جانب هذا فهم يعيثون (الأمنوكال) وكذلك يعزلونه إذا بدا منه الضعف بسبب المرض أو الشيخوخة وعدم القدرة على قيادة السلطنة. ويعيثون بعد نقاش طويل أحد أفراد العائلة الحاكمة، وله معايير في اختيار (الأمنوكال) الجديد، منها:

- أن يكون حسن السيرة والسلوك.
- وأن لم يقم بأي عمل مشين في حياته.
- وأن يكون قوي البنية والعقل.
- وأن يكون محبوباً من الشعب أو من غالبيته.

وإذا لم تتوفر هذه الشروط في أحد أفراد الأسرة الحاكمة (السلطان) فانهم يختارونه من بين رؤساء المجموعات شريطة أن يكون من أسرة شريفة.

والشرف يفهم التوارق أن يكون نسبه في أعلى السلم الاجتماعي في تنظيم البنية الاجتماعية.

### احتفالات التنصيب

يعتبر تنصيب (الأمنوكال) الجديد عند التوارق مناسبة من المناسبات المهمة في حياتهم.

هذا يقيمون احتفالات ذات مراسم معروفة ومتفق عليها ولو أنها غير مكتوبة.

ومن هذه المراسم:

يقوم بترتيب الاحتفال مجموعة من المرابطين (الفقهاء) المتخصصين في قراءة القرآن، ونادرًا ما يلجم المجلس العام للانتخابات بخصوص اختيار السلطان الجديد (الأمنوكال) ولكنه أحياناً يلجأ لذلك - وهو من النادر - عندما يعرض أكثر من مرشح لتولي منصب (الأمنوكال).

وفي هذه الحال يقوم المجلس بوضع كل شخص مرشح لهذا المنصب بعيداً في خيمة أو تحت شجرة، ويطلبون بعد نقاش طويل من كل شخص يرغب في اختيار شخص من المرشحين أن ينتقل ويجلس بجانبه.

وهنا يفوز بالسلطنة (الأمنوكال) الشخص الذي يجلس بجانبه أكثر عدد من شيوخ القبائل (أعضاء المجلس العام) وهنا يرضى الجميع بالنتيجة.

وقد يحدث أحياناً أن يرفض أحد الخاسرين النتيجة فتقوم الحرب بين المتصارعين. مثل ذلك الصراع الذي حدث بين ورثة السلطان محمد الكميتى سلطان (تكريريت) عندما استسلم للفرنسيين ومات بعد ذلك بفترة فقامت حروب بين ابن عمه (إسماعيل) وأبن أخيه (أخزى) واستمرت حوالي عشرين سنة أذكاها الفرنسيون ليضعفوا الفريقين ويلهومها بأنفسهم.

وفي النهاية ناصروا إسماعيل وبقي أخزى يحاربهم إلى أن قبض عليه وأعدم من قبل الفرنسيين.



## العلاقات السياسية بين السلطانات التارقية

لم تقم بين هذه السلطانات - على مدى التاريخ - أي وحدة سياسية باستثناء دولة المرابطين التي جمعت هذه السلطانات لفترة وجيزة ثم عادت إلى سابق عهدها.

ونظراً لاتساع الأرض الصحراوية - حيث يقطن التوارق - وبعثرة القبائل في أرجائها الشاسعة، وقلة الموارد وندرة الأمطار وسيطرة الجفاف في كثير من الأحيان على مناطق دون أخرى، ورحيل التوارق البدو طلباً للكلأ وسعياً لمعيشة حيواناتهم، ولأسباب أخرى أيضاً اقتصادية لسيطرة بعض القبائل على طرق القوافل المتوجهة للشمال أو الجنوب.

لكل هذه الأسباب مجتمعة أو لبعضها كانت المنافسات بين هذه السلطانات التي أدت في بعضها إلى حروب طاحنة سببها النهب والغزو بينها مثل حرب (إنطروان) بين سلطنتي (المقار) و(تكريقريت) في أواخر القرن التاسع عشر. وسببها المباشر غارة مجموعة من المقار على أحياء قبيلة (كل افدياي) ونهبها.

كما نذكر الحرب التي قامت بين سلطنتي (تمزقدا) و(تكريقريت) وهي التي ذكرها ابن بطوطة في رحلاته وتوسطه في الصلح بين السلطانين<sup>(1)</sup>.

كما تقوم معارك صغيرة بين الحين والأخر بين السلطانات وأحياناً بين قبائل السلطنة الواحدة كمعارك قبيلة منغستان وقبيلة (أوراغن) وكلتاها من سلطنة (آزر) وذلك في أوائل القرن العشرين ونهب كل منها لأجل الأخرى حيث حدثني الحاج إسماعيل محمد علي وهو من قبيلة منغستان وكان يقودها من جانب منغستان الفقي انقدازن وهو من

(1) - انظر ابن بطوطة / الدكتور علي المنصر الكثاني، المصدر السابق.

أوراغن ، ولكنه يتبع أمه المنغساتنية ، وصار ينسب إلى منغستان على عادة التوارق ومن جانب أوراغن يقودها الخير خدان وهو أيضاً من منغستان ولكن أمه من أوراغن فصار يتبع أخواه .

ولقد التقى بهؤلاء الرجال ولكن أكثرهم صراحة في أخباره لي بتفاصيل هذه المعركة ، هو الحاج إسماعيل محمد علي الذي تربطني به صداقة شخصية منذ عام 1960 عندما كنت في درج <sup>(1)</sup> .

وعند دخول الفرنسيين إلى الجزائر وقفوا يساعدون قبائل الهقار ضد سلطنة (تكريريت) كما وقف الإيطاليون يساعدون أبا بكر لقوى وعيشه سلطان آزرق في غات ضد قبائل منغستان التي رفضت الانصياع تحت الاستعمار الإيطالي . وأرسلت أسلحة له عن طريق غدامس ليهاجم المجاهدين المنسحبين إلى فزان من المناطق الشهالية ومن بينهم قبيلة منغستان <sup>(2)</sup> .

ويقول محمد عبد الرحمن عبد اللطيف :

«ولكن أهم أسباب توثر العلاقات بين هذه السلطانات يرجع في الغالب إلى التزاع على العيون المالة في (تقدا) و (انقال) والتي كانت ملتقى سنوياً يجتمع عنده أصحاب الحيوانات وخاصة الأيل التي تردها من كافة الاتجاهات في ازواغ الغربي - اضياغ - وازواغ الأوسط وأضر كل افراس . وفي الهقار . بالإضافة إلى قبائل آمير الموجودة في تلك المنطقة . وذلك لفائدة تلك الملاحات للأيل وغيرها من الحيوانات . وتتوسط هذه المنطقة المراعي التي يرتادها الطوارق أثناء فصل الأمطار الموسمية (أغسطس - سبتمبر) بعيداً عن الرطوبة والبعوض والحشرات التي تكثر في فصل الأمطار في المناطق الجنوبية .

وقد جرت العادة على تواجد مختلف القبائل التابعة للسلطانات التارقية في هذه المنطقة ، وتكون بمثابة ملتقى سنوي يلتقي فيه زعماء القبائل . وينعقد فيه اجتماع بين

(1) - الحاج إسماعيل هو الآن في عمر يقارب التسعين . ولقد التقى به عدة مرات وأحاديث مسجلة عندي آخرها في مزرعته بآوباري 1982 كما رافقني إلى الحجامة الحمراء في رحلة صيد عام 1983 .

(2) - انظر كتاب نهر فزان للجزائري فرسانى .

بعض السلاطين للتباحث في الأمور التي تهم القبائل. ومن أجل تسوية النزاعات والمسائل التي تحدث بين رعاياها<sup>(١)</sup>.

كما أن إيواء بعض السلطانات لبعض القبائل المنشقة عن السلطانات المجاورة سبب الخروب بينها كما حدث بين سلطنة (تكريريت) و(أطراهم) وكذلك بين (كل اقرس) و(تكريريت).

وقد تحدث المعارك بين أتباع مجموعات ت يريد الاصلاح وأخرى تتمسك بالتقاليد مثل حرب (حذا حدا) و(الجيلاني) وهما مصلحان اجتاعيان أرادا إرجاع الدين إلى مساره الصحيح في منطقة التوارق. ولكن السلاطين المهدوا ضدهما وحاربوها وانتصرتا عليهما . هذه هي العلاقات بين السلطانات فيما بينها.

أما العلاقات بين السلطانات التارقية والعالم الخارجي فهي ضعيفة جداً. ويقول محمد عبد الرحمن عبد اللطيف:

«فلا يعرف الطوارق في العصر الحديث عن العالم الخارجي إلا ما يصل إليهم عن طريق الحجاج الذين تكون غالبيتهم من الشناقطة (الموريتانيين) وقلة من أهل البلاد»<sup>(٢)</sup>.

ويستطرد محمد عبد الرحمن عبد اللطيف في حديثه عن هؤلاء الحجاج القادمين إلى الصحراء من مكة عن طريق مصر ولibia بقوله :

«هؤلاء الحجاج هم الذين يزودون السلاطين بأخبار العالم الإسلامي والأحداث الكبيرة التي تحدث في العالم. وذلك بطريقة مشوهة وغير صحيحة. كما يقومون بنشر الأفكار التي تسود في المشرق كالطرق الصوفية وغيرها من الأفكار»<sup>(٣)</sup>.

وهذا نجد نظرة التوارق للعالم الخارجي محدودة وغير واضحة. وهم دائئراً يقسمون العالم إلى مسلمين وكفار وكل الذين لا يتكلمون العربية هم كفار دخولهم للمنطقة

(١) - محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق. ص 53 .

(٢) - محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق. ص 56 .

(٣) - محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق. ص 56 .

رجس يجب تجنبه . ولقد أخبرني الأخ المرحوم خي بابا شباخ أنه في الصحراء الكبرى عند التوارق والعرب إذا شرب فرنسي أو أي كافر في إناء يغسلونه سبع مرات أحداهن بالتراب وذلك لإزالة النجاسة .

### الباب الثالث

أحياء الأجتماعية في المجتمع الشارق  
الطبقات الاجتماعية



## الحياة الاجتماعية في المجتمع التوارقي

تعتبر الأسرة هي الخلية الصغرى في مجتمع التوارق وفي المجتمعات القبلية بصفة عامة. وتسمى الأسرة عند التوارق (إيدين) أي الخيمة وكذلك العرب أيضاً يسمون الأسرة (البيت) وهو الخيمة. وتكون الأسرة من الأب والأم والأولاد وعدد من الخدم حسب مكانة رب الأسرة. وتأتي بعد الأسرة العائلة أو العشيرة وتسمى عند التوارق (كل إيدين) وتتكون من عدد من الأسر تربطهم قرابة الدم وعادة ما ينحدرون من جد واحد للعائلة ويكون ذلك الجد غير بعيد. ويعيش مع هذه العائلة أو العشيرة مجموعات من العبيد والموالي التابعين لها.

المحلة أو الحي (أغيوان) ويكون الحي من مجموعة من العشائر أو العائلات التي ترتبط بروابط الدم مع مجموعات مواليهم. هي أشبه بالتجمع لدى عرب الصحراء. ويتعاون سكان هذا المجتمع في حفر الآبار وسقي الماشي وأعداد وحماية القوافل.

كما يؤسس الحي (أغيوان) عند بعض التوارق مسجداً للصلوة يؤدون فيه الصلوات ويجتمعون فيه ويكون مؤقتاً مصنوعاً من الحصر أو الحشاش اليابسة وهو أشبه بالковخ وعادة ما يكون بدون سقف وترف عليه مجموعة (إينسلمن) أي الفقهاء بالمجتمع (١) ويأتي بعد المجتمع هذا من ناحية السلم الاجتماعي القبيلة.

---

(١) - مشاهداتي الخاصة في بلاد التوارق.

## **القبيلة:**

والقبيلة وتسمى عند التوارق (توشيت) تتكون من مجموعة من الأحياء التي تنتهي إليها. وتحجّم في منطقة واحدة متقاربة تضمها منطقة من الرعي واحدة ومجموعة من الآبار ل斯基 حيواناتها ولشربها. وتحجّم القبيلة كافة الطبقات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع التارقي (النبلاء - الفقهاء - المولى - العبيد - الحدادون والمطربون). ويحجّمها الولاء المشترك لأحد الأحياء في القبيلة الذي يتولى رئاستها عن طوع خاطر. ويحجّمها كذلك جدًّ مشترك يجتمع عنده معظم أفراد القبيلة ويرأس هذه القبيلة شيخ يكون من أقوى العشائر فيها ومهتمه الدفاع عن القبيلة وتمثلها لدى السلطان كما يقودها في الحرب والسلم ويعتليها في الاجتماعات الرسمية لدى القبائل. وتحجّم مجموعات القبائل في المنطقة تحت لواء سلطنة واحدة.

والسلطنة (غمر) وهي اتحاد مجموعات من القبائل يحجّمها (الطلب) الواحد الذي يمتلكه السلطان الذي يعينه مجموعة شيوخ القبائل المتّحدة والمتّحالفه وتعتبر السلطنة كل الأرضي التي تتنقل فيها القبائل التابعة لها حدود أراضيها ومدار هيمنتها. ومن الغريب أن المدن التي تقع في مساحات السلطنتين تعتبر حايدة ومشتركة لكل السلطنتين بحيث يرد جميعهم إلى أسواقها لبيع منتوجاتهم وشراء حاجاتهم<sup>(1)</sup>.

(1) — انظر محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق، ص 62 .

## **الطبقات الاجتماعية عند التوارق**

يتميز مجتمع الصحراء الكبرى عموماً، والتوارق خصوصاً بوجود فوارق طبقية متباعدة ومتباينة لدرجة أن التزاوج لا يتم في أغلب الأحيان بين طبقة وطبقة أخرى إلا蔓در. وأن حرفاً معينة لا يقوم بها غير المصنفين في طبقة معينة وتعتبر مشينة لطبقة أخرى إذا ما قامت بها.

وأهم طبقات المجتمع التارقي الطبقات الآتية:

1 – طبقة النبلاء (إماجفن – إماشاغ – إموهاغ) :

وهذه الطبقة تتكون من أولئك الذين يتمسكون بالعادات والتقاليد التارقية العريقة. والذين ييرزون أنفسهم ويفرضون شخصيتهم على الآخرين سواء في الحروب أو يركزهم المادي أو قوة شخصيتهم. والسلطان وكذلك شيخ القبيلة يكونان من هذه الطبقة (النبلاء) وهناك قبائل تُعتبر نبيلة وب مجرد أن يذكر انسان أنه يتسمى إليها يُعرف أنه من النبلاء دون شرح للموضوع. ومن هذه القبائل :

(أ) – في أزواuge الأوسط:

كل نان – إراولن – تكرّمت – إخيرخيرن – تلميديس – إيظر ياضن – آقيران – كل آظار.

(ب) – في أزواuge الغربي ومنحني نهر النiger:

كل أهارا – كل تهنبات – إغطفانن – أودالن – إلوغمان – تنكر يكيف.

(ج) – في آخر :

كل قبائل (كل افرس) هي من النبلاء باستثناء عبيدهم ومواليهم.

(د) - في أزواغ الشرقي:

الشريفن - إكزكزن - كيل فروان - إفوغاس - إفدين.

(هـ) - في آيير:

كيل أواي - كيل تدلي - إيكزكزن - كيل فروان - إفوغاس - كيل فداي - إهقارن - كل  
اغاروس.

(و) - الهمقار وأزقر:

كل أغلا - تيطوق - إمنغستان - إفوغاس - أوراغن - إلطيين - إمنان.

(ز) - وفي اضفانع:

(جبل) إفوغاس) إفوغاس - إدنان.

ويقول محمد عبد الرحمن عبد اللطيف: «وأصحاب طبقة النبلاء لا يقرون بأي نشاط خاص بهم . ولا يهتمون بالتعليم . ولا بأي نوع من الثقافة . وإنما يقتصر نشاطهم على دعوى سيطرتهم على الطبقات الأخرى ونهب ممتلكاتها كلما سُنحت الفرصة بذلك وبكل الوسائل بما في ذلك العنف والخداع<sup>(١)</sup> .

## 2 - طبقة إمفاد:

«وقد تكونت هذه الطبقة من الأسر والعشائر التي لم تساعدها الظروف على التمسك بالعادات والتقاليد الطارقية . ولم يلزم أصحابها أنفسهم بالمحافظة على الضوابط الاجتماعية الصارمة التي يلتزم بها النبلاء . وذلك إنما لكونهم لا يطمعون في توسيع السلطة ولا يرغبون في فرض أنفسهم على غيرهم من القبائل . أو لكونهم من قبيلة مقهورة تغلبت عليها قبيلة السلطان فأخضعتها أو كانت من قبيلة غريبة وفقدت إلى المنطقة وهي في حالة ضعف يكفيها أن تحصل على السماح لها بالإستضافة ورعاي مواشيها في مضارب القبائل المضيفة . مقتنة بانضمامها إلى رعايا القبيلة الحاكمة . ومن أشهر قبائل هذه الطبقة:

(١) - محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق . ص ١٩ .

(أ) - في أزواج الغربي (اضفاغ):

كيل ولّي - إلكان - إركناتن - أبو غليتن.

(ب) - في أزواج الشرقي:

إينكلان - إلبيكان - المكراون - إيتكان - كل تيكورت - إظميات - إبرضيان - كل البردة.

(ج) - في الآيير:

إيركالن.

(د) - في الحقار وآزقر:

كيل ولّي - تاغت ملت - امرغرسن.

ويقتصر عمل الأيمفاد على حرفة الصيد خدمة لأسيادهم (النبلاء) ويأخذ منهم السلاطين مرافقين لهم لخدمتهم. كما تأخذ نساء النبلاء مساعدات وصديقات من نساء رعایاهم إيمفاد التابعين لهم . . .<sup>(١)</sup>.

وأفراد طبقة الأيمفاد هم عاربون أشداء ويتخذ منهم السلاطين جل جيشهم.

3 - طبقة الفقهاء (إسلمن):

تكونت هذه الطبقة من مجموعات من الأفراد تفقهوا في الدين وتفرغوا له وتولوا عملية نشره بين التوارق وتحفيظ القرآن لأبناء الطبقات التي ترغب في تعليم أولادها.

وتكونت هذه الطبقة لدى التوارق بعد ظهور الإسلام. وهي طبقة محترمة يقدّرها الجميع وينظرون إليها على أنها المحافظة على الدين الإسلامي في مجتمع التوارق.

وأفراد هذه الطبقة في العادة لا يحملون السلاح ويلجأون دائمًا إلى حمى طبقة النبلاء التي تتولى الدفاع عنهم وحمايتهم.

(١) - محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق، ص 20 .

ويكون الامام دائياً في سلطنت التوارق من هذه الطبقة .

وتسمى هذه الطبقة (إيزوغن) أي المزاوغة .

وقد يسميهم النبلاء انتقاداً لقيمتهم (ابروكورين) أي تعييراً لهم بلونهم الأبيض الأحمر على غير عادة لون توارق المنطقة المائل للسمرة وهذه الطبقة تحمل لواء اللغة العربية وأدابها وفقه اللغة والأدب وهي في الغالب تنتهي إلى أصول عربية وبعضها ينتهي (لبني هاشم) حيث يدعون الشرف .

ومن أشهر قبائل هذه الطبقة :

(أ) - كل أغلال: وهم فرع من قبيلة الأغلال المتواجدة ببلاد شنقيط .

(ب) - الشريفن: ويتسبّبون لبني هاشم .

(ج) - آيت أواري: ويقولون إنهم جاءوا من الشمال من جبل هواري وقد ذكرنا أنه موجود بالقرفة بليبيا .

(د) - داهمنا .

(هـ) - إزاويتن: وهي بعض قبائل الزوايا الموجودة بموريتانيا .

(و) - أجوالجواتن .

(ز) - إكدان: بقية قبيلة قدالة الصحراوية .

(ح) - إداوسحاق: جزء من قبيلة إداوسحاق بموريتانيا وهي عربية .

(ط) - كيل النصر: تنتهي إلى الأنصار بالمدينة المنورة قيل أنهم جاءوا إلى شمال إفريقيا هرباً من فتنة علي ومعاوية .

(ي) - إيكلايد .

(ك) - الشيixin (كونتا): وهي قبيلة عربية تنتهي إلى عقبة بن نافع الفهري ولهم شجرة نسب بذلك .

(ل) - كل السوق: قبيلة عربية جاءت من برقة ولالتزامها بالتعليم في سوق القرية (تضمكـات) اسموهم أهل السوق.

(م) - إمسوفن: ومعناها الصحراويون وهم بقية قبيلة مسوفة التارقية القدمة وقد عارض علماء مسوفة الفقيه عبدالله بن ياسين عندما جاءهم وناظروه كثيراً وانشقوا عليه.

ومسوفة، وأهل السوق. متخصصون في الخط العربي وكتبوا الكثير من الكتب بأقلامهم ونسخوها وكذلك مصاحف القرآن الكريم كما اتخذ منهم السلاطين كتبة ومحررين لرسائلهم.

ومن أشهر قبائل كل السوق:

كل تبراق (أهل برقة) - وكل تقلالت - وكل تنفاكري كل اسكن - كل تنكري يكدىش.

وقد نزح كل السوق من مديتها التي دمرتها الحروب والجحاف إلى مناطق أزواغ الغربي، ومنحني نهر النيل ثم إلى أطراف مناطق أزواغ الأوسط وقد بقي بعضهم في إفوغاس.

٤ - المدادون: (الصناع التقليديون):

(إينيسن - إيكنوان - إيكدمان).

يقول التوارق إن هذه الطبقة ترجع إلى عصور قديمة وأصول قديمة ويسميها التوارق (إينيسن) ومعناها بلغتهم ابن العصر القديم . ومفردها (إيناشر). ويقول التوارق إن الكتابات والنقوش القديمة في الصخور والكهوف هي من صنع (إينيسن). وهذه الطبقة تختكر الصناعات التقليدية وهي التي تصنع كل لوازم الحياة في الصحراء. كالمواد المنزلية. القصاع. الأقداح. والخيمة من الجلد. وأوتاد الخيمة. وركائزها. ورواحل الإبل. وسروج الخيل وتجهيز الإبل بالأكياس الجلدية المنقوشة والمطرزة كما يصنعون آلات الحرب. الدرق. الرماح. والسيوف والخناجر.

ويصنعون الخل لنساء الرجال. كالخواتم. والأقراط. والأساور. والخلانخيل. والمجوهرات وصياغة المعادن. ولقد شاهدت الصناعات التي تصنعها هذه الطبقة في الصحراء فكانت على درجة عالية من الاتقان والجهد والنقوش المميزة بالصحراء.

ولقد شاهدت أن بعض الحدادين يصنعون أحصى البنادق ويصلحونها وأخرين يقلدون أي حلية ترغب أن يصنعوها لث بمقاس نفسه والنقش نفسه والمعدن نفسه وإن شئت الميزان نفسه.

وما يزيد المرأة إكباراً بدقتهم وقدرتهم العجيبة أنهم يصنعون ذلك بآلات بدائية ويصهرون معادنهم في بوتقات على نار الخشب أو الفحم النباتي التي يؤججونها بمنافيج يصنعونها من الجلد والخشب بطريقة فريدة ومتقدة.

وكل مجموعة من الحدادين أو الحرفيين يتبعون قبيلة من قبائل الصحراء التوارق أو غيرهم . وينسبون إليهم . ويقوم هؤلاء الحرفيون بخدمة أسيادهم من القبائل الأخرى بحيث يُنسب الحداد لسيده . حتى في ذبح الشاة وسلمخها وتقطيع لحمها لا يقوم به إلا الحدادون . ويعتبر غيرهم هذه الحرفة منقصة لهم . وقد ذكرتني هذه الحادثة بكسلية الذي أمره عقبة بن نافع بسلح شاة واعتبرها إهانة حسب عادات أهله وبذلك انقلب على عقبة وقتلها في القصة المشهورة وارتدى عن الإسلام . رحم الله عقبة فإنه لا يعرف عادات قبائل المنطقة وبذلك خسر نفسه بخطأ كان بقدوره أن يتلاوه .

وحتى اللحم عند توزيعه على الأكلين للحاداد لحمه المتعارف عليه . فهو دائمًا نصيف الرقبة والرأس والأرجل ، ولا يناولونه أطيايب اللحم كما يفعلون مع (النبلاء أو أئسسلم).

وأهم قبائل الحدادين أو بالأصح تجمعاتهم :

- 1— **إ يكنوان** : التي تخصص في صناعة الطوب والخزف وأواني الطبيخ والقدور وقلل تبريد الماء وقلل حفظ اللبن والسمن وغيرها .
- 2— **إ يكممات** : يتخصصون في صناعة الحصر . وفرش المنازل واحتياجات الخيمة .

وهو لا ، الحرفيون يقومون أيضاً إلى جانب حرفهم هذه باستقبال الضيوف وترتيب الضيافة لضيوف أسيادهم . وإحياء حفلات السمر إذ يقومون ببعض التمثيليات البدائية المضحكة حيث شاهدتها عدة مرات في مناطق الصحراء وفي مناسبات الأفراح .

ومن الحرفيين هؤلاء تخرج طبقة المغنين والشعراء والمداهين الذين يسمون  
(يقيّون) أو (تيقيّوت).

وسكان الصحراء جمِيعاً يخشون السنة هؤلاء الحرفيين إذ إن هؤلاء الناس عندهم لا يحفظون سراً وهم ثرثرون ويضربون المثل بثرثتهم . وهم طماعون جشعون وتضرب الأمثال بطعمهم وجشعهم . وتروى الكثير من التوارد عن طبائعهم وجبنهم فهم لا يشتركون في المعارك ولا يخوضونها . وهم أتباع من غالب بالرغم من حذقهم صناعة الأسلحة .

وسكان الصحراء لا يردون طلباً هؤلاء المغنين حتى إن أحد أمراء منطقة (تمكانت) في موريتانيا أصيب في إحدى المعارك في يده . ولم يستطع الأطباء الشعبيون علاجها وتعافت يده وأرادوا قطعها حفظاً لسلامته فرفض . فأوزعوا لأحد المغنين الذي قدم بفرقته وأنشد مدح هذا الأمير في قصيدة طويلة مشهور يقول في مطلعه :

قوّات ارياموا كاملات في الضيق منين ايقاتن  
صبحوا عندو مترجمات اليوم التيديناتن

ومعناها الرجل الذي يشبع الجوعانين في سنوات الضيق والقطط وال الحرب أصبح  
اليوم عنده المداهون يتذلونه ويسألون العطاء .

ولما سأله الأمير الشاعر ماذا يريد أن يعطيه؟  
أجاب الشاعر: أريد يدك المريضة .

وهنا قدم الأمير يده للقطع بالطريقة البدائية ويدون أي مخدر وناوحاً للشاعر الذي  
أخذها ودفنتها بعيداً<sup>(١)</sup> .

## 5 — العبيد والموالي : (إيكلان - إيدرفان - أبروكن) .

هذه الطبقة أغلبها من السود الذين كانوا يستخدمون لدى القبائل القوية . وقد

(١) — هذه القصة سمعتها في ليلة سمر في موريتانيا من المطرب محمد ولد النانا ١٩٧٣ . وهو من المطربين في الصحراء (تقير) .

امترووا بالمجتمع التأريقي وأصبح كل شخص ينتمي إلى قبيلة سيده. وعلى مدى الزمن تحرروا وأصبحوا جزءاً من قبائل التوارق التي صاروا ينسبون إليها.

وقد جاءوا في البداية كرقيق من أفريقيا عن طريق الشراء أو الخطف أو الإغارة. ولكن آخرين منهم قدّموا أنفسهم كعبيد بطوع أنفسهم لينقلهم أسيادهم الجدد من الجموع في سنوات القحط والمجاعة. وليس شرطاً أن يكون هؤلاء سود البشرة بل قد يكونون بيض البشرة، جاءوا في البداية إلى مجتمع التوارق كأسرى حرب من قبائل أخرى وبعضهم من قبائل التوارق أنفسهم.

ويشتغل هؤلاء العبيد والموالي بالرعى لأسيادهم وخاصة رعي الإبل وهم مقتشعون بذلك. وقد حاورت أحدهم ذات مرة عندما وجده يرعى الإبل في الصحراء عام 1973 وطلبت منه أن يرافقني إلى ليبيا ليشتغل هناك حرّاً بعيداً عن العبودية. فأجابني ولن أترك إبل سيد؟ أجبته أتركها له يرعاها. فضحك مني وهو يقول سيدى لا يرعى الإبل. وتركني والتحق بقبيلته التي ابتعدت عنا.

كما يقوم هؤلاء بالزراعة وأعمال المنازل كخدم منازل وجلب المياه من الآبار والخطب لاشعال نار المقد في الخيمة وليس هؤلاء الناس قبيلة مخصوصة وإنما هم متوزعون في كل القبائل.

أما الموالي: فهم أبناء العتقاء الذين كانوا في البداية عبيداً وتحرروا منذ عهود الإسلام الأولى. وأصبحوا يزاولون أعمالاً لهم الخاصة ضمن قبائلهم المتواجدين فيها.

وتسمى هذه المجموعة في موريتانيا (الحراطين) وقد يتزوج السيد من أمة فينتفع أبناء هجيمنا يصبح حرّاً بحكم مولده. وهكذا يتکاثر السود في القبائل الصحراوية والتارقية من أبناء الإمام وخاصة في سلطنتان (تمزقدا) و(كيل اقرس) و(آير).

## الباب الرابع

أحياء الاقتصادية عند النوارق  
وسيطرتهم على طرق القوافل



## الحياة الاقتصادية عند التوارق

يشتغل التوارق بتربية الحيوانات وخاصة الإبل والماعز وأنواع من الضمان تخص المنطقة تدعى (تيهري) ليست لها أصوات ولها ذيل طويل وأجسامها مغطاة بشعر قصير كشعر البقر كما يرثي توارق الجنوب المتواجدون في منطقة السافانا - حيث المياه وفيرة - البقر.

ويتخد التوارق من ألبان الإبل والبقر طعامهم الرئيسي وكذلك من لحومها. كما تدهن نساء التوارق شعورهن وأجسامهن بالسمن.

ويقوم العبيد والموالي برعي هذه الماشي وتتفقدا وسقيها والسهير عليها.

وينتقل التوارق من مناطقهم نحو المناطق الممطرة تبعاً لرعاي مواشيهם.

وكذلك يرحلون في الخريف نحو المياه المالحة ل斯基 الإبل التي تحتاج للملح في فترة من السنة وإلا نفقت.

ويختقر التوارق الزراعة ولا يحسنونها أصلاً. ويعتبرونها من عمل العبيد والطبقات السفلية. ولو أن بعض السلطانات في الجنوب المتواجدة على نهر النيجر مثل سلطنة (كل اقرس) تقوم بزراعة الذرة والدخن وبعض الخضر ولكن بكميات صغيرة. ويشتغل التوارق بالصيد وخاصة الغزلان والوعول والنعام والزراف. وقد شاهدتهم في أسواق النيجر ومالي يبيعون اللحم المقدد. والجلود. ودهن النعام الذي يوصف للعلاج (الزهم) وكذلك بيض النعام وريشه. كما أنهم يقدمون إلى غات وإلى مرزق بقوافلهم المحملة بهذه الأشياء ويشترون بدها التمر والشاي والسكر وبعض المقتنيات الفالية والقمash. وعندما كنت في درج وغدامس عام 1959 - 1962 شاهدت بعضهم يجلب الحطب من

الصحراء في قوافل من الإبل ويبيعه في الأسواق ليتّخذه الناس لطهي طعامهم قبل اكتشاف النفط والغاز.

ويعتمد التوارق في غذائهم على التمر واللبن واللحم ويصنعون من التمر بعد أن يدقوه في الماء (تابكة).

كما يتغذون في سنوات الأمطار ببعض الحبوب البرية التي تنمو في الصحراء وكذلك الكمة التي يجمعونها ويشرحوها ويفقونه ويبيعونها في الأسواق. وقد لاحظت ذلك في أسواق غدامس وغات.

كما أن التوارق يعتمدون في اقتصادهم ومعيشتهم على الغارات القبلية حيث يخطفون مواشي القبائل المجاورة وأحياناً حتى أفراد القبيلة حيث يستعبدونهم ويستغلونهم أبغض استغلال.

ويقومون في سنوات الجفاف بغزوات للمدن المجاورة لنهاها كما فعلوا. (تينبكتو).  
بعد غزو المغاربة لها في القرن الثامن عشر بعد ضعفها.

«ولما كان التوارق يحتلون الصحراء المحيطة بالمدينة من ناحيتي الشمال والجنوب فقد ظلُّ الخطر ينجم على تينبكتو وظللت الغارات تداهمها دون توقع وعلى حين غرة»<sup>(2)</sup>.

كما أن موقع التوارق في وسط الصحراء الكبرى جعلهم حلقة وصل بين الشمال الأفريقي المغارب. الجزائر. تونس. ليبيا. وبين قبائل الهمسا في مالك كام. وقررو. (نيجيريا الحالية) وكذلك سكان بحيرة تشاد. ووسط أفريقيا وحتى بلاد غانا فهم تجار قوافل. ينقلون إلى الجنوب الملح الذي يحضر ونه من (بلها) ومن (تاودني) وهو من السلع النادرة قدّهاً بحيث كان العبد يستوري بموضع قدمه ملحًا. أو أن الملح يباع بوزنه ذهباً<sup>(3)</sup>. كما ينقلون القهاش والأغطية والفرش المصنوعة من الصوف القادمة من الشمال.

(1) - تينبكتو / مدينة في شمال مالي أسسها التوارق ومعناها عندهم (تب) أي مكان أو موضع و(بكتو) إسم امرأة قالوا أنها خادمة كانت غنية لبعض أشياء التوارق في ذلك الموقع.

(2) - رحلتان عبر ليبيا / رسائل الكسندر جوردون لينج 1824 - 1826 .

(3) - لابورى / مؤلف هندي بالفرنسية عن احتلال مولاي الذهبي لتينبكتو / مترجم .  
خي بابا شيخ / ازداد، خطوط مكتبة المؤلف. ص 7 .

ويحملون من الجنوب الذرة والدحن والأرز إلى منتجاتهم، ثم يسرون في قوافل إلى الشمال تحمل ريش النعام والجلود والسيوف والدرق، والإيل. حيث يبيعونها في أسواق غات، ومرزق وتوات، ويعودون ومعهم مصنوعات الشمال. ولما كانت طرق القوافل من الشمال إلى الجنوب وبالعكس مزدهرة قبل الاحتلال الفرنسي للمنطقة، سيطر التوارق على طرق هذه القوافل وكانوا يأخذون الآتاوات عنها وكذلك أجرا الخبرة لقيادتها وحمايتها وإنما فإن هذه القوافل تتعرض للنهب من قبلهم.

وقد تسير القوافل في حياة قبيلة معينة فتهاجمها قبيلة معادية وتستولي على القافلة.

وكانت الطرق الشهيرة نحو الجنوب عبر الصحراء:

- 1 — المغرب عن طريق تيفلات تيندوتف تينبكتو.
- 2 — الجزائر عن طريق عين صالح، توات، تمنغست، زندر، أغادس، كانو.
- 3 — الجزائر عن طريق تمنغست، عين قال، تيسالا، كانو.
- 4 — ليبيا عن طريق طرابلس، غدامس، غات، أقدار.
- 5 — ليبيا طرابلس، غدامس، غات، تانوت.
- 6 — ليبيا طرابلس، مرزق، أقدار.
- 7 — ليبيا طرابلس، مرزق، وادي، كائم.
- 8 — ليبيا بنغازى، الفقرة، وادي، كائم.
- 9 — ليبيا بنغازى، الفقرة، مرزق، أقدار.
- 10 — مصر عن طريق الواحات، الفقرة، مرزق إما إلى وادي أو إلى كائم.

ويسيطر التوارق تقرباً على جميع هذه الطرق ويستفيدون منها إما بخباء وإما بحاجة لها وإما ينهبونها.

وكان القماش المتنوع الأشكال والبسط والمنسوجات الليبية والمصرية وخاصة القماش الأزرق ذا الصبغ الكحلي الذي يعلق بالجسم هو أفضل ما يقتنيه التوارق ومن أغلى

ملابسهم ويتحلدون منه القمصان الواسعة والعبائيم. ويسمونه (طارى) ولا يمكن أن يتم مهر العروس بدونه - يأتيهم من مصر عبر ليبيا.

ولسيطرة التوارق على طرق القوافل وقفوا حاشلاً ولسين طويلة ضد الرحلات الأوروبية الاستكشافية للمنطقة والتي مهدت لسيطرة الاستعمار الحديث متذداً الطرق نفسها التي سارت فيها بعثاته.

### لباس التوارق:

يستمر أطفال التوارق في أغلب الأحيان بدون لباس حتى سن السابعة أو الثامنة وحينها يلبسونهم قميصاً واسعاً ومشقوقاً من الجانبين أو هو بالأحرى قطعة قماش مربوطة من الجانبين ومشقوقة في الوسط حيث يدخل الولد رأسه. وينخرج يديه من جانبيها الواسعين جداً.

ويترك الولد رأسه عارياً يزيشه سطر من الشعر في مقدمة رأسه إلى مؤخرته ويمحى الباقى.

وبعض القبائل تترك للولد قطعاً من الشعر في المقدمة والوسط والمؤخرة وفي الجانبين على شكل قرنين ويحملق الباقى.

أما البنت فترى عارية في السنوات الأولى ويسترون عورتها بقطعة جلد. هذا في الماضي، حتى تصل السن السابعة حيث يلبسونها الملحفة التي تلبسها نساء التوارق.

وتترك المرأة التارقية وجهها عارياً بعد أن تلبس مجموعة من القمصان الواسعة والتي تتجزء على الأرض خلفها عندما تسير مثيرة الغبار وراءها. وترتبط رأسها بخرقة بعد أن تضفر شعرها بطريقة مربعات جليلة وصفائح صغيرة تجتمع في صفيحة كبيرة من كل جانب تلوي للخلف وتتوسع في لفافة من القماش.

أما الشاب فإنه عندما يصل إلى سن البلوغ يلبسونه العمامه في حفل بهيج ويتشتم حيث يستر وجهه كما يفعل الرجال الكبار ويحملقون له مقدمة رأسه ويترك وسط رأسه بدون حلقة حيث يطول شعره ويباهي به وأحياناً يخرج من أطواق العمامه. وقد شاهدت مثل هذه الحلاقة في قبائل العرب بمنطقة (أبو ظبي) بالخليج العربي.

ويعتبر التوارق كشف الفم عيّاً.

ويلبس الرجل قميصاً واسعاً (دراعه) وأحياناً في الاحتفالات يلبس أكثر من قميص يكون أحدها أزرق مغمساً بالبنية التي ترك آثارها على جسم التارقي وجهه ويديه، كما يلبس عمامتين أحدهما زرقاء بنية.

وسكان الصحراء عموماً يلبسون هذا اللباس الذي تلتصق أصبعاه بالجسم. ويقولون إنه يمنع البرد والحر كما يحفظ الجسم من تشققات البرد والحر.

ويلبس التارقي سروالاً واسعاً يتدلّى حجره إلى كعبه. ويلبس مداداً مصنوعاً من جلد البعير ويسمونه (ريحية). وقد يتمتنّق بسيفه ويجر رمحه في يده. كذلك السيف يكون طویل النجاد بحيث ينجر على الأرض وقد يزيّن زنده بسوار من العاج أو المعدن حاد الطرف الخارجي يستخدمه في الضغط على رقبة الخصم عند النزاع والقتال بالأيدي<sup>(١)</sup>.

كما يزيّن التارقي ذراعه بسکین في غمد له حلقة يدخل فيها يده. ويمسك بترس مصنوع من جلد جاموس الماء كما يزيّن التارقي صدره بمجموعة من الأحجوبة والتعاويذ الجلدية والمعدنية مربوطة في سير من الجلد معلق في رقبته مهمتها حفظه من العين والحسد. وللهيبة والقبول. وببعضها ضد الرصاص ولنصر على الأعداء. كما يزيّن عمامته هي الأخرى بتعويذة أو اثنتين يحرص على أن تظهر في واجهة رأسه عندما يتعمّم. وقد يزيّن أيضاً رقبة جمله بتعويذة (حجاب) لتحميّه من العثار وتساعده على الجري

السريع ١١

وإذا سار التارقي بين الخيام أو في موقع يراه الناس فهو يسير وثيداً. بارز الصدر مرفوع الرأس حتى يستطيع أن يرى الطريق من فجوة اللثام التي يتعمّد تضييقها في هذه الحالة متعملاً بدماسه يمشي بخطوات واسعة وبطيئة مبعداً بين رجاليه حتى لا يجرح المدارس الكبير رجله الأخرى عند تنقل خطواته وكثيراً ما يتمزق السروال من تحت من جراء حافات المدارس الحادة.

(١) — مشاهداتي الخاصة. وانظر فريديريك هورغان / رحلتنا عبر ليبيا / مكتبة الفرجاني، ص 154 - 155 .

أما إذا سار وحده فإنه يسرع في المشي رابطاً وسطه بحزام من الجلد. يقفز فوق جمله كالقط. حافي القدمين يعقدهما على رقبة الجمل ليجعل منها مهمازاً لحمله. ماسكاً بيده خطام جمله المثبت بحلقة من المعدن في أنف البعير ليسهل قياده. وقد علق على جوانب الراحلة (تيركت) غرائز من الجلد من صنع الحدادين يضع فيها كل ما يلزمه في رحلته من زاد وماء.

وعلى مقدمة الراحلة جهة اليمين تعلق قصعة صغيرة من النحاس تسمى (أمناس) يسقي فيها التارقي جمله ويشرب هو فيها ويتناول فيها طعامه وإذا جاء فصد جمله وأخرج دمه في تلك القصعة ووضعه على النار وطبخه وأكله.

وفي الأفراح عند التوارق حيث يسابق التارقي بجمله فإنه لا يضع على جمله أحلاً زائدة. وإنما يضعون الراحلة فقط وهي عبارة عن سرج من الخشب من صنع الحدادين ملبّس بالجلد ومزخرف. ومقدمتها على شكل رجل دجاجة ويسمونها الدجاجة. وقد كتب بعض الفرنسيين مبيناً أن الراحلة بمقدمتها المثلثة هي بقايا النصرانية عند التوارق لأنها تشبه الصليب. كما قالوا إن ذلك هو حرف التاء (+) عند التوارق!

وإذا جاز هذا فإن الدجاج كان مسيحياً لأن رجله مثلثة وكذلك الغراب وبقية الطيور!

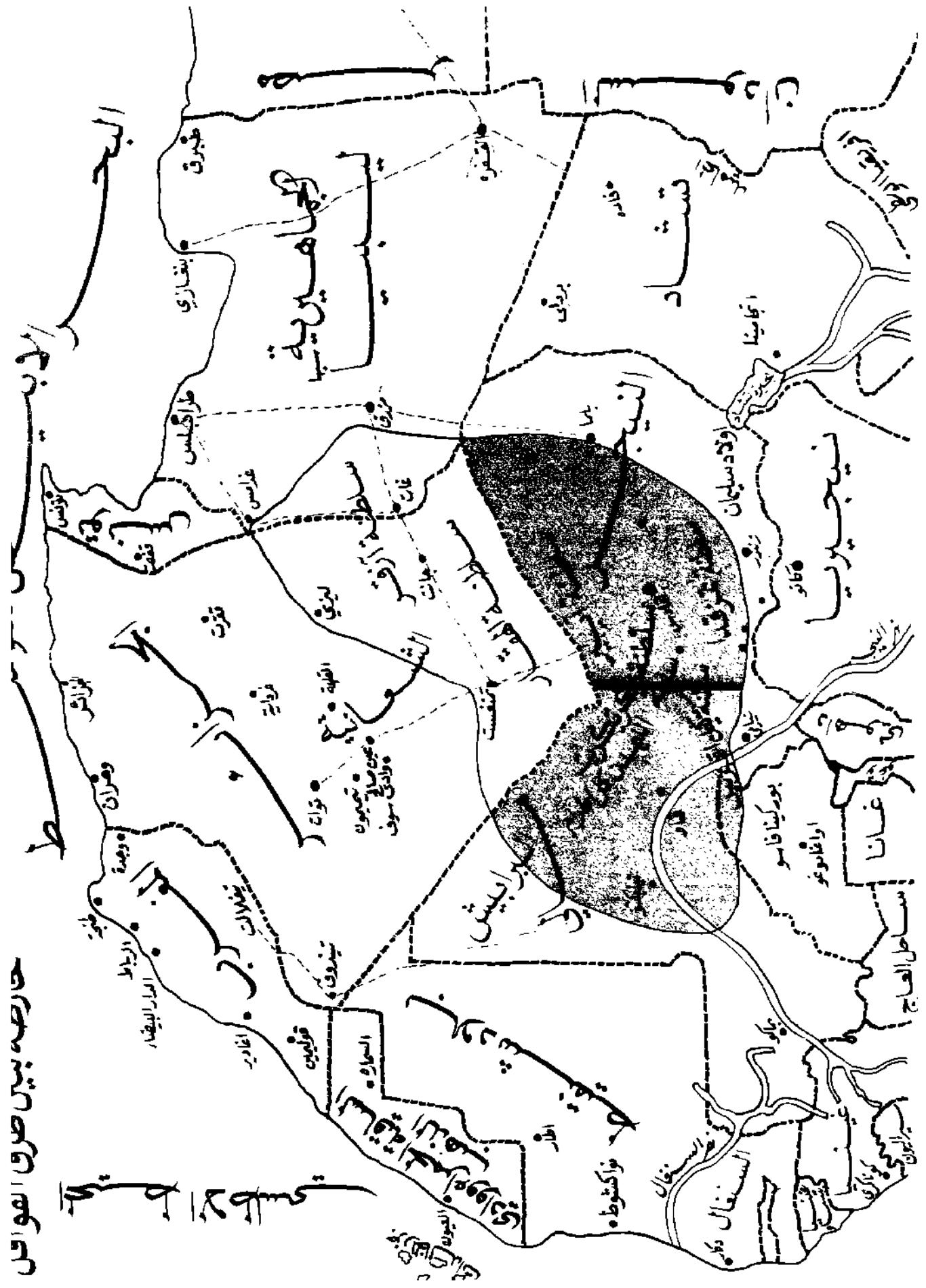
إن مقدمة الراحلة لا علاقة لها بالمسيحية وإنما جاز أن التوارق جعلوا مقدمة الراحلة هلاماً بعد الإسلام

والتوارق من أبرز العرب في ركوب الإبل والتسابق بها.

ويقول عبد القادر جامي:

«إن هؤلاء ذئاب الصحراء المتصفون بما يحيى العقول من الصبر والتجلد. يشربون دم الإبل التي يركبونها في أثناء السفر الطويل والغزوات. ومنهم من يقطع من شحوم الذروة جزءاً يقتات به ليتمكن منمواصلة السير والبقاء على قيد الحياة»<sup>(1)</sup>.

(1) - عبد القادر جامي / من طرابلس إلى الصحراء الكبرى / ترجمة محمد الاسطى، ص 174 .



## مساكن التوارق وطعامهم

يسكن التوارق خياماً مصنوعة من الجلد أو الخصير أو القش وبعضهم يسكن الكهوف.

ويقول عبد القادر جامي:

«عندما بحث المؤرخ الشهير هيرودوت عن الليبيين قال: «قبائل رحل مساكنهم أكواخ من الحصر والبردي المضفر ينقلونها متى شاءوا إلى أين شاءوا غذاؤهم لبن الصنان ولحمه».

إن تعريف هيرودوت بمعيشة ومساكن الليبيين ما زال قائماً عند أحفادهم (التوارق) <sup>(١)</sup>.

والتوارق يأكلون ما يجدونه وغذاؤهم غير معقد وهم صبورون على الجوع والعطش. غذاؤهم الأساسي اللحم واللبن ومتى وجدوا هاتين المادتين لا يطلبون سواهما. ويأكلون الذرة والدخن. وفي الشحال يأكلون القممع والشعير في مناطق آزقر. وأيام، والمغار. ويطحون برحى بدائية من صنعهم، وهي عبارة عن حجرين توضع بينهما الحبوب وتندفع الخادمة الحجر الأعلى على الأسفل يسمونها (ويكة) وبعضهم تطبع بعادات التبو فيطبخون بنور المختزل ثم يدقونها بعد تحميصها ويأكلونها وحدها أو يخلطونها مع التمر. ولقد أكلتها مرة عندهم وكان طعمها مقبولاً وحالياً من المراة.

والتوارق حرريصون على تناول طعامهم بالملاعق. وكل تارقي يضع دائماً ضمن زاده

(١) - عبد القادر جامي / المصدر السابق، ص 173 .

الملعقة لتناول الطعام. وإذا فقدها عمد إلى شجرة واقتطع منها عوداً وشكلاه على شكل ملعقة ويتناول به طعامه»<sup>(1)</sup>.

وإذا وجد التارقي الطعام فإنه يأكل بشرابة وبكثرة وإذا فقده فإنه يصبر على الجوع دون أن يتبرم.

واللحم المشوي شيء أساسى لدى التوارق فهم يشعرون النار ويضعون اللحم في الرمل الحامى حتى يصير أقرب للنضج فيخرجونه ويأكلونه. وأكلت معهم عدة مرات هذا الشواء وكان أحياناً شبه نيء.

ويعدون إلى معدة الحيوان ويفتحونها فتحة صغيرة ويخرجون محتوياتها ويفسونها ثم يضعون بداخلها قطع اللحم والكبد والكلى والقلب والرئة ويضعون معها الملح. ثم يشعرون النار ويضعون فيها الحجارة الصوانية الصغيرة ويتركونها حتى تحرّر من النار. ثم ينطفئونها بأيديهم ويضعونها الواحدة تلو الأخرى في داخل معدة الحيوان المعدة للنضج. ويمسكون فمها باليد الأخرى ويحركونها بشدة وكلما انتفخت وقاربت الانفجار يفتحون لها قليلاً ليخرج البخار وهكذا إلى أن تبرد الحجارة ويكون اللحم قد نضج. وهنا يفتحون المعدة. وينخرجون الحجارة حيث يرمونها بعيداً ويتحلقون حول الشواء يأكلونه بنهم وقد أكلته معهم مرة ولم استسغه لأن طعم الفرت لا زال عالقاً به. وربما مرد ذلك لعدم غسلهم المعدة جيداً.

والتوارق لا يأكلون الدجاج ولا بيضه. فلقد قدم البيض لأحد التوارق في غات فرفضه ولما سأله لماذا لا تأكل البيض؟ أجاب: (إنني أعرف أنه أين ترعى)<sup>(2)</sup>.

كما يأنف التوارق وكل عرب الصحراء الكبرى من أكل خشاش الأرض والطيور التي عادة تكون وسخة مثل الدجاج.

ولكن عبد القادر جامي يقدم لذلك سبباً غير هذا فيقول في الهاشم:

«يقتضي المذهب الخارجى الذى اعتنقته قبيلة (برغواطة) الكبيرة فان أوقات الصلاة

(1) — عبد القادر جامي / المصدر السابق، ص 174 .

(2) — نادرة سمعتها تروى في غدامس عن التوارق.

تعين بصياغ الديوك لذلك حرم عندهم أكله . وحيث إن هذه القبيلة انقرضت نتيجة مهاجتها من طرف دولة المرابطين التي أسسها الصنهاجيون أجداد التوارق فمن المحتمل أن هذا الاعتقاد انتقل إليهم حيث أن تسرب عادات واعتقادات الشعوب المغلوبة إلى الأقوام المحتلة الغالبة حقيقة تاريخية متكررة . . .<sup>(1)</sup>.

غير أنني لا اتفق مع عبد القادر جامي في هذا الاستنتاج فالتوارق جميعهم سنيون مالكيون ولم يعتنقوا المذهب الخارجي الذي سرى في شمال أفريقيا سواء الصفرى أو الأباضي ولو أنها نجد رائحة الشيعة في بعض تصرفاتهم فمرد ذلك إلى الحكم الفاطمي الذي حكم شمال أفريقيا في فترة من الزمن وما زالت بعض العادات الشيعية تلاحظ في احتفالات عاشوراء ولولد النبي عند كل سكان شمال أفريقيا والتوارق من بينهم .

ونرجع إلى الحديث عن طعام التوارق في صحرائهم فهم يجفون الكمة التي يجمعونها في فصل الربيع ويأدمون بها طعامهم .

ويقول محمد عبد الرحمن عبد اللطيف :

«وتوجد حبوب برية تنبت مع الحشائش إذا نزلت الأمطار بغزارة مثل الأرز والشعير (أشغور) و (إيشبيان) وهي حبوب تشبه الأرز في الأصل إلا أنها صغيرة جداً وغالباً ما يعيش عليها السكان في فصل الخريف الذي تكثر فيه الحبوب والبقول البرية . . .<sup>(2)</sup>».

كما ينضجون خبزهم على الجمر ويسمى (تاجلة) ولصنعها طريقتان : إحداهما يكون العجين مهاسكاً كما يعجن عند كل الناس ويستطيع ويشكل على شكل دائري ويوضع على الجمر ثم يغطى بالرمل المحمر بالنار ويترك حتى ينضج . وأحياناً تشعل النار فوقه وهو تحت الرمل حتى ينضج .

والطريقة الثانية توضع حجر مسطح في النار ويترك حتى يحمر والنار تشتعل فوقه ومن حوله . وبعد أن يحمر يمسح أعلىه من الجمر بأغصان الشجر ويعملدون إلى الدقيق المذاب في الماء على شكل سائل كالحساء ويُسكبونه فوق الحجر المحمر ويترك قليلاً فيصير خبزاً ناضجاً .

(1) - عبد القادر جامي / المصدر السابق، ص 171 .

(2) - محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر نفسه، ص 58 .

ويدخل التوارق اللبن في عدة أنواع من طعامهم . يطهونه مع الدقيق فيصير حساء ويأكلونه . أو يشربونه مع التمر أو يادمون به الأرز أو كسكسي القمح أو كسكسي الشعير (المثلوث) .

كما يستخدم التوارق التبغ (المضعة) بكثرة وينزونها في أكياس صغيرة مصنوعة من الجلد ويضعونها في جيوبهم حيث يتناولونها بين الحين والآخر بتخزينها في الفم كطريقة اليمنيين في تخزين القات .

## أثاث التوارق

ويتكون أثاث بيت التارقي من قطع قليلة حتى يسهل حملها عند الرحيل فتجد في خيمته المصنوعة غالباً من الجلد والمرفوعة على بعض الأعمدة تجد بها فراشاً من الصوف عادة ما يكون مستورداً من ليبيا (الكليم المصارati) أو من الجزائر (الزربة) أو من المغرب وذلك لفرشه للضيوف. وكذلك حقيقة أو حقيقتين من الجلد تضع فيها المرأة التارقية الدقيق في مزاود من الجلد ولوازم الأكل في جلود أخرى أصغر منها.

وكذلك بعض القدور والتي يكون بعضها مصنوعاً من الطين. وهاوناً خشبياً أو من نحاس. وكوباً من نحاس لشرب الماء وعددًا من الملاعق بعدد أفراد الأسرة تكون مصنوعة من الخشب وعددًا من القرب بجلب الماء وقطعة حديد دائري الشكل لاعداد الخبز وملعقة كبيرة لسحب المرق من القدور ورحا مصنوعة محلياً من الحجر وبعض الأكياس للحبوب.

والتوارق في الماضي لا يأكلون الفلفل والطماطم والبهارات في طعامهم ولكنهم يكتفون في طبخهم بالماء والملح فقط وأحياناً اللبن.

كما يحتفظ التارقي في خيمته براحلة لحمله ويزينها عند الأفراح من سيور الجلد المصفورة. وكذلك عند الميسوريين والطبقات العليا (النبلاء) هودج للمرأة عند الرحيل.

وإذا كان التارقي من يملكون الخيل وهذا نادر - لأن الخيل - تحتاج للماء دائمًا والصحراء قليلة الماء فإنه يملك ضمن أثاثه سرج جواهه. ويكون هذا السرج مُشتري من أسواق الشمال (ليبيا أو الجزائر أو المغرب).

والتوارق لا يسكنون في نجوع مجتمعة كإخوتهم العرب . وإنما يسكنون منفردين في الأودية والجبال والصحراء إلا إذا شعروا بالخطر فلأنهم يجتمعون<sup>(1)</sup> .

كما يحفظ التاريقي بأنائه الزائد ومثونته الزائدة على حاجته في كهوف الجبال بعيداً عن أعين الفضوليين .

ويقول عبد القادر جامي :

«إنها عادة قديمة عند برب الشهاب الأفريقي عموماً يدل على ذلك المغارات لحفظ المؤن في رؤوس الجبال وحافات الكهوف التي يتخذونها كمخازن»<sup>(2)</sup> .

---

(1) — عبد القادر جامي / المصدر السابق . ص 176 .  
(2) — عبد القادر جامي / المصدر السابق . ص 177 .

الباب الخامس

عادات اللوارق وتقاليدهم



## عادات التوارق وتقاليدهم

لا يختلف التوارق كثيراً في عاداتهم وتقاليدهم عن كل سكان الصحراء الكبرى وكذلك الشمال الأفريقي الذي يتشابه إلى حد كبير في عاداته وتقاليده مع سكان الجزيرة العربية. غير أن هذا لا يمنع من وجود فروق بين المجتمعات والقبائل في عاداتها وتقاليدها ولو كانت طفيفة.

ويعتبر مجتمع التوارق من المجتمعات المتفتحة في الإسلام والخالي إلى حد بعيد من العقد والتعقيد. فالشباب والشابات يتلقون في الأفراح وغيرها دون أن تغطي المرأة التارقية وجهها بل على العكس، فالرجل التارقي في مثل هذه اللقاءات هو الذي يغطي وجهه ويحرص على تصفيق لثامه حتى لا يظهر منه غير العينين في اللقاءات التي تواجد فيها المرأة وتقول الرواية التي تشبه الأسطورة إن سبب ذلك أن التوارق هاجهم العدو في أحد مخيّاتهم ذات مرة وانهزم الرجال ولكن النساء لبسن العيام وملابس الرجال وضيقن اللثام وامتنعهن ظهور المهاري وطاردن العدو الذي هاله كثرتهن فترك لهن الأموال وفرّ هارباً. ومنذ ذلك التاريخ بدأ الرجال يتلذثان لتنطية وجوههم من عار المزية. والنساء يكشفن عن وجوههن اعتزازاً بالنصر الذي حققنه<sup>(١)</sup>.

غير أنني أرى أن اللثام عادة عربية قديمة كان الحميريون يتلذثان وقد استشهد الحجاج بن يوسف في مسجد الكوفة عندما جلس متمثلاً ثم قام للخطبة بيت لابن سحيم وهو شاعر عربي قديم:

أنا ابن جلا وطلائع الشيايا متى أنسع العمامة تعرفوني

(١) - سمعت هذه القصة من شيخ تارقي من قبيلة منسائن.

وهو هنا يقصد اللثام ولكنه لم يستقم الوزن بذكره فكني عنه بالعامة وقد حسر  
المجاج عن وجهه.

ويقول ابن عذاري:

«وهم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم ولذلك سموهم بالملثمين وذلك سنة لهم  
يتوارثونها خلفاً عن سلف وسبب ذلك على ما قيل أن حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد  
وتفعله الخواص منهم فكثر ذلك حتى صار تفعله عامتهم»<sup>(١)</sup>.

السمّر: يلتقي التوارق شباباً وشابات خارج الخيمة في عراء الصحراء حيث يوقدون ناراً  
ويستمعون إلى الغناء والعزف على آلة الطرب (الامزاد) ولا يتحرجون من أن يجلس كل  
شاب إلى جانب عشيقته يجادلها ويسمّر معها في عفة دونما شيء يجرح الطهر أو الحياة  
ويسمون ذلك (تهالة).

ومن غريب صنعتهم في هذا التجمع أن الشاب عندما يجلس إلى صاحبته لا يمكن أن  
يقوم عنها أو يتحرك أو يقوم لشيء - حتى لقضاء الحاجة - وذلك إلى الفجر حين ينفرط  
الجمع ويذهب كل شخص ل شأنه.

ولو قدر وان قام من مجلسه ثم عاد فإنه يسقط من عين صاحبته ويعتبر في نظرها كاذباً  
في حبه لأن هناك حاجة أخرى تشغله عنها ويمكن أن تجعله يقوم عنها.

وقد تختبر الفتاة حبيبها وكذلك هو الآخر يختبرها.

ولقد سمعت قصة من شاب من إفوغاس (كيدال) قال:

« جاء أحد الشباب لصاحبته ليلاً ليجلس معها ويسمّر معها ووجدها متكتكة  
على فراشها فجلس بجانبها وغرس رمحه في الأرض وبقي يجادلها حتى الفجر.. . وعند  
الفجر سحب رمحه وسار في طريقه ولقد تبين أن الرمح عندما غرسه كان مغروساً في  
ذراعها طيلة الليلة فلم تتأوه ولم تتحرك

وعندما عاد لها في الليلة القادمة وجدتها قد فرشت له الفراش على كانون من الجمر.  
فجلس ولم يتحرك إلى الفجر متحملاً حر النار في صبر».

(١) — ابن عذاري / البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب / الجزء الرابع، ص 128 . دار الثقافة - بيروت.

كما تختبر الفتيات الشباب في شجاعتهم بأن يطلبن منهم إخراج «صخان» الشاي من النار دون أن ينالنهم شيئاً يمسكون به فيخرجونه من النار وقد تحرق أياديهم ولكن دون أن يبيروا ذلك أو يتواهوا أو يظهروا أنهم تأثروا من ذلك.

وعندما يتأكد الشاب من حب صاحبته له ويتفقان على الزواج تقوم المراسم التالية:

الزواج: عندما يعجب الشاب بالشابة - شريطة أن يكونا من طبقة واحدة إذ نادراً ما يتم الزواج من طبقة كطبقة النبلاء مثلاً، وطبقة الأعياد، أو العبيد - يرحل الشاب مع مجموعة من أصدقائه وأقربائه الرجال وينزلون بالقرب من خيمة والد العروس ويرسل الشاب شخصين أو ثلاثة إلى والد العروس والدتها يخطبون له ابنتهما. وعندما تتم موافقة والد العروس على تزويج ابنته وكذلك والدتها يعينان المهر المطلوب. فترجع الجماعة للخيمة التي يقيم بها العريس وأصحابه ويعرضون عليه المهر. وإذا ما وافق عليه يكلف أحد الأشخاص ويكون ابن عمه أو أخاه أو ابن خاله ويفوضه بشهادة الجميع أنه وكيله لدى عقد الزواج من خطوبته. حيث يذهب ذلك الوكيل إلى المخيم - خيام أهل العروس - فيقدم المهر إن كان موجوداً.

المهر: والمهر لدى قبائل البلياء سبع نiac. أما لدى الموالي والعبيد فيكون إثنين من الماعز. كما يختلف ذلك بين السلطنتان فبعضها أكثر وبعضها أقل. وأصبح أخيراً المهر اسمياً يُدفع مؤخراً وقد لا يُدفع وخاصة النiac السبع قد تدفع منها واحدة أو أكثر وتذكر في العقد على أساس أنها ستُدفع.

مراسم الزواج: لا يدخل الزوج على زوجته إلا بعد إتمام المهر وتسليميه كاملاً لأسرة العروس. وإلى جانب المهر فإن أم العروس تشرط (تاغست) أو هديتها الخاصة وعادة ما تكون ثوراً أو جملة. وتكون طريقة تقديم (تاغست) أن تجتمع النسوة في المخيم لتهيئة أم العروس بخطبة ابنتهما ويتخلقن حول (تيندي) وهو جلد مربوط على هاون يشبه (الدربوكة) عند أهل شمال أفريقيا. ويضربن هذه الآلة تعبيراً عن الفرح ويطالبن بهديتهن (تاغست) وهنا يتقدم أصحاب العريس على جماهم يقودون أمامهم الثور أو الجمل المقدم هدية. وعند وصولهم إلى جمع النسوة حيث يتخلقن حول (تيندي) يقطعون بالسيف عرقوبه فيسقط على الأرض وينحرونه ويتركونه للنساء في الحفل.

ولتقسيم هذه الهدية قواعد متعارف عليها:

إذ يتحلق الناس حول الجمل أو الثور بعد نحره ويقطعون لحمه. وكل من قطع شيئاً فهو له. باستثناء الظهر فهو مخصص لل媧ادين ولا يتعدى عليه أحد.

ويستمر هذا الحفل ثلاثة أيام يكون فيها العريس وأصحابه في ضيافة أصهاره. وبعدها يذهب العريس لاستحضار المهر كما يجب عليه أيضاً أن يحضر معه (تيسّي) و(التيوسّي) هذا عبارة عن:

- كمية من الشاي والسكر.
- كمية من العطور (أصنون).
- كمية من التبغ.
- ملحفة لأم العروس (تسيناس).
- عدة أحذية متنوعة.

وعند حضور العريس بهذه الأشياء المصاحبة للمهر يستمر الحفل من جديد ويجتمع أهل الحي لأنحد نصيبهم من الهدية حيث تقوم أم العروس بتوزيعها على كل أهل الحي بالتساوي ويضرب على (تيلدي) ثلاثة أيام بليلتها وفي بعض القبائل يومين فقط.

وفي هذا الحفل يحدد العريس الموعد الذي يختاره ويناسبه لأنحد عروسه.

عند تحديد موعد الزواج يعود الزوج (العريس) ومعه مجموعة من أصدقائه وأترابه يسميها التوارق (توكسيست) أي رفقاء العريس. وعادة ما يكونون من الشباب غير المتزوج. وتبدأ الاحتفالات بوضع آلة الضرب (تيلدي) في ساحة واسعة خارج المخيم وتتحلق حوله النساء يضربنه بليقاعات رتيبة وهن يتغنين على إيقاعه بغناء يجدد المناسبة ويركب الرجال المهارى ويتسابقون بها. ويكون ذلك بعد الظهر ويستمرون إلى المغرب.

وفي المساء الذي تكون في ليلته الدخلة - وعادة يكون اليوم الثالث للاحفالات - يجهزون جملأً لركوب العروس وتقوده النساء بعيداً عن الحيام حيث ترکب العروس واحتتها إن كانت لها أخت أو خادمتها. ويوصلن الطريق نحو خيام العريس التي تكون

في العادة ليست بالبعيدة حيث يركب الرجال جاهم ويملحقون بالجمل الذي تركه العروس لمرافقتها إلى خيمة العريس.

وستقبلهم أم العريس بفرع الطلبل (تيندي) وتقوم بمساعدة مواليها وجاراتها بنصب خيمة العروس الجديدة وتكون خارج الخيام وعادة تكون بعيدة عنها نسبياً نحو الشرق وبينها وبين خيم الأهل أكمة لسترها عن المخيم. ويستطيع الشباب اللعب بعيداً عن أعين الشيوخ الذين يجلونهم ويقدرونهم. وفي محيطات عرب الصحراء تبني خيمة العريس أمام الخيام باتجاه القبلة أما عند التوارق فليس من الضروري أن تكون أمام الخيام بل منحرفة ناحية الشرق.

وعند وصول العروس تقوم بتوزيع الهدايا التي جلبتها معها حيث تشرف أم العريس ونساء منتجعه على ذلك، وتأخذ أم العريس النصيب الأكبر من هذه الهدايا.

ومن الأشياء التي تحملها العروس لبيت زوجها:

- 1 - عدد 1 جمل ركوب.
- 2 - عدد 1 خيمة (واهكيت).
- 3 - عدد 1 أسيّر (نسيج لصد الرياح).
- 4 - عدد 1 تشايهات (غراير من الجلد تضع فيها لوازمه).
- 5 - عدد 3 الطعنات (قطح من الخشب).
- 6 - عدد 4 تيسايهات (مرآة).
- 7 - عدد 5 ثمانكالين (عمود الخيمة).
- 8 - عدد 2 أسوشون ولايهما (نسيج تغطي به القصاع).
- 9 - عدد 1 تسيسكيروت (عمود برأسه فروع لوضع القصعة التي بها الحليب).
- 10 - عدد 1 تزوت (قصعة للبن).
- 11 - عدد 1 أسيلكو (مغرفة).
- 12 - عدد 1 أسوسو (غطاء يوضع على القصعة).
- 13 - عدد 2 مخدات جلدية (أمغار).
- 14 - عدد 1 كسكاب للجمل (حلقة حديد توضع في أنف الجمل).
- 15 - عدد 1 تشاوت (نسيج من الشعر يوضع حول رقبة الجمل للزينة).

كما تحضر العروس الملابس الخاصة بها ومنها:

- 1 — ابروغ الدوكالي (الخاف).
- 2 — وان قرقار (لباس للزينة).
- 3 — اللشو (غطاء الرأس).
- 4 — تبانتبا (شال).
- 5 — تيزبُوتين (أحراص تووضع في الأذن).
- 6 — آشيجان (اسورة).
- 7 — تكارضى نزرف (قلادة من الفضة).
- 8 — تاسغالت (قلادة من الخرز).
- 9 — تيليلت (خيوط مضفرة من الجلد سيور).
- 10 — أششلاج (وشاح من السيور الجلدية).
- 11 — تيضهوتين (الخواتم).
- 12 — خيسة (قلادة خاسية تووضع في الرقبة).

والعرس أيضاً له جمل عامل بملابسه وخصوصياته وتحتوي ملابسه على:

- 1 — تقمصت (قمصان).
- 2 — ترسُؤين المحمودي والدیني (قماش أبيض ومزركس).
- 3 — اللشان (ملحفة).
- 4 — تمتكا (حزام) (نطاق).
- 5 — أفكلان تبانتبا (حذاء من جلد النيجر وماي ومزركش).
- 6 — ابرنوس نلشو (برنس أسود).
- 7 — تكوبا (السيف).
- 8 — أيسر (خنجر).
- 9 — الأَغ (الرمح).
- 10 — إيرتك (السوط).

كما أن هناك أدوات خاصة بزيينة الحمل وإظهاره بالظاهر الذي يليق بالمناسبة ومنها:

- ١ - تَرِكْ أَعْزَالُكْ (راحلة جيدة).
- ٢ - أَشَافِ (حزام الراحلة).
- ٣ - تَسْسِتِكْ (سجادة تفرش على الراحلة).
- ٤ - أَهْلُومْ (حزام لربط الراحلة من الخلف).
- ٥ - الْجَبِيرَةْ (غارة من الجلد تعلق على الجمل).
- ٦ - أَبَاوِنْ (جلد يعلق على الجمل له قفل).
- ٧ - أَبْرُوغْ (سجادة تتوضع على الرحلة للزينة وتغطى بها).
- ٨ - أَزْوَأْ (طرف يعلق على الجمل كالمزود).
- ٩ - تَغْيِرْتْ دَالْسَاوِيْ (صينية من النحاس).
- ١٠ - تَاغْتَسْتْ (حزام في أنف الجمل).
- ١١ - أَكْسَكَابْ (حديد يتوضع فوق أنف الجمل).
- ١٢ - أَسِسَرْ (قلادة تتوضع في رقبة الجمل - سلسلة من حديد).
- ١٣ - أَنْيَنَا (أجراس تتوضع في رقبة الجمل).
- ١٤ - أَشْكَوْهْ (وهي الشكوة المعروفة في العربية الفصحى).
- ١٥ - أَضْبِيَا (وهي المزود).
- ١٦ - تَشَاؤتْ (خيوط مصفورة من الشعر ترتبط في رقبة الجمل).
- ١٧ - تَكُوتْ.
- ١٨ - تِسَائِينْ (فراش يتوضع تحت الراحلة لتنقى الجمل).

وعند تجهيز خيمة العريس والعروس تبقى العروس في خيمة أم العريس ويدخل العريس إلى الخيمة مع أصدقائه. وتتقدم النساء ليلاً بالعروس، وبيقين خارج الخيمة ويذهب وكيل العريس للاقاتهن لتفاوض وكيلة العروس - وعادة تكون خادمتها أو إحدى قريباتها - وتطلب النسوة مقداراً من الملابس والروائح والأشياء حتى يسلمن للزوج زوجته. ويحاول وكيل العريس مفاوضتهن لتنقيص المبالغ المطلوبة. ويستمر التفاوض وأحياناً طوال الليل إلى أن يوافق الوكيل على تقديم ما يطلبه، فيسلمن له العروس ويسلمن لهن الأشياء المطلوبة، ويتقدمن بها نحو الخيمة حيث يدخلنها على العريس الجالس في الخيمة وقد لبس كامل زينته: «قميصين من القماش الواسع أحدهما

أيضاً والأخر أزرق من النيلة، وعِمامتين أحدهما بيضاء والأخرى زرقاء نيلية متداخلتين وسر والأَ واسعاً ومداساً أيضاً واسعاً وقد عطر ملابسه وضيق فتحة ثامه. وأحياناً يكون قد تقطّع بسيفه ووضع خنجره في ذراعه ولبس حُجْبَه المتدرية من رقبته والمشتبة في مقدم عِمامته».

وبعد أن تصل العروس يخرج أصحابه ويتركونه معها. أما في قبيلة منغستان فقد رأيتهم ليلة الدخلة بعد حفل السباق للمهارى في المساء تهرب العروس وتختفي عند إحدى صديقاتها ويبحث الجميع عنها إلى أن يجدوها فيأتوا بها لخيمة العريس بدون أي زينة وتفاوض النسوة مع وكيل العريس على ما يقدمه لهن مقابل تسليمها العروس ثم بعد ذلك يستمر الحفل عادياً كبقية المناطق التارقية.

يدخل العريس على عروسه في الليلة الأولى بعد أن يدخلوها عليه، وفي الصباح يجتمع أصدقاء العريس، ويقدم لهم شحم سلام الناقة التي نحروها ليلة الدخلة فإذا كانت العروس بكرًا فلا يأكلون شحم السلام بل يحررونها باشكال جميلة ويعطرونه ويصبعونه بالنيلة ويرجعونه للنساء اللواتي يعرفن أن العروس بكرًا فترتفع الزغاريد.

أما إذا وُجدت العروس غير بكر فإنهم يأكلون الشحم كما أن العريس في هذه الحالة لا ينحر الناقة التي تكون قد رُبِّطت منذ ليلة البارحة لنحرها صبيحة الدخلة فيطلق سراحها، ويعتبر أهل العروس وجود ابنتهم غير بكر عاراً لحق بهم.

وفي هذه الحالة فإن قبائل العرب عادة ما يطلقون المرأة ويرجعنها إلى أهلها ويكون أب العروس ملزماً برجاع المهر.

أما في التوارق فالطلاق غير وارد في مثل هذه الحالة ولكن المرأة تعتبر ناقصة وتحقها المذلة.

هذه الطقوس عند طبقة النبلاء و(إنسليمن) أما إذا كان العريس والعروس من طبقة إيغاد أو العبيد والموالي فإنهم يقدمون للعريس وأصدقائه صباح يوم الدخلة كمية من اللحم في قصعة - كفطور لهم - ويكون من لحم العنز التي ذبحت البارحة، كما يكون ضمن قصعة اللحم لحمة الكتف.

فإذا كانت العروس بكرًا أرجعوا للنساء لحمة الكتف معطرة ومزينة بالليلة دون أن يأكلوها. أما إذا اكتُشف أن العروس غير بكر (بدون بكاره) فإنهم يأكلون اللحمة ويُثقوّن عظمة الكتف ويعلّقونها في عمود الخيمة الأمامي<sup>(1)</sup>. ويستمر العرس سبعة أيام بلياليها يحيى سهراتها الفنانون من طبقة الحدادين بطربهم وغنائهم وتشيلياتهم المضحكة. ويكون (للأمزاد) الباع الأكبر في إحياء مثل هذه السهرات. والأمزاد هو آل تشيبة الربابة العربية يتفنن في ضرها النساء.

ولقد استمعت إلى الأمزاد عدة مرات وكان من أجمل ما سمعت من الآلات الموسيقية الصحراوية. بحيث تستمع إلى المطربة تردد لحن الغناء على الأمزاد فتنظره لروعته ينطّن معها بالغناء.

وفي جميع أيام أسبوع الاحتفالات يجتذب العريس في الخيمة ولا يخرج أبداً، ويحضرون له الطعام مع أصدقائه الذين يكونون قد شكّلوا حكومة من السلطان وهو العريس. والوزير وهو وكيل العريس. والقاضي. والشرطة.

أما العروس فلما تخرج يومياً مع صاحباتها حيث يضيّنها على وجبات الطعام ولا تعود إلا ليلاً.

ونائب العريس أو الوزير هو الذي يتكلّم باسمه ويتلقى منه الاشارات. فالسلطان (العريس) لا يتكلّم بصوت مرتفع أبداً ولكنه قد يوماً يسيّه عندما يريد أن يغفر عن شخص يتعرّض للعقاب.

ويستمر الشباب في العابهم ومصارعاتهم وجربتهم طوال أيام الأسبوع وللعريس أمر لا يرد طوال فترة أيام الأسبوع وهو فيها لا يقابل والده ولا والدته وكذلك صهره وأم زوجته.

وبعد نهاية الأسبوع يتفرق الجميع وتبقى العروس بجانب خيمة والدها إلى أن تلد ابنها البكر. ويبقى زوجها مع إبله أو مع القوافل التجارية ولا يعود إلى زوجته إلا ليلاً حيث تبني لها خيمة صغيرة ينامان فيها<sup>(2)</sup>.

(1) شاهدت ذلك في قبيلة منغستان وحدّثني به رجل مسلم.

(2) مشاهداتي الخاصة. وعبد القادر جام. المصدر السابق. ص 184.

وبعد أن تلد الزوجة مولودها الأول يحق لزوجها أن يحملها معه وينتقل بها من جوار أصهاره وينذهب حيث شاء.

## تربيـة الأـلـادـعـنـدـالـتـوـارـق

في أغلب مجتمعات التوارق تبقى المرأة بجوار والديها إلى أن تلد المولود الأول. أما في بقية المجتمع فإنها ترجع إلى بيت أسرتها في الأشهر الأخيرة للحمل حيث تلد في بيت أمها وتحت رعايتها وهذه الطريقة الأخيرة يشارطهم فيها جميع عرب الصحراء الكبرى.  
والولد الأول تربيه جدته لأمه. ويعيش بين أخواه إلى سن الرشد.

وترضع المرأة التارقية ولدها. وإذا وجد ما يمنع ذلك ترضعه إحدى قرياتها أو بعض نساء مواليها.

### تـسـمـيـةـالـمـلـودـ:

وفي اليوم السابع يحتفلون بتسمية المولود ويقيمون حفلة تذبح فيها الخراف. وتكون مناسبة للغناه والرقص. ويسمى المولود بناء على القرعة. حيث يجتمع رجالان من أسرة أبيه ورجل من أسرة أمه ويأخذون ثلاثة قطع من كبد الشاة التي ذبحت المناسبة ويضعون بها القرعة ويجرون القرعة ثلاثة مرات. ويسمى الولد بالإسم الأكثر ظهوراً في القرعة ومن الرجال الثلاثة الذين يجررون القرعة، وعلى الرجل الذي تفوز القرعة التي يطرحها أن يحضر هدية للمولود كما يجب أن يهدى له الهدايا في المناسبات ويقولون إن فلاناً هو الذي أسماه.

وبهذه المناسبة تقدم الأطعمة والشاي للمهنيين الذين يتلقون على بيت الوالد من الصباح. ويدعون للأب بالبركة والخير في مولوده.

ويسمى التوارق أولادهم بأسماء عربية إسلامية وخاصة عند مجموعة (أنسلم) مثل أسماء الأنبياء والرسل والصحابة والأولياء وأصحاب الطرق الصوفية.

وقد يحصل تغيير في نطق الاسم حسب موقعه من الجملة فنرى مثلاً رجلاً يسمى ولده سعيد. وآخر يسميه سعیدو وثالث يسميه سعیدون ويظنو أنها أسماء مختلفة

وكذلك بالنسبة للاسم محمد. فنراه محمد. ومحمدو ومحمدون وكذلك البنات زينب وفاطمة فنراها أحياناً زينبوا. وفاطمتو.

كما نجد أيضاً النبلاء (أيماجعن وايغاد) يسمون أسماء عربية محفة نتيجة لعدم قدرتهم على النطق الصحيح بالعربية. فنجدهم عندهم محمد وأسماء غيل والخورير (الحضر). وفطميتا (فاطمة) وغيشتوا (عائشة) وغيرها.

كما يسمون أيضاً أسماء تارقية قديمة. أما العبيد فيسمون أولادهم من قبل أسيادهم فنرى أسماءهم بركة. وياسين. وسالم، والحمد. وتبارك، على سور القرآنية.

كما يسمونهم بأسماء العبيد المشهورين في الإسلام. بلال. توبان. خوله.

ويسمونهم على أيام الأسبوع مثل الاثنين للذكر والسبت للبنات. والخميس للذكر. كما يسمونهم أسماء تارقية قديمة مثل الدكلو لثلاثي وينغن وتنوفن للذكر.

ويخلق التوارق رؤوس أولادهم بحيث يتذرون لهم شريطاً من الشعر يعتقد من مقدمة الرأس إلى مؤخرته (بالنسبة للأولاد) حتى يبلغوا سن الرشد فيتلشموا ويفدوا في تخليق مقدمة الرأس فقط ويسمونها (باغيرف).

أما البنات فيحلقون لهن رؤوسهن كاملة ويتذرن لهن في وسط الرأس قزعة صغيرة تسمى (أشقدا وتفقلقين) حتى سن الخامسة حيث يتذرن شعورهن كاملة.

ويزاول الولد اللعب مع أقرانه ويرعى صغار الماشية وخاصة صغار الماعز. ويدهب مع الخدم للأبار لجلب الماء. ويتبارى مع الصبيان في المصارعة والجري ولعب الكرة بالعصي ويقوم بصيد صغار الطيور واليرابيع مع أقرانه ويتعلم حروف (التافيناغ) من النساء والخدم اللواتي يتقن الكتابة بها بعكس الرجال وخاصة النبلاء الذين يرون في تعلم الكتابة والقراءة نوعاً من السخافات لا تليق بهم كرجال. فمهما هم حمل السيف والقتال فقط.

وفي هذه السن ليس هناك أي تمييز بين أبناء الطبقات. فلباسهم واحد أو متقارب وكذلك حياتهم اليومية وأعاليهم وسرورهم، غير أن الولد يكون أكثر اندماجاً مع أهل أمه من اندماجه مع أهل أبيه. والتوارق ينسبون إلى قبائل أمهاتهم.

ويقول عبد القادر جامي:

«فالتارقي منها كانت منزلة أسرة والده واعتبارها إذا لم تكن أمه من الأحرار فلا يعتبر من علية القوم».

لذلك تراهم يقدرون أقاربهم من الأم كالخال ويعتبرون أبناءهم كالأخوة والأشقاء، ينظرون لأقاربهم من جهة آبائهم نظرة الأجانب، وينتقل (الطلب) بالوراثة من الأم إلى أولادها وإلى أبناء الأخـتـ. وإذا لم يوجد وارث من جهة المرأة ينتقل إلى أقارب من الدرجة الثانية إلى الخدمات والحالات. وفي أثناء إقامتي في غات كانت الوارثة لطلب قبيلة (آزر) بنت رئيسها القديم الشيخ أخنوخن»<sup>(١)</sup>.

الختان:

يجري الختان لدى التوارق للأولاد فقط، وتقام له ولائم كبيرة وتذبح فيه عدة رؤوس من الأغنام، ويضرب فيه (تبيندي) ويختنون أولادهم عادة في الشتاء حتى لا يتعب الولد من الجرح، ويقوم بعملية الختان أحد الشيوخ المدرسين على مثل هذه العمليات، كما يجري الختان للولد في السنوات الأولى من عمره ويلبس الصبي قبل الختان قميصاً أبيض مزيناً في جيوبه الأمامية بتطریز ويلبسونه طاقية يحيطون عليها قرن غزال وعوداً من شجر (الداد) لطرد العين والحسد، ومثل هذا يفعل العرب في شمال أفريقيا عموماً ويوضع التوارق العطر على أنف الصبي حتى لا يمرض فيها بعد عندما يشم رائحة العطور.

ويمسك الصبي أحد أقاربه حيث يقوم الرجل المكلف بختنه وهنا يمسك الصبي أحد الرجال من يده ويجري به بسرعة لمسافة لا تقل عن 100 مائة متر، ويقولون إن مثل هذا الجري يمنع رجوع الدم للجسم فلا يمرض الصبي، ويعالجون جرح الصبي بفتح المطلع المسحوق، أو بفتح نبات يسمى بلبلن، ويغسل الجرح بالماء الساخن كل يوم إلى أن يُشفـىـ.

(١) — عبد القادر جامي / المصدر السادس، ص 180 .

## الطلاق عند التوارق

مجتمع التوارق قليل الطلاق، وهم لا يلجأون إلى الطلاق إلا نادراً كما أنهم لا يجمعون أكثر من زوجة واحدة في عصمتهم في الوقت الواحد في الغالب. والمرأة في مجتمع التوارق تحظى باحترام زائد وهي كما ذكرنا سافرة إلا في طبقات (إينسلمن) الجماعات المتدينة فهي هنا لا تقابل الرجال ولا تجالسهم.

والمرأة التارقية تستطيع أن تذهب للأسواق وتبيع وتشتري كما تقوم برعى الماشية. وشاهدت بعضهن يرعين الماعز في الصحراء. وبينن وحدهن مع ماعزهن دون خشية أي شيء منفردات في الصحراء. وبينن داخل القطيع مختلف حول راعيته ولا يتعرض لهن أحد بسوء.

وإذا ما رغب التارقي عن زوجته فإنه يطلقها على الطريقة الإسلامية بعد أن يدفع لها باقي مهرها المؤجل.

أما إذا أرادت التارقية أن تطلق من زوجها ولم تعد تطبق البقاء معه فانها تنتقل إلى منزل أهلها وتبعث إلى أحد الرجال المؤوثق فيهم وتقول له: «أنا هاربة إليك».

فيقوم هذا ببحر جل أو ثور ويكرمهها وتجري مراسيم الطلاق وتنتظر العدة ثم تتزوج من آخر.

أما إذا كان زوجها متوفى فتخرج بعد نهاية العدة وتأتي إلى خيمة أحد العلماء وتقول له:

«أنا هاربة إليك وأريد أن تكتب لي حجاياً ينجيني من شر الأنس والجبن». فيفهم العالم ذلك ويفيقها في حياته إلى أن تتزوج إذا لم يكن لها أهل.

## عادات التوارق تجاه الموتى والقبور

تحتفل الطبقات الاجتماعية لدى التوارق في نظرها إلى الموت والأموات والقبور. فعند الطبقات المتمسكة بالعادات الجاهلية يتخلّى أهل المريض عنه عند دخوله مرحلة الاحتضار والاشراف على الموت. فيكلون أمره حيثشـد إلى أصحابـهم من الجماعـات

الاسلامية (انسلمن) فيجهزونه ويصلون عليه ويدفونه. والتوارق بصفة عامة ليست لهم مقابر جماعية وإنما يدفنون موتاهم حيث توفوا في الصحراء وهذا تجد قبوراً فرادى في الصحراء. ولا يتحمس التوارق لزيارة القبور والأضرحة.

ويدفنون موتاهم على الطريقة الاسلامية حيث يغسل الميت ويكتفون ويصلون عليه ويدفنون. وفي بعض المجموعات يختتم عليه القرآن وتذبح عدة شياه ويتصدق بها. ويعطى للرجل الذي قام بغسل الميت خمس أو سبع منها ولتعاونه أقل من ذلك.

وليس هناك كلمات متعارف عليها عند التوارق للتعزية كما أنهم لا يندبون الميت. ولا تصرخ النساء وتولول كبعض القبائل العربية الأخرى.

ويتألم التوارق من ذكر اسم الميت ويتجنبون النطق باسمه وخاصة إذا كان المتوفى شخصية مشهورة. وإذا ما أرادوا الكلام عنه فيذكرونه بكليته أو اسم أحد أولاده.. وهي عادة عند أهل الشام حتى الآن.

وغالباً ما يذكر أبناء المتوفى باسم أحدهم فيما بعد فيقولون فلان بن عائشة. أو ابن تفلويت أو غيرها.

ويغلف التوارق القبور بكثير من الخرافات. ويعتقدون أن الجن والعفاريت تسكنها. ويزعمون أن شخصاً مرّ بجانب القبور فسمع أحاديث يتداولها الجن مع أصحاب القبور. وأخر شاهد مخلوقات مجنة تقف على أحد القبور ويقولون إنها ملائكة تترجم على صاحب القبر. كما يزعمون أن قبوراً لأشخاص مشهورين شاهدوا نوراً يسطع عليها ليلاً. إلى غير ذلك من الأساطير التي يروونها في الصحراء.

وإذا مرّ التارقي بقبر في الصحراء لشخصية مشهورة معروفة لديه فإنه يطوف بحمله أو ناقته عليه سبعاً ويقرأ عليه الفاتحة وكثيراً ما تسمى الأماكن في الصحراء بأسماء المولى الذين دفنت فيها فيقولون مثلاً وادي فلان. أو جبل فلان أو بئر فلان.

## الاختلافات عند التوارق

يختلف التوارق كبقية المسلمين بعيداً عن الفطر والآدبي إذ يجتمعون خارج الحبي صباح العيد وقد ليسوا كامل زيتهم في انتظار السلطان والإمام الذي يتقدم ويقرأ الخطبة

ويكون موضوعها الوعظ والارشاد والتذكير بيوم الآخرة والجنة والنار. وتكون مكتوبة هذه المناسبة منذ عهد قديم. أو تكون من كتاب قديم كتبت فيه مثل هذه الخطب.

والتوارق سنيون على مذهب الإمام مالك حسب ما ورد في كتاب «الرسالة لابن أبي زيد القيرواني».

وبعد انتهاء الصلاة يقوم الشباب بالسباق على خيولهم وجمائهم مارين بالأحياء التارقية الموجودة في المنطقة وتقام مهرجانات الموسيقى وضرب الطبول في المساء والغناء والرقص ويحضرها النساء والأولاد والشباب من كافة الطبقات الاجتماعية.

كما يحتفل التوارق بيوم عاشوراء الذي يعتبرونه أحد الأعياد الدينية حيث تصنع فيه كميات من الطعام ويدعى إليها الناس فياكلون ويشربون ويقرأون القرآن والمداائح النبوية وسيرة النبي ﷺ وسيرة أهل بيته وهي في نظرى بقية من عادات الشيعة التي لا تزال بقاياها في شمال أفريقيا من أيام الفاطميين. ويقول محمد عبد الرحمن عبد اللطيف:

«ويبدو أن الاحتفال بيوم عاشوراء قد بدأ منذ عهد قديم في فترة الحكم الشيعي في بلاد المغرب»<sup>(1)</sup>. ويستمر قائلاً:

«وقد وجد الطوارق في يوم عاشوراء فرصة لاحياء بعض العادات الوثنية القديمة. فيحتفظون بعظام الأنصاحي إلى يوم عاشوراء فيكسرونها ويضعونها في طعامهم في ذلك اليوم بدون معرفة أي معنى لذلك. إلا أنهم وجدوا آباءهم عليه»<sup>(2)</sup>.

كما يحتفل التوارق احتفالاً كبيراً بعيد المولد النبوى حيث يقرأون القرآن عند السلاطين في حفلات تحييها الطرق الصوفية بمشائخها والتي أهمها انتشاراً في الصحراء. القادرية. والتيجانية. والخلوتية. والختمية. الميرغنية.

وتقرأ سيرة الرسول والمدايم النبوية حسب أوراد ومؤلفات أصحاب الطرق. غير أنهم جميعاً يتضقون على قراءة قصيدة البردة للبوصيري إلى جانب قصائد المديح والأشعار باللغة التارقية.

(1) - محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق. ص 74 .

(2) - محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق. ص 74 .

كما يعقد التوارق حفلات الترويع على مريض يش الأطباء من علاجه فيعتقدون أنه مصاب بالجن فتقام له حفلات من الموسيقى والغناء والرقص ويعتقدون أنها تطرد الجن.

## احتفالات الخريف

عندما تجتمع كل قبائل التوارق في شهر الخريف (أغسطس - سبتمبر) حول الآبار المالحة في الشمال ل斯基 مواديهم التي تحتاج للملح في هذه الفترة في مناطق (أغزر - وانقال - وثقيداً) غرب اقدز، يقومون بمهرجانات ومسابقات على المهاوى وحفلات للرقص والموسيقى. والمبازلات بالسيف والرمي بين شباب القبائل. والجري والمصارعة. كما تقدم لعبة (الكرة) بين المجتمعات وهي كرة صغيرة يضر بها اللاعب بالعصا وتبارى النساء ويسمينها (كري) وهو نفس الاسم العربي. وتنقسم النساء إلى مجموعتين كل مجموعة من حي والمجموعة التي توصل الكرة إلى الحي المنافس تعتبر منتصرة. وهي نفس اللعبة التي يلعبها الرجال في ليبيا في فصل الربيع.

أسوات: وهي حفلة تخص الشباب من الجنسين حيث تقف الشابات في صف والشباب في صف مقابل وتقوم النساء بالغناء أما الرجال فإنهم يتبارون في المصارعة. وهناك رقصة خاصة في أسوات للصراع تسمى (زيغ) وهذه الرقصة أو اللعبة لا يدخل ساحتها إلا من كان مشهوراً في لعبة الصراع العنيف.

أكرشى: لعبة تشبه السباق، يقومون بها أيضاً في فصل الخريف. وهي أن تذهب مجموعة من الشباب من أحد الأحياء إلى حي آخر بمنطقة أخرى ويطلبون منهم أن يعطوهم (أكرشى) وهو غطاء رأس أجمل امرأة في ذلك المجتمع.

وعندما يناولونهم إياه ينطلقون به بأقصى سرعة عائدين إلى مخيّمهم. وقد يتبادلونه بينهم بحيث دائمًا يكون في يد الأسرع في العدو. وأصحاب المخيم الذي أخذ منه يطاردونهم مسرعين أيضًا.

وإذا ما لحقوا بهم فإنهم يرجعونه منهم. أما إذا لم يستطيعوا اللحاق بهم فإنه يعتبر عاراً على الحي الذي لم يستطع إرجاع (أكرشى) الذي يخص أجمل نسائهم<sup>(١)</sup>.

(١) — هذه المعلومات استقetta من ورثودين محمد الشيخ ٦١ سنة من منطقة كيدال إفوغاس مالي وذلك في عام ١٩٨٦.

## الباب السادس

أ- الطبع الشعبي عند التوارق  
ب- الفال والنظير عند التوارق



## أ - الطب الشعبي عند التوارق

التوارق منعزلون بعيداً عن المدن والتمدن، يكيفون أنفسهم لعالم الصحراء اللامتناهي، معتمدين على قدراتهم الذاتية في مصادمة الحياة ورد آفاتها والتهوين منها، ومنها الأمراض.

ولذا فإنهم يشخصون أمراضهم ويعتمدون في علاجهم على التجربة. الخطأ والصواب، مستخدمين الأشياء المتوفرة لديهم في صحرائهم من أعشاب وحشائش ونار وتعاويذ - إذا عجزوا -.

وقد يبرز من بينهم أطباء شعبيون بالتجربة والتواتر والتوارث حيث يستخدمون لكل مرض علاجاً نافعاً وإذا ما عجزت العلاجات أرجعوا المرض إلى القوى الخفية من الجن والملائكة فيعتقدون له حفلات الرقص والغناء والموسيقى ويلجاؤن إلى شيخ الدين ليكتبوا لهم التعاويذ والأحجبة.

ولنأخذ أمثلة على الأمراض المتوفرة في المنطقة المعروفة لديهم وطريقة علاجهم لها:

**آلام العيون:** الناس في الصحراء معرضة عيونهم للإصابة بالغبار والشمس الحارقة ولهذا يعالج التوارق آلام العيون بالكحل. فاللتارقي دائمًا تراه يهتم بتكميل عينيه ويرى ذلك من السنة. وغالباً ما تجد محفظة الكحل ضمن أداته على جمله. والكحل أداة للزينة وكذلك للعلاج.

كما يعالجون العيون المريضة بحليب المرأة المرضع يقطرونه في العين، ويكرحون العيون المريضة بالملح.

**آلام الرأس:** دائمًا ما يصاب الإنسان بآلام الرأس (الصداع) وتلخص هذا المرض أسباب عدّة. والتوارق يعالجون مرض الرأس كما يلي:

- يربط الرأس بقطعة من القماش.
- يجرح الجبين بالموسى جراحات صغيرة على امتداد الجبهة حتى يسيل الدم أو (يقطون) أي يقصدون الوريد الموجود في الجبهة بموسى حادة فينزل الدم بزيارة ويتظرون الدم حتى يتغير لونه من الأسود القاتح إلى الأحمر الفاتح وحينها يضغطون على العرق ليكثف الدم ويرفعون رأس المريض إلى أعلى حتى لا ينزل الدم ثانية.
- وقد يلتجأ التوارق إلى جرح الأذن حتى يسيل الدم منها.

**أمراض الحنجرة واللوزتين:** يعالج التوارق هذه الأمراض بالتالي:

- 1 - يلفون رقبة المريض ببروث البقر المخلوط بالماء البارد.
- 2 - يغلفون رقبة المريض بحبوب الفاصلوليا المدققة بالماء.
- 3 - يجرح المريض بجروح صغيرة حول الفكين لانحراف بعض الدم.
- 4 - يطهى الحليب مع الشاي والسكر ويستقي للمربيض ويجب أن يبقى الابريق بعد ما يغلي فيه الحليب بدون غطاء ما لا يقل عن 24 ساعة حتى يكون المخلوط بارداً جداً.
- 5 - تدهن الرقبة بدم حمار فيشفى من مرض العنق.

**علاج المبروح:** ينظف الجرح بالملح ثم يوضع فوقه بعض النباتات بعد أن تدق، أو يوضع عليه بعر الأبل، والنباتات التي توضع على الجرح هي:

- 1 - سعف ذكر النخيل.
- 2 - قوناكيا (نوع من العشب).
- 3 - نبات يسمى (إيفورب).
- 4 - فحم الخطب.

**السعال والالتهاب الرئوي:** يعالج السعال عند التوارق بالأشياء التالية:

١ - الفلفل يغلى مع الخليب ثم يحرك بعود أخضر من شجرة تستعمل لدبغ الجلد (الجداري). ثم يسقى للمريض.

٢ - يدهن المريض حول الصدر بالزيت أو السمن.

**السعال الديكي:** ويعالج السعال الديكي الذي يصيب الأطفال:

١ - يسقى الطفل حليب حمارة.

٢ - يأكل المريض لحم ابن آوى. أو لحم حيوان صحراوي صغير كريه الرائحة يسمى بالعامية (شفشه).

**الزكام:** يعالج الزكام عندهم بالأشياء التالية:

١ - يطبخ الخليب مع الفلفل ثم يعطى للمريض.

٢ - يوضع الفلفل على الجمر ويشم المريض الدخان المنبعث من الفلفل حيث يشرع في العطس. ويرون أن في ذلك خروج الداء.

٣ - يضع المريض رأسه فوق قدر الطبخ ويشم البخار المنبعث من القدر.

**الصفير:** (الصفراء) وهو مرض الكبد ويصيب المريض بالاصفرار والتسرّع يعالجونه:

١ - يعطي المريض مخلوطاً من زبدة البقر + الملح + نبتة صحراوية تسمى عند التوارق (تياري) + الفلفل ويطبخ هذا الخليط ويعطى للمريض ليشربه.

٢ - كما يطعم المريض كل البعير أو كل البقرة أو كل الضأن أو الماعز.

٣ - جلد حيوان البر (الغزال + الودان أو غيره) يطبخ ويأكل منه المريض.

**الصرع:** بالرغم من أن للصرع أنواعاً كثيرة وأسباباً كثيرة، كل منها يخالف الآخر غير أن التوارق في جميع الحالات يعتبرون أن هذا المرض سببه الجن وبالتالي يقيمون للمريض رقصة (النام نام) ويضمرون المريض بالعطر.

**نهشة الأفعى ولسعه العقرب:** بالنسبة للأفعى يكون علاجها:

- 1 - يقطع المكان الذي عضته الأفعى.
- 2 - يربط فوق الجرح لمنع تسرب السم.
- 3 - يسقى الملدوغ كثيراً من الحليب الساخن. والشاي الساخن ثم مرق اللحم حتى يتقيأ الملوسو.
- 4 - يقام للملسوغ حفل راقص (تمام) حتى ينسى المريض آلامه.
- 5 - تقتل الأفعى ويقطع ذيلها ثم يوضع دم الذنب على المكان الملوسو.
- 6 - يعطى الملوسو التمر حتى تهدأ - كما يتوقعون - نبضات القلب.

أما لسعه العقرب فلنهم يعالجونها لكونها أقل خطراً من الأفعى بالأشياء التالية:

- 1 - يعطى الملوسو الشاي الساخن.
- 2 - يغطى الملوسو بجلد ماعز أو خروف مسلوخ حالاً.
- 3 - يسقى الملوسو الحليب المغلي.

**الانتفاخ البطن:** لانتفاخ البطن أسباب شتى غير أن المقصود به هنا هو الانتفاخ الناتج عن سوء الهضم (البطنة) فيعالجها التوارق:

- 1 - إذابة النترون أو البوتوس في الماء ثم يسقى للمريض.
- 2 - يسقى المريض زبدة البقر.
- 3 - يسقى المريض الشاي الأخضر بدون سكر.

**حوادث السقوط:** وهو سقوط الإنسان من مكان مرتفع كجمل أو حصان أو سقوطه في بئر أثناء نتح الماء فيعالج التوارق مثل هذه الحالات بالأتي:

- 1 - يوضع المريض فوق لحاف ويتناول شخصان طرف اللحاف ويبدأ برجه عدة مرات.
- 2 - تُحفر حفرة ثم يوضع فيها المريض ويردم ولا يترك منه ظاهراً إلا رأسه ولمدة حوالي الساعة ثم يخرجونه ويناولونه اللحم الجاف.

3 — يعطي له لحم الماعز بكثرة.  
والتوارق في مجموع طبهم الشعبي يعتمدون على اللحم ويناولونه لمرضاهem بكثرة.  
وهذا نجده يدخل في كثير من علاج الأمراض عندهم.

## علم البيطرة

التوارق متخصصون في طب الحيوانات وخاصة الإبل. وهم يعالجونها بشتى الطرق  
وعندهم لكل مرض علاج.

الجروح العميقه: (الدببة) كثيراً ما تصاب الجمال أثناء حل الأئصال بجروح عميقه أمام  
السنام أو خلفه سببها ضغط المتاع على ذلك المكان وقلة الوقاء الذي يحول بين الأثاث  
وظهر البعير.

وبالتالي يصاب بجروح تعفن ويزيدتها الطيور المأوى وخاصة الغربان حيث تركز على  
سنام الجمل المصاب وتنقر الجرح مما يزيده اتساعاً وعمقاً. وتزيد البعير المأوى.

ويعالج التوارق الجروح في مثل هذه الحالة بالأشياء التالية:

- 1 — يغلى الماء مع روث البقر ثم يوضع فوق الجرح العميق.
- 2 — الجروح التي تحصل للجمل في انخفافه والناجمة عن السير لمسافات طويلة فوق  
المجارة الصلبة. يوضع عليها الشحم ثم تكوى بالنار.

الشايون: وهو مرض يصيب الأغنام والخيول والحمير. ويقول التوارق ان سببه كثرة الدم  
في الحيوان ويعالجونه كما يلي:

- 1 — يقطع جزء من اذن الحيوان المريض ويترك الدم يسيل بعض الشيء.
- 2 — يقطع جزء من ذنب الحيوان.
- 3 — يسقى الحيوان الحليب مع الملح.
- 4 — يوضع الدخان (التبغ) في عيني الحيوان المريض.

وباء البقر: التوارق الجنوبيون يهتمون كثيراً بتربية البقر ويعتبر جزءاً من ثروتهم الكبيرة. وقد يصاب البقر بالأوبئة فتنقص ثروة التارقي بانتهاص عدد القطيع.

وإذا ما أصاب أحد الأوبئة قطيع البقر وبدأت الأبقار تتفاقم يعالجها التوارق بالآتي:

- 1 - يسقى القطيع من بئر لم تستعمل للشرب مدة طويلة وتكون على الأقل سنة كاملة.
- 2 - أخذ جلدة الحافر من بقرة مريضة وجعل ثقب في أذن بقرة كبيرة ووضع الجلدة الممزوجة من البقرة الأولى في ثقب أذن البقرة الثانية. وتمرض الأخيرة بالحرارة عدة أيام ثم تشفى تماماً. وينقص المرض في القطيع.

وهذه الطريقة أشبه ما تكون بعملية التلقيح. هذا كما يهتم التارقي كثيراً خوفاً من أن تصاب إبله أو بقره بالمرض وهذا نراه يتخد لنفسه في صحرائه طقوساً يراها منع مرض حيواناته وتقيها عين الحسود وشر العين.

ففي فترة تناول الإيل الملح خلال شهري (أغسطس وسبتمبر) يمنع التارقي حليب إبله عن الناس إلا أفراد أسرته. إذ في معتقده أنه إذا تناول أحد الغرباء حليب إبله فإن الإيل تموت.

وللإيل عند التوارق أهمية خاصة. فحتى تناول حليبيها له طقوس:

فإذا ولدت الناقة فان مجموعة من الأشخاص لا يتناولون لبنها قبل أن يمر على مولدها ثلاثة أيام. وهذه الأشخاص هم:

- 1 - الذي أكل التمر في مدة قريبة.
- 2 - الذي أكل من لحم الصيد.
- 3 - المرأة الحائض.

إذ يعتقدون أن الناقة إذا شرب لبنها أحد هؤلاء المذكورين في فترة ولادتها الأولى فان الناقة سينصب لبنها وتموت. أما الغنم والماعز فالمدة المقررة لا تقل عن خمسة أيام وكذلك البقر فالمدة لا تقل عن عشرين يوماً. وفي جميع الحالات فان الأشخاص

المذكورين آنفًا لا يستحب منهم أن يشربوا لين الحيوانات الحديثة الولادة لأن في ذلك  
مضرة لهذه الحيوانات<sup>(١)</sup>.

---

(١) — هذه المعلومات استقيتها من مشاهداتي الخاصة ومن بعض شيوخ التوارق، وأكثراها من الاستاذ وليله همه من توارق الجنوب أفعناس (مالي).



## ب - الفأّل والتطيير عند التوارق

التوارق كأي مجتمع بدوي عربي صحراوي يخلق من صحرائه جواً من الثقافة الخاصة به. والمعتقدات المتوارثة التي تصبح جزءاً من كيانه، وتتصبح في مرحلة من مراحل الزمن أشياء مسلمة بها يناقشونها ويتصررون إزاءها وكأنها شيء ثابت لا عادة.

فمن الأشياء التي تبعث على الشفاؤم لدى التوارق ويتجنبونها:

- 1 - يمنع على راعي الغنم حمل عصا محروقة بالنار أو بها آثار من التسوس لأن في اعتقادهم أن الراعي الذي يحمل تلك العصا يفقد الأغنام. وإن حمل مثل هذه العصا يتسبب في فقدان القطيع.
- 2 - إذا خرج القطيع للمرعى فإن إلقاء جزء صوف خلفه معناها عدم عودة القطيع للخيام لسبب طارئ لا يسر.
- 3 - إن قذف عود مشتعل بالنار خلف القطيع وهو يتحرك للمرعى يتشاءمون منه ويعني فقدان القطيع بعزو أو موت وعدم عودته للخيام.
- 4 - عندما يموت حيوان بمرض أو بغيره فإنه يُحرق ويمنع استعمال عصوين لتحريمه أثناء الحرق لأن ذلك يعني موت حيوان آخر.
- 5 - عند شيء اللحم لا يستخدم في ذلك عصوان لأن ذلك يعني موت القطيع. وإنما يحرك اللحم بعصا واحدة.
- 6 - إذا سقط اللحم المشوي على الأرض فإن ذلك يعني عند التوارق موت الكثير من الغنم. ولذلك يحافظ الرعاة على عدم سقوط اللحم.

7 - لورجع ثور القطط (الفحل) إلى الخيام من المرعى في الصباح وحده فذلك علامة سيئة جداً وها عند التوارق مدلوان.

(أ) - أن الأعداء سيسألون على كل القطط.

(ب) - انهزام المخيم أمام الأعداء.

هذا إذا عاد الثور وحيداً إلى الخيام فلنهم يسرعون لذبحه ويتصدقون بلحمه على كل الجيران.

8 - الموقع الذي يسلكه فيه دم الحيوان أو الإنسان فإن التوارق يعتبرونه مسكنة للجن ويتجنبونه. فإذا مر بجواره أو تخطاه إنسان بقصد أو بدون قصد وجب عليه أن يذكر اسم الله وكذلك الرماد. وبول الأطفال. والأماكن المهجورة التي كانت في الماضي مواقع الخيام جميعها يعتبرونها مساكن للجن ويجب تجنبها.

9 - المسافر من التوارق ساعة انطلاقه من الخيام في سفره لا ينادي عليه من الخلف حتى ولو نسي شيئاً ويريدون الحاقه به فلنهم يتبعونه إلى أن يلتفت أو يتحققوا به.

10 - ولمسافر يجب أن لا تمر أمامه امرأة معرضة طريقة لأن في ذلك نذيرًا بعدم التوفيق في الرحلة وكذلك لا يستحب أن يمر من منزل إلى منزل ساعة الانطلاق.

11 - ولمسافر يتشاءم من اختراقه لقطط من الماعز ساعة انطلاقه في الرحلة وهذا تراه يتتجنبه.

12 - والتارقي لا يسافر أول يوم أو ثاني يوم في الشهر. ولا يسافر يوم الجمعة إذ إن السفر عندهم يوم الجمعة معناه أن الرحلة ستطول.

وفي السفر هناك حيوانات يجب أن يراها المسافر التارقي ويتفاعل بها. وأخرى لا يجب أن يراها ويتشاءم إذا رآها.

ومن الحيوانات التي يجب أن يراها ويتفاعل برفقتها:

1 - أشني الغزال.

2 - الخروف.

أما الحيوانات التي لا يود رؤيتها وإذا رآها لا تسره فهي:

- ١ - خنزير البر: رؤيته تدل على أن السفر سيكون سيئاً.
- ٢ - الضبع: رؤيته تدل على أن السفر سيكون فيه مهانة واهدار للكرامة.
- ٣ - ابن آوى: رؤيته تدل على أن المسافر سيضل الطريق وتحصل له مغامرات كثيرة في رحلته.
- ٤ - الأرنب: رؤيته تدل على أن السفر أو الرحلة يكون فيها خبث ومكر.

كما أن عند التوارق هناك أشخاص تدل رؤيتيهم على بخلبة للحظ ومن هؤلاء:

- المرابط.
- الفقيه.
- الشريف.

وآخرون رؤيتيهم تجلب النحس في أول السفر وهم:

- الإنسان الأعور.
- الشخص الذي به عاهة أو غير متناسق النمو.
- الساحر.
- الرجل أو المرأة المسنة.
- المجرم.

كما يتسام التوارق من بعض التصرفات التي قد يتصرفها الإنسان على حسن نية.  
ومنها:

- لبس فرد واحده من الحذاء وترك الرجل الأخرى حافية فلأنهم يعتبرون هذا من فعل الجن.
- إذا أخلع أحدهم نعليه وانقلب أحدهما ظاهرًا باطنًا فيقولون إن ضيفاً قادم للسلام وهو (غير منظور) أي أنه من الجن ويصرعون بإرجاع الحذاء لطبيعتها.
- حلقة جزء من رأس الطفل يشير إلى اليم (أي أن والده سيموت) وبالتالي يتحاشون ذلك إلا مع الباتمي.

- ليس الشياط مقلوبة يدل عندهم على أن الرجل سيترمل (يفقد زوجته بالموت) .
- الجلوس على (المهراس) الهالون علامة على فقدان مصادر الحظ.
- خياطة الملابس ليلاً ونخاضة الملابس البيضاء يعني قدوم حزن للعائلة وبؤس.
- أخذ مقابسين من نار واحدة من الجيران يتسبب في فقدان الرغوة من الحليب وبالتالي نقص الحليب من الغنم.
- دخول المرأة الحائض إلى (مراح) الغنم يسبب نقص الحليب من هذه الأغنام.
- قضم الأظافر بالأسنان يسبب الفقر.
- إذا كان أحد يحمل قرب الماء على ظهره فلا يجوز له احتراق مكان الغنم لأن ذلك دلالة على فقدان القطيع .
- عندما تضرر المرأة جزءاً من شعرها وتقوم دون أن تضرر باقي الشعر فإن ذلك يتسبب في موت أحد إخواتها.
- ترك قماش أبيض على سطح المنزل يعني موت شخص من تلك الأسرة.
- زيارة امرأة في الصباح الباكر تدل بحدوث حظ سيء للعائلة أو حصول حادث سيء لأحد أفرادها.
- مرور أي شخص في الصباح الباكر قبل طلوع الشمس بين الخيمة ومرائب الحيوانات يدل بالفقر وهذا يعنون ذلك.
- لا يعطون ماء القربة الجديدة للجيران والتي لم يمر على اقتنائها أسبوع على الأقل ، فإذا فعلوا ذلك فإنه يدل بسقوط شعر القربة .
- المرأة التارقية يجب ألا تنام عند طلوع الشمس أو عند غروبها فإذا فعلت ذلك فإن أهلها سيصبحون فقراء متسللين.
- بداية من متتصف النهار فإن زيارة شقيقين معاً ممنوعة لأنها تنبئ بأن معركة ستحدث في ذلك المخيم .

- يمنع على الفتيات البحري باتجاه المخيم لأن هذا علامة على قدوم الأعداء.
- إذا أكل الرجل أو شرب من إناء أكلت أو شربت منه امرأة نساء قبل أن تتم الأربعين يوماً على نفسها فإن هذا الرجل سيكون عرضة للجروح من أبسط الأشياء.
- النساء لا يأكلن لحم جمل معروف أو مشهور بخافة هجاء صاحبه من بشر أو بكلام غير لائق.
- يمنع على المرأة أن تشق وسط قطبي الغنم وهو يشرب على البئر لأن ذلك إذا فعلته نذير سوء للقطبي.

### **ما يمنع نزول المطر عند التوارق**

المطر عند بدو الصحراء قاطبة مصدر الخير والرفاهية وازدياد نتاج القطبي لهذا يتمسون هطوله ويفرحون لسقوطه، ويعتبرون سنوات الجفاف التي يقل فيها المطر سنوات سيئة يموت فيها القطبي وتنتشر المجاعة وكثيراً ما يؤثرخون في تواريختهم بسنوات الأمطار الغزيرة وسنوات الجفاف.

ويرجع التوارق أسباب عدم هطول الأمطار لأفعال يرتكبها البشر فتلذهب بالمطر بعيداً. ومن هذه الأسباب:

- عندما ترفع المرأة رأسها عارياً إلى أعلى وتنظر للسحب هنا يكف المطر عن النزول.
- قوس قزح علامة على توقف المطر.
- ثنيق الحمار تحت ماء المطر يوقفه عن النزول.
- خوار الثور يوقف المطر.
- استقبال الضيوف بطريقة سيئة يوقف المطر كما أنهم يفسرون أحلامهم حسب متطلبات حياتهم. فرؤيه ثور ينور في المنام دلالة على قدم المطر.

وعندما ينقطع المطر يفرض التوارق غطاء وسط المخيم عند الإمام. ويأتي الناس جميعاً بالمواد الغذائية والمال ويضعونه على ذلك الفراش ويتصدق به على الفقراء. فإذا فعلوا ذلك فلنهم يرون أن هذا سبباً من أسباب نزول المطر.

## الطبيعة ومعتقدات التوارق

الصحراويون يرجعون كل الأشياء لسببيات. ويعتبرون أن هناك قوة خفية تحرك الأشياء. وعلى المرء أن يكتشف سرها ليتقي شرها وإنما وجد نفسه ضحية شرور الطبيعة فمن ذلك :

- عندما يشاهد التارقي سقوط نجمة في الليل (شهب) عليه أن يأخذ حفنة من التراب ويربطها في خرقه فماش إلى الغد فإنه يجد في ذلك التراب شرة. ويفسرون ذلك أن كل إنسان أو حيوان له نجمة في السماء وإذا سقطت نجمة فمعناها أن إنساناً أو حيواناً مات تلك اللحظة وإذا كانت الشرة التي وجدتها في التراب المربوط بيضاء فإن الميت حيوان. أما إذا كانت سوداء فإن الميت إنسان.
- التوارق يقومون بدفع الأظافر والشعر. إذ يعتقدون أنه عن طريق الأظافر والشعر يمكن أن يلحق الأذى بصاحبها عن طريق السحر والمحجوب فاما أن يمتن أو يمرض وهي عادة معروفة عند كل سكان الصحراء.
- عندما يظهر حول القمر (هالة) فإنهم يقولون بل يعتقدون أن الشيخ أو السلطان غاضب. ولذلك يجب إزالة الغضب فيضعون قطعاً معدنية من النقود في الماء ويدقونها.
- عندما يشاهدون النجوم كثيرة في السماء - نتيجة صفاء الجو - يقولون إن مرد ذلك لا بد أن الحدادين شبعوا.
- المختلط بالتوارق - بل بالصحراويين عموماً - يشاهد على ذراع معظم رجالهم آثار حروق مستديرة على ظاهر الذراع ثلاثة أو أربعة حروق وأحياناً أكثر أو أقل . وسبباً لها أن أطفال التوارق يختبرون شجاعتهم بعضهم بوضع عيدان مشتعلة على أيديهم حتى تنطفئ النار ثم يعودون لاذكائها من جديد ويضعونها في موضع آخر . والذى يتحمل النار دون تأوه يعتبرونه شجاعاً أما الذى يخاف فإنه يبقى أضعفوا زملائه .

كما أن - حسب رأي التوارق - الرجل الذي لا يحمل هذه الآثار من المحرق يبقى دائمًا لعبة في يد الشيطان ومطية له<sup>(١)</sup>.

## التوارق والجبن

الصحراء مليئة بالجبن هكذا يعتقد سكانها توارق وعرباً. فعرب الجزيرة يعتقدون أن الشعراء لكل منهم أليف من الجن ينث في أذنه الشعر. وان للجن وادياً يدعى وادي عقر يسمع في الليل لهم فيه غناه وأهازيج.

والتوارق كأسلافهم العرب يعتقدون أن للجن سلطנות ومشيخات بعضها مسلم وبعضها نصارى وتقوم بينهم الحروب ويسقط القتلى، وكثيراً ما يتعرض الجن للقوافل يطلبون القماش لتكفين الموتى وشهداء المعارك ويجعلون من (جبل الجنون) بالقرب من غات مسرحاً لقصص الجن ولملائكة وتصوراته للبشر تارة على شكل غزال وتارة على شكل نحل وأخرى على شكل خيول أو جمال.

ويررون قصصاً عن صيادين حاولوا اصطياد الغزلان بالقرب من هذا الجبل وأنهم أصيروا بالجنون وماتوا.

ويقولون إن شخصاً لا يستطيع أن يصعد إلى هذا الجبل ولو حاول لقذفته الجن بعيداً.

في شهر ديسمبر من عام 1979 م. وصلت إلى هذا الجبل مع مجموعة من الأصدقاء وصعدنا إلى هذا الجبل حتى وصلنا ثالثة تقريباً. ولم يمنعنا من إقامة الصعود إلا عوامل التعرية التي جعلت هذا الجبل في أعلى أشبه بالحائط لا يستطيع الإنسان تسلقه إلا بسلم إن أراد.

ولم يعترضنا في رحلتنا هذه جن أو غيره ولم يصب منا أحد بأذى.

والآن يقام مشروع زراعي بالقرب من هذا الجبل (جبل الجنون) أنشيء بعد قيام

(١) - وليلة همة. من توارق الجنوب أفوغاس (مال).

الثورة في ليبيا وير بجانبه الطريق المعبد من أوباري إلى غات . ولم يعد لأقاصيص الجن ذكر لدى العاملين في المشروع .

غير أن التوارق في صحرائهم لا يزالون يعتبرون أن الجن سبب الكثير من الظواهر في أمراضهم وأمراض حيواناتهم .

## الباب السابع

١- الادب والرقص والموسيقى عند النوارق  
ب- العابهم الشعبيه



## **أ - الأدب والرقص والموسيقى عند التوارق**

ليس للتوارق أدب مكتوب تتناقله الأجيال وتزيد فيه أو تنقص منه، أو تنشد به على مر العصور.

إنما لهم أدب شفوي ينتقل من جيل إلى جيل بالمشافهة. وينقله الكبار للصغار - على غير قصد - بالحديث والسماع إن كان شعراً أو قصصاً يتسمّعه الصغار في مجالس آبائهم أو نزاه أمثالاً تقال حسب مكانها ووقتها أو شعراً تحفظ قصصه وقصائده على عادة العرب في جاهليتهم قبل الإسلام.

وللتوارق ككل شعوب الأرض آداب في شتى صورها شعراً ونشرأ، قصصاً ومسرحيات صغيرة ونواذر، أمثالاً وحكماً أملتها التجربة ومعارك الحياة والصراع معها. ولنتحدث عن كل لون على حدة مبتدئين بالشعر التارقي الذي يشبه في تعبيره وتشبيهاته الشعر العربي الصحراوي وهو ولا شك جزء منه وإن اختلفت اللهجة فإن العقلية واحدة وكذلك الأرضية الدينية والنظرة للحياة واحدة.

## **أ - الشعر**

النظم التارقي	التعريب
نيكيدي إيفاوت سيدوفي يارات	سرنا للدويرات للغزو
فوات أبادي سي سيريات	قطعنا الفيافي وطرق الصحاري
نوسيتلي هات إلا زلا إنتات	وجدنا الإيل ترعى في مراعيها
نيكاسيفل سيز كوريندات	سكنها في اتجاه الوطن

هذه المجازفة قمنا بها من أجل المقيمة في غات  
(موماغبات) البيضاء كالجبن.

ماذا يكون لو عرضها أخوها للدلالين  
لكنت أدفع ألف بقرة وألف ناقة مهراً لها

فولسيينين تيندي غينهينين غات  
(موماغبات) تينبيفان تاكهارت  
أندرتيك إنيداس داقتلالت  
نيكيف تيلمين داكيمين تيساقت

(١) ٢

النظام التارقي	التعريب
تران كونوين ديق أدميرين إستانسي فيلتينيد إللين ديكي كاميكسين فيزيرنا هلين	غرام (كونو) في صدرى يحرق كطعنة رمح وأى رمح، رمح في يد خصم لدود
التشبيهات العربية الصحراوية نفسها والعواطف نفسها والبيئة نفسها كما نجد أيضاً قصائد أخرى في الفخر والحماس والثورات والإشادة بمجهودات أبطال التوارق ضد الأعداء.	
أما القصيدة التالية فهي تروي امنيات مكتوبة في صدر تارقي بعيد عن وطنه (تاهرجان) - وهو اسم واد - وكيف حلم أنه في هذا الوادي وكيف أُسكت خصمه (دمًا) زوج (سموا) و (هاجر) وكيف وجده على بشر (امناسيل) يخطب الناس فأسكنه وأوصى زوجته أن تضر به بالعصا وتركها حاراً بدلاً من الجمل. وذلك قبل أن يشرب البقر ماء الخوض المملوء.	تقول القصيدة:

3

النظام التارقي  
١ - إنسينغ غور دي إبراهيم.

(١) - القصيدتان الأولى والثانية من كتاب عبد القادر جامي / المصدر السابق، ص 183 .

- 2 — ضَارَتْ زُوْزِجَنْ هِيشْلَائِنْ.
- 3 — هَارْ نَمْنُونْ دُجِيجْ تَهُورْ جَانْ.
- 4 — تَيْفَارْ لُوكْشَافْ خَالِي دُجَانِينْ.
- 5 — نَسْكَلْ تَاغَاتْ إِكْوَغْ بَغِيرْ.
- 6 — إِيهَانْ إِيشْكَانْ هِيْ أَوْهَازِينْ.
- 7 — نَسْوَرْتْ تَامْزِكْ دُغْ مَادُو دَالِينْ.
- 8 — أَدُونِيْغْ دِسْ وَنْغْ سَاغِيلْ آسْ سَكَنَا تَفُوكْ سَاثْكُولْ.
- 9 — أَنُورْ دَانُو وَانْ (أَمْنَاسِيلْ) إِياكُوسْغْ دَاغْ أَبَانِينْ.
- 10 — إِيوادْتْ (دَامَّا) أَوْدَا الرَّابُونْ إِيتْ لَاقْوِينْ اَدْرَازِينْ آكِي لَولُو إِيْتَلَهَانِينْ.
- 11 — إِيقَالْسَنْ شُونْ الغَالِيمْ.
- 12 — نِيغَاسْ (دَمَّا) أَتَكَلْ بَائْجُورْ إِذْجِي وَاجِيدْ إِنْ الْبَاخِيلْ.
- 13 — وَادْغْ إِيتَادِجْ أَوِيلْ قَادِرْ.
- 14 — نَتاولْ (سَمُو) نَاسُوكْ (هَاجِرْ).
- 15 — آسْ (دَمَّا) أَرْمَسْ دِسْ إِيغَافْ نَامُولْ.
- 16 — تَكْفِتْ أَنْغَاسْ سَثِيْتْ الْغَيْرْ.
- 17 — وَارْهِيْتْ تَكْفِبْ دَاعْ التَّاهِيرْ.
- 18 — إِيَاسِيسْ وَنْ إِيوانْ هَانِينْ.
- 19 — إِيْخَالْ هِيكَنْ أَذْ أَنْدَجَانِينْ.

#### التعريف:

- 1 — في الليلة الماضية ثمت عند أهل إبراهيم.
- 2 — بعد أن أخذى حلب الحليب.
- 3 — لقد حلمت أني كنت في (ناهرجان).
- 4 — فأخذت الرسن لأبحث عن الجمل.
- 5 — وكان الجمل يرعى قريباً مني بين الأشجار.
- 6 — ووضعت فوقه الراحلة وهي أجمل راحلة زرقاء.
- 7 — فانحنىت وضربته بيدي اليمنى.
- 8 — وعندما بزغت الشمس.

- 9 - وصلت إلى بشر (أمناسيل) التي ورثتها عن أبيه.
- 10 - وكان (دمًا) يتحدث في الفقراء.
- 11 - وهو يهددهم ويتوعدهم ويطلب منهم مغادرة المكان.
- 12 - وهو يتكلّم كأنه عالم كبير.
- 13 - فقلت له توقف عن هذا فإنه عمل البخلاء.
- 14 - وليس عمل النباء.
- 15 - فأرسلت كلمة إلى (سمُّو) وأخرى إلى (هاجر).
- 16 - بأن تأخذا من رأس الجمل غُرتَه.
- 17 - ثم تعطياه عصا وتركباه حارا فهو أولى به.
- 18 - وألا تتأخرا في هذا العمل وأن يكون في أسرع وقت.
- 19 - حتى قبل أن يشرب البقر الموجود على الموضع.

ولم يقتصر شعر التوارق على الشعر الصحراوي بتشبيهاته وأوصافه بل انطلق التوارق أخيراً إلى مجالات أرحب خاصة بعد تفجير الشورة في ليبيا ونداء العقيد القذافي للتوارق أن تكون حدود الجماهيرية مفتوحة لهم نظراً لما يعانونه من اضطهاد وعسف من قبل الدول التي يعيشون فيها (مالي و النيجير).

فقدم منهم آلاف. والتحموا مع إخوانهم الليبيين وعاشوا ظروف الشورة وثقفوا بثقافتها وتبشّعوا بآدابها وأهدافها فها نحن نجد أيضاً شعرهم يتغير.

- 4 -

**نُوتَابْ نَجْبَيَاسْ إِيَيَاسْ نَقْبَالْ.**

- 1 - تَارْ يَسْمَاوِينْ تَيَدَاوِنَدَارْ.
- 2 - إِنْ يَايَتَمَا كُو ضِيَطْ يُسَلَامْ يَسْتُورَه دِيدْ إِيَيَاسْ تَفَارْ.
- 3 - تَمُوسْ الْأَنْحَالْ آمُونْ دَغْ مَانْ إِيَهَانْ آشَنِي إِيَهَا چِرْ جَازْ.
- 4 - وَارْ لِي سِفَرَانْ سَلْ إِاجْزَارْ.

- ٥ - آن إيميدن وين كل عرمان آن إيضدن إذكيل رجوان باش هين أقيم هار  
أثالم جم يتبدى إيت تكنام.
- ٦ - آلياظ تامغارت غاره ترضام.
- ٧ - إيشنجا ديد إيساس أوذان آين نستفسيفيو آرغان فل آذ تاكرشن أكان  
إيمدان ناديت نقام إيساس نوشان.
- ٨ - تاكرشن توماشت نكتو إيغرمان ناكرشن تاغاشت ناج إفرجان.  
يا الله تاذهلت آدك بتاز فلاذ ناطف آدين نسلام.
- ٩ - تاسد تيلوات إيتيلأ اوزار.

#### التعريب:

- إن هذا الوضع الذي نعيش فيه سيء.
- قل لإخوتي إن الثورة قد اعلنت.
- إنها قضية في الروح والقلب والدم.
- ليس هناك الآن حل سوي الحقد.
- قل لرجال المدن. والنساء، وسكان الغابات والقرى لم يبق إلا حضوركم. ووقفكم جميعاً موحدين.
- أيها الطفل. أيتها العجوز. يجب أن تتلقوا جميعاً.
- الأعداء لن ينعموا بالسلام بعد اليوم. سنطردهم بالنار المحرقه. وستكون لنا الأرض كلها. وسنبنيها ونعمرها ونقيم فيها ونوقف الترحال.
- ستكون لنا دولة. ونبني المدن. وسيكون لنا وطن. وتكون لنا حدائق. ونطلب من الله العون لحماية الإسلام.
- وتعلم السعادة كل المؤسأء والمضطهدين.

وهذه القصيدة الأخرى الصغيرة يخاطب فيها التارقي أحفاد البطل (أزميلو) ويطلب منهم في هذه الأبيات الرمزية أن يغادروا مواطن البؤس قبل أن يصيّهم الفناء.

إيدوَنْ داغ آميُلو

- 1 - آفِلْتْ ذاتْ فاذْ إيدْ إينيغِيفُو
- 2 - آيَا فانَاغْ آغِلْ أولِي
- 3 - سِكُنْتْ سانْ مازْ آسْ إنفيُلُو

التعريب:

إخواني أبناء ازميلو

- 1 - غادروا قبل العطش حتى لا يصيّبكم الضُّمور
- 2 - هذا العطش سيأخذنا مثل المعizer
- 3 - أظهروا له أننا نغادر عند الغسق

- ٦ -

أما القصيدة السادسة فلنها وعید لحكومة مالي والنيجر اللتين تضطهدان التوارق وتجبرهما على الفرار شهلاً وجنوبياً، تقول القصيدة:

مالي إذ نيجر أثر ماغام

- 1 - ولا دولة اتهيام أو تماشق آدرابين
- 2 - الرشاشة دل المدفع دازركيكي وأي تاغادين
- 3 - إيراها التاريخ واتنكرام.

التعريب:

مالي والنيجر ستخافان

- 1 - خاصية عندما يسمعون أن التارقي تدرب
- 2 - على الرشاش والمدفع ولعلمة الرصاص
- 3 - إنه يطلب منهم كشف التاريخ

أما القصيدة السابعة التي نوردها كمثل من أمثال شعر التوارق الحديث المتعطش

للحثرة الإسلامية والتي تهدف إلى تحرير صحرائهم من ظلم الأعداء ومن الاستعمار  
فهي :

- يا مسيينا اي توس ناناغ  
1 - مالي او نيجر آكال ناناغ  
2 - تكتيد ثوره إيدغ ناناغ  
3 - فال تاماتين ميدن ناناغ  
4 - يا قواتين أخذنا ناناغ  
5 - أتزجرم زابو ناناغ  
6 - واز تدويسْ تيشال ناناغ  
7 - أغرد ناسان هدف ناناغ  
8 - اتخرز توماشت ناناغ

التعریب:

- يا الله هذا هدفنا  
1 - مالي والنیجر أرضنا  
2 - بلغ بالثورة أهدافنا  
3 - من أجلها يموت دوما رجالنا  
4 - أيها القوادون أنتم أعداؤنا  
5 - اخرجوا من طريقنا  
6 - لا تستطيعون أن تفعلوا مثلنا  
7 - كلنا نعرف أهدافنا  
8 - وسنحرر أوطاننا.

هذه سبع قصائد في أغراض مختلفة أخذناها مثلاً للشعر التارقي واللاحظ أن الشعر  
التارقي هو أيضاً موزون ومدقق وموحد الهدف، ومتعدد الأغراض.

## ب - النثر

للتوارق أدب ثوري قوامه القصص التاريخية وتاريخ البطولات والأساطير الشعبية عن العفاريت والجن وغيرها ولكن هذه الشروء الأدبية غير مكتوبة وبالتالي يصعب استقاوئها من المصادر المكتوبة وإنما تتناقل مشافهة بين الأجيال.

وقد استطاعت جمع مجموعة من الأمثال الشعبية التارقية التي لا تختلف كثيراً في مضمونها وخلاصتها عن الأمثال العربية سواء منها الدارج في الشمال الافريقي أو الفصحى من أدب العرب في جزيرتهم أيام سطوتهم وقوتهم.

### الأمثال الشعبية التارقية

1 - آمان إيمان.

وهو نفس المثل الشعبي الليبي.

- الماء آمان.

أي ان الماء هو الحياة واليمن والراحة.

2 - أستشتنينا إيلوانْ أسناسْ آمانْ أسيلوانْ.

المعنى: إذا رأيت قوماً متربفين ويعيشون في بحبوحة من العيش فاعلم أن سبب ذلك توفر الماء لديهم.

3 - إكيورْ نزدايْ إشائشيكْ إضانْ.

المعنى: الذي لا يعرفك يحرض الكلاب على أكلك.

4 - تزيضارنْ نلليْ ثوقداً اثغرستنيات.

المعنى: صبر الشخص الحر يساوي عمره أي عليه أن يتخلص بالصبر طوال عمره.

5 - شكيورتها زُنْ تها آجَضْ.

المعنى: التي ليست فيك فكأنها في الحمار أي أن المصيبة التي لا تصيبك مباشرة فكأنها أصابت حماراً فلا تشعر بها.

## 6- أَقْمِشَكْ ثُوقُوستْ أَدْغِيتَارْزُوا.

المعنى: المساحة لا تنكسر إلا في المزرعة. ويقصدون أن الشخص يجب أن يقضى عمره في مجال تخصصه. والمثل ينبع من نظرتهم الاجتماعية لرسوخ الطبقات في مجتمع التارق.

7- آطْرِيَاغُ أَقْمِيتُ، أَوَاوْرَتْرِي سَثْمِيتُ.

المعنى: الشيء الذي تريده اطلبه وحدك شخصياً وهذا المثل بمعنى المثل العربي:  
ما حك جلدك مثل ظفرك فتول أنت شؤون أمرك

- 8 - آجیزْ آمَضْ إِقْتَاضْ أَقْتَاضْ نِرْ زِيْ إِيُورْ

المعنى: من لا يحب الغبار فلا يبحث عن الـ (آجير) والـ (أجير) هي حبوب مدفونة في تراب الصحراء يحفر عليها الأطفال بالعصي ويأكلونها. ويسميها الليبيون (تمير) تصغير تم والمثل يضرب لمن يريد المكاسب بلا متابع.

۹- وار اوفری ین آمزدین یا لهی.

المعنى: شعر الرأس لا يشعر بالبرودة، أي يقال المثل لمن تغضب عليه وتعنفه وهو لا يحرك ساكناً.

10 - آغان شىڭرىن: وارمادىبا آتاكوكىلنى.

المعنى: الحبل الطويل لا ينبع من الرفس وهو المثل الشعبي الليبي نفسه. «طول الحيط يضيّع الإيرة».

١١- آجر تذ داراک آتیت تنهیاً داتاک.

المعنى: أرمك إلى الخلف ستتجده أمامك ويقصد بالمثل؛ اعمل الخير وانسه ستتجده أمامك غداً.

12- سیغار وان کور کور ایت مازوجن.

المعنى: احترام القرع للأذنين. ويقولون هذا المثل للاحترام الزائف من شخص ما ويريدون تبيهه بذلك فيقولون إن احترامك كاحترام مرض (القرع) الذي يصيب الرأس لأذني المصاب. إذ إن عدم وصوله لها لا يعني أن المريض غير مصاب.

١٣- أوفا إيلال آرْزَن داغْ تاغُمَا أوهِنْ إيلالَن آرْزَن داغْ تِنَا.

المعنى: نبيل مكسور الرجل أفضل من نبيل مكسور الكلام.  
ويقصدون أن تكون مكسور الرجل أفضل من أن تكون كاذباً في كلامك.

14 - تَقْلِيدُ تَسْرُولَتْ شَاجْ آيْلِي.

المعنى: أرب عاد يصطاد لكلب.

ويقصدون بالمثل الصعيف يطلب منه مساعدة القوي وهذا غير ذي فائدة.

15 - وَرْطَهْ صَيْدَ دَاعْ تَكْمُونَاك.

المعنى: لا تسخر من مصيبة آخر فقد يصيبك ما أصابه.

16 - تَلَاهِينْ تَاهِيتْ تَزَارْ يَاضَرْ.

المعنى: الرجل العليا دائمأ عليا.

أي أن الرجل النبيل سيقى نبيلاً.

17 - رَاسْ تَنْدِيرْ مَاسْ إِيشْ آدَادْ بَلْ تَيْنْ إِيَاضْ.

المعنى: لا يستطيع إطعام أمه ويريد إطعام أمهات الناس ويقال هذا المثل للذى لا يستطيع فعل الخير لنفسه ويحاول فعله للآخرين.

18 - آري تَرَثِيلِي هَارْ إِيجَرَوْ إِيهَهَنْ إِيسُونَفِيتْ.

المعنى: الذي يبحث عن الظل ويكره الليل فمن الأفضل له أن يستريح. ويقصدون بالمثل، إذا كنت تبحث عن الأنح韶ة وتكره الصداقـة فالأفضل لك أن لا تفعل لأن هذا لا يتحقق.

19 - وُرِيتْ إِيرَتْ يَنَاكْ وَارِينْ آكْسُودْ يَاَللَّهْ.

المعنى: لا تطلب السوء لمن لا يخاف الله. لأن عدم خوفه من الله قمة المأسى.

20 - آنَاكْ كَيْ أُوجَرَنْ تَلَى إِيَشَدَجْ هَرَدْ.

المعنى: الأخ الأغنى منك يستصغرك دائمأ.

21 - آفُوسْ إِيلَانْ آسْكُنْفْ وَارْ إِيرَقْ.

المعنى: اليد في القفاز لا تحرق.

أي من له قوة أو جاه لا يخيب.

22 - وايْ جَرَنْ تايلَا لتسِيسْ تَرْزَاتْ إسْ ثُبُورِيدْ تَرْزَا إِقَدْتَتْ تِيسْتَنِي.

المعنى: لا ترم الطائر في السماء بطائر في يده سخسر الاثنين.

وهو يعني المثل الشعبي الليبي: يطلق الطير ويجري تحته.

وبمعنى المثل العربي: «طائر في اليد خير من عشرة فوق الشجرة».

23 - آري وارين أوغصص ايهِرْئِيسْ آدَاغَاز وانيضْ.

المعنى: من لا يحرس ماله يحرس مال غيره أي الذي لا يحافظ على ماله ويتركه للضياع سيحتاج للعمل في حراسة أموال الآخرين.

24 - آري كي إِيَكْفَنْ سُفُوسْ إِيَانْ آهَاكْ آغِي إسْ وايَاضِينْ.

المعنى: الذي يعطيك بيد يختنقك بالأخرى.

أي أن الذي يعطيك ويتفضل عليك لا شك أنه يجعلك مديناً له ودينه في عنقك تسعى لخلاصه.

25 - أوفاينْ تِيغَادْ ثُبُوغُوزْ تِينْ آزال.

المعنى: أن تعرق وأنت تحرس أفضل من أن تعرق وأنت تبحث.

أي لأن تتعب وتسهر في حراسة إبلك خير لك من أن تتعب وتسهر وأنت تبحث عنها.

26 - أوكَلْ آكَلْ وارهِيُنْ تَاهَا غَايِينْ.

المعنى: منها كانت يقظتك لا بد من الخسارة في بلاد ظلمة.

ومعنى المثل أن اليقظة تحتاج معها لقوانين تحكم البلد.

27 - اواثْرِهِيدْ آتِرْتْ آوارْتْرِهِيدْ سُوتَرْدْ.

المعنى: ابحث عنها تريده واجعل الناس يبحثون عنها لا تريده.

أي اهتم بشأنك واترك الناس يهتمون بشؤون وهم.

28 - آري كَيْ أورْدَنْ لازْكَيْ أردو نِيكِرَا.

المعنى: من يشك في أنك جائع يشك في أنك لص.

29 - آري ويرينيلا هَارَدْ وارْ إِينِسْ.

المعنى: من لا يملك شيئاً يجب أن لا يستريح.

والمثل يعني المحث على العمل.  
30 - أَبْرَهَانْ آمَالَنْ آرُدُتْ.

المعنى: من يحب البياض عليه أن يوفره، المثل يدعو لتوفير المرء حاجته بنفسه.  
31 - إِيْتَمَاسْ إِكْلَانْ تَفُوكْ إِيشِخَبَائِيتْ إِكْلَانْتِي.

المعنى: إخوانه في الشمس واعداؤه في الظل، يقال المثل لمن يحسن لأعدائه ويفربهم  
ويسيء لأصدقائه وأقربائه ويعدهم.

32 - وَرْتَقِيلْدْ إِيجَاكِسْبَا إِيمِيدَنْ أَكْسِينَائِكِي وَرْتَقِيلْدْ تَارِيُوتْ إِيمِيدَنْ  
المازِنِكِي.

المعنى: لا تكن فلفلةً فتعطسْ ولا تكن عسلًا فتلحس وخير الأمور الوسط.  
وهذا المثل قريب للمثال العربي.

«لا تكن ليناً فتعصر ولا يابساً فتكسر».  
33 - آتِشُورْ تِيمَتْ آتِنَاوِي تابِشِي.

المعنى: كل ما يخفيه الناس يُعرف بالذكاء أي هناك دائمًا من يستطيع كشف ما تخفيه  
وهذا أشبه ببيت شعر لزهير بن أبي سلمي حيث يقول:  
ومهما تكن عند امرئٍ من خليةٍ وان خالها تخفي على الناس ثعلم  
34 - آشِيلْ تَرْهِيدْ دِي وَرْتَرْهِيدْ هارْدَاسْ وَوَرْهِيدْ.

المعنى: يوم تجبه ويوم تكرهه إلى أن تحن المنية.  
وهذا المثل هو المثل العربي التالي نفسه: «الدهر يوم لك و يوم عليك».

35 - إِيمَنْ أَبَاهُو وَأَرْمَا قَرَنْ وَادِينَلْ إِيجِيجْ.

المعنى: الكذاب الجيد يأتي من بعيد وهو المثل الشعبي الليبي نفسه.  
«تغريب واكذب».

36 - مَامَا دَكَسْ وَارِي تَقْرُ.

المعنى: من لا يحفظ شيئاً لا يستطيع إظهار شيء والمثل يمحث ويحرض على الادخار.

37 - مَامَا دَلِيمِدْ وَارِ إِيسِستِينْ.

المعنى: من لا يطلب شيئاً لا يحصل على شيء أي أن الذي يريد تحصيل العلم لا بد له  
من لسان مسئول.

38 - تَابِلَالْتْ تُوسِدْ شَجْ إِيْكَرْ.

المعنى: جاءت القطة تصطاد الديك في المدينة والقطة هي طائر يعيش في الصحراء.  
ويقصدون أن البدوي لا يمكن له أن يعيش في الحضر أو مثل سكان المدن.

39 - وَرْطَتْ صَيْدُ دَاغْ أَوْ إِسْنَائِنْ تِسْ نَابِدْ أَزْقَرْ.

المعنى: لا يسخر الأقرع من الأعور، أي لكل ذي عاهة عيب يغطيه عن شتم الآخرين.

40 - تَأَكَّمَتْ هَائِي أَفْرُونْ وَانْ تِيمِيلِي وَيَسْ وَارْهِينِي وَيَسْ.

المعنى: الناقة لا ترى اعوجاج رقبتها وهو المثل الشعبي الليبي نفسه:  
«الجمل ما يشبحش لعروج رقبته».

هذه مجموعة من الأمثال الشعبية التارقية أخذتها هنا للدلالة والتوضيح على صيغة التوارق في أمثالهم ومقاربتها للأمثال الشعبية العربية الدارج منها والفصيح ولو أنها أوردنا مجموعة كبيرة نسبياً من هذه الأمثال وسبب ذلك أن أمثال التوارق غير مدونة وغير مدرورة في كتب يمكن للقارئ أن يرجع إليها أو يطلع عليها لهذا حاولت التبسيط في سرد الأمثال حتى يكون القارئ على بينة ولو بسيطة بأمثال التوارق وحكمهم وخلاصة تجاربهم في صحرائهم.

### جـ - الأحاجي

الأحاجي هي الفاز شعبية يسر بها الصغار وأحياناً الكبار في ليالي فراغهم  
ويتندرون بها ويخبرون بها ذكاء بعضهم بعضاً.

وتنقسم المجموعة السامرية إلى مجموعتين كل مجموعة تلقى بلغز للمجموعة الثانية  
وإذا لم تستطع الإجابة عليه تعتبر المجموعة الأولى منتصرة ويستمرون في الألغاز وإيجاد حلوها حتى ساعة متأخرة من الليل حيث ينفض الجموع ويعود كل فريق إلى منازله للنوم  
وفي الصباح تتبعه مشاق الحياة وظروف المنطقة من رعي وسفرى وجلب حطب ومهام أخرى.

وعندما يتلقون في الليل يعودون للسمير كالليلة السالفة وهكذا. ومن أحاجي الأطفال نستقي هذه المجموعة لتلقي بها الضوء على أحاجي التوارق في سهراتهم.

١ - آمْغَارْ أَوْلَائِنْ سِيْسِيْ نِيْتْ - أَبُورَاغْ.

**التعريب:** ماذا يعني شيخ مربوط من سنته؟

**وحل الأحجية:** التمرة والنواة.

2 - تأليفات تاسدلو تاغاق - تاسيندوت.

**التعريب:** بنت ربّاها وكبّرها الرقص.

**حل الأحجية:** الزبدة.

إذ من المعلوم ان الزبدة تجتمع ويكبر حجمها عند مخض اللبن.

3 - آكال إيجان تيكست - تايا ثوفت.

**التعريب:** أرض مرقعة.

**حل الأحجية:** بيت النمل.

4 - إيشز إن ميل ون إيشتاون ديشران.

**التعريب:** شيخ يغرب (البرفوق).

**الحل:** السماء والنجوم.

5 - آلياض وارين أكسوحن تي هاي - آجاه.

**التعريب:** طفل لا يخاف الظلام.

**الحل:** الدلو إذ إنه ينزل إلى أعماق البشر المظلمة. فهو لا يخشى الظلام.

6 - تأليفات وار إيتوكسوس إيسيناين - ثوتالا.

**التعريب:** بنت لا تخاف الأشواك.

**الحل:** البلطة. وهي الفأس الذي يقطع الأشجار.

7 - آلياض وارين يايلا تيفاهار هاس تاغشيد إزكانيلض - تينضربات.

**التعريب:** طفل لا نعرف فائدته إلا عندما نبني له خيمة.

**الحل:** الفخ . الشرك الذي يوضع لاصطياد الحيوانات.

8 - إلياض إلان ثسائليس جرز سيسيص - إيسوانج.

**التعريب:** طفل بطنه بين أسنانه.

**الحل:** المشط.

٩ - آلياضْ وَرَينطَسْ هَارْ آدَاقِلْ دَاعْ جِرْجَارِئِسْ سَدْ آسِمَاهِيدْ.  
التعريب: طفل لا ينام إلا عندما يدخل في صدره.  
الحل: الموسى عندما نطوى.

١٠ - ثَامْ كَتِنَاشْ - إِيلُو إِيتَرَانْ آدَكُلُو دَاؤْ تَلَاخْ.  
التعريب: أكبر مستحيل.  
الحل: فيل يستظل بالنجم (وهو عشب صغير ينمو على وجه الأرض).

١١ - آهَتِينْ إِينِجِوَانْ - إِيلَلْ كُودْ أوْكَرْمِيَتْ إِيرِيَدَوْنْ.  
التعريب: قلة غدوة.  
عندما غدوة القلة تفهم البقرة.

والحل: إذا سرق النبيل يتهم الفقير.

١٢ - إِيَانْ نَالْ هَنْدْ - تَارْ تَاضِعَلْتْ ثُوفِيتْ تَاشُورِي.  
التعريب: بيت من صلب.

الحل: حمة رديئة أحسن منها ضبع.

١٣ - آسِنَانْ نَافَارَاجْ - آرَكَنَهَرَاجْ.  
التعريب: شوكة حنزير.

الحل: البخار الرديء - جار السوء.

١٤ - ثَمَرْغِيَتْ أَلْتَهَا نَافُوتْ - إِيهَانْ وَارْهَامَاكْ وَرَتَلَهَا تَهَاينَدْ.  
التعريب: فضلات قدية بجوار البقرة.

الحل: غيم بدون حنان.

١٥ - إِرْكِيفَشْ نَارَا نِيدِي - تِعَلَوِينْ إِنيَّا رَهِينَ وِرْهَاسِنْدْ مَادِيَا آنا مَسَجِرْ.  
التعريب: نوم كاذب ل الكلب صغير.

الحل: عيون المحبين ترى بعضها حتى بalf حارس.

١٦ - آيْلِلْ إِنْبَاجَنْ هَارْ إِسَا - يَاغُفْ.  
التعريب: برّاد به سبعة ثقوب.

الحل: الرأس بها (عينان وأذنان وأنف وفم).

- 17 - تَقْيِدُ يَهَادٌ تَقْيِدُ يَهِينٌ تَسْوَفٌ إِنْهَالٌ هَايِنٌ مُورِيتَانِي - تِيفَاؤتُ.
- التعریب: كرة تطير هنا وفي نفس الوقت تجفل النعام في موريتانيا.  
 الحسل: الفجر.
- 18 - إِنِاكِيلْ تَلْمُ نِيدِي - ثَمِطْتِنْ سِيِّتْ وَرْجَمَرْ أُورِي.
- التعریب: حذاء بجلد كلب.  
 الحسل: المرأة الشرهة التي لا تستطيع أن تصنع الزبدة.
- 19 - تِغَايِيدَ اسَدُولْ إِيجُوُوي - تِيلَاجَاصَتْ.
- التعریب: معزى تكبر مربوطة.  
 الحسل: البطيخ (الدلاع).
- 20 - آلِيَاضْ تَاسِي تَاسُو تَرَدْ إِيسَاغِيرَنْ وَارْهِينْ إِيْتِي وَلِيَانْ - اسَمَاهِدْ.
- التعریب: طفل تبعثه يختطب فلا يترك في الغابة شجرة واحدة.  
 الحسل: آلة الخلافة.
- 21 - آيْتُوارْ يَالَّه - آكِلِكِيلْ.
- التعریب: العُبرة التي كسامها الله وتركها مخفية.  
 الحسل: المخ (الدماغ).
- 22 - تِيلَتْ نَاسِجِنْ - آكْلي.
- التعریب: الخشب الأسود.  
 الحسل: الزنجي.
- 23 - آجيَدُودْ إِيهَانْ إِيَانْ - تاكلِيتْ تاطُكَارِتْ.
- التعریب: قربة جديدة في داخل قربة قديمة.  
 الحسل: زنجية حبل.
- 24 - آسيَارْ تَهُولَتْ - آري وَرْتَازِيدْ إِاسُاوَا يَاكِدْ تَاهُولَتْ.
- التعریب: مفتاح من حجر.  
 الحسل: هدية تذكارية معطاة من غريب.

- 25 - وَرْمُوكَنْ إِيجَا - إِيلُو اجْلَطْ أو سِيتْ.  
 التعرّيب: أكبر شيءٍ خارق للعادة لم يُرَ أبداً.  
 الحل: فيل تصرعه ثلة.
- 26 - تَسْكُووْلَتْ وَاغْ تافارَاوِيتْ كُووْلَتْ - تِيلِيكْ.  
 التعرّيب: بقرة سوداء في غابة سوداء.  
 الحل: قملة في الشعر.
- 27 - آلِيَاضْ أو غاينْ إِيماسْ - آسَغَارِنْ نِيدِيدْ.  
 التعرّيب: طفل صغير يختنق أمه.  
 الحل: رباط القربة (حبل صغير يربط به فم القربة).
- 28 - آذْجَاجِنْ إِي ذْجَاجِنْ إِسَامَنْ آيِسَامَنْ إِسْيُواْلْ آكُرْوَاتْ دَاغْ تَاسَا إِنْ مَاسْ - آشِيلْ إِيلْ كَمِنْ.  
 التعرّيب: ما هو اليوم الذي يرعد فيه الرعد ويبرق فيه البرق ويصبح فيه الحروف في  
 بطن أمها؟  
 الحل: يوم القيمة.
- 29 - تاهاغيتْ جَرْخَانِتْ - تَرْهَا وَرْتَتْ دِي تِيرُو أو تَرْ.  
 التعرّيب: بقرة متعددة الألوان.  
 الحل: الصدقة لمنفعة.
- 30 - الْكِينْ إِيسَاكِرِينْ - تَرْهَا.  
 التعرّيب: القدر يخمر الحب.  
 الحل: الصدقة لا تخلق بالطلب.
- 31 - وَائِغْ إِيجَانْ إِنْهَايَاغْ إِيلُو إِيشِينْ آزْفَرْ - مَايَا.  
 التعرّيب: اعتلى كثبان الرمل ورأى ثلة تسلخ جلد فيل.  
 الحل: الأرض الجرداء (الجفاف).
- 32 - إِيلَاكِيدْ دَالِنْ إِيلَانْ جَازْ أُولَلِي وَرْتَتْ - تِيهُوسَايْ إِنْ وَلَتْ مَاكْ مَاهَاكْ إِيكَشَدْ.

النعم بـ: غصـ، موـرقـ بـن عـزـيـزـ، لا تـأـكـلـانـهـ.

**الحل** : جمال أختك (إذ إن الأخت لا يحل لأن أخيها أن يتزوجها).

<sup>33</sup> - تأثیات سیاسته آتی، ادریس، داغ آکاں - تاویسیت.

**التعريف:** البنت عندما تنام تترك دائمًا أثراً لها على الأرض.

الخواص

34- آئے جا شہن فا اُر و رین نیت ایفا کیل:

التعريب: شيء يكتسي على ظهره.

الحل: المذاق.

35- الْبَارُوضُ سَيِّدِي هَا آوَىْ آوَىْ هَنْ تَاسَاتِيْتُ - الْبَارُوضُ.

**التعرّيف:** الطفل عندما يُمكّن يفرغ كلّ ما في بطنه.

الحل: البدقة.

36- إِلْمَاعَنْ عَاغْ آمِنْ مِشَانْ وَارْبِيدْجَنْ - إِيْسَينْ.

التعريف: دائمًا في الماء ولكنها لا تبتل.

الحل: الأسنان.

37- إِسْوَادَيْنِيَّاْغُ ائْدَرْ يَالَّهُ ائْغَانَا - إِيْثَرَانْ.

التعريف: شجرة طويلة ليس لها ظل.

الحل: رمح.

38 - آهشک شیجرین وارین ایجایلی ایمسیس - الاغ.

**التعريّب:** الرّقّ يهـ البعـيـدة إـذـا لم تـكـن مـن اللهـ تـقـتـلـ.

الحل: النجوم.

39- سِمُوسْ مِيدَنْ وَاثْنَيْنْ تِسْ سَانُو- إِسْكَاضْ إِذْ تِكْرِيشْ:

**التعريف:** خمسة رجال يقودون بقرة إلى حفرة.

**الحل:** اليد والأصابع الخمسة أثناء الأكل.

٤٠- تعناس، مشان، کلاتشور، سور، ایغافنیت - تستائٹ.

التعريب: تلبس تانغو لحافا ولا تضعه أبداً على رأسها.  
الحل: الميفك.

41 - اوديس سبي تشكالذ تالين كوتنيت آينهيد آوي هن تاسانيست إيهاكيد.  
التعريب: ثور عندما يرفع ذيله ترى كل ما في بطنه.  
الحل: حبال الخيمة.

42 - آلياضن إسلام كُوز دارِن إد تاز فاميشان وَار إيسيس وَار إبرَجَش آجَارُوفْ.  
التعريب: طفل له اربعة أرجل وبطن ولكنه لا يمشي.  
الحل: عشبة في الصحراء لها جسم وشوكتان من الأمام وشوكتان من الخلف يسمى بها التوارق (أكرام - أكرام).

43 - آيتاين نسدا رتنيت إيساسا داتاس - آمدغ.  
التعريب: الحيوان الذي يأكل من الخلف ويشرب من الأمام.  
الحل: الزرافه.

44 - تاميط وَريست هنّي هار آتسوت - تيفايلت.  
التعريب: امرأة لا ترى إلا وهي حامل.  
الحل: المصباح (لا يشتعل إلا بالبطارية).

45 - سوموساثوان ذرفـر - تشاوين آجوش.  
التعريب: خمس بقرات وثور.  
الحل: الأصابع الخمسة والقدم.

46 - آلاجـود آمورادين - إينسـجامـ.  
التعريب: بغير يزحف.  
الحل: القلق والتفكير الدائم.

47 - آمغار واريـن إيسـسينـ ماجـرـهـ - أناـهـيلـ.  
التعريب: أكبرهم سنا ولا يستطيع الكلام.  
الحل: النعامة (أكبر الطيور ولا تطير).

48 - آيْ بِيَيْ وَايْنْ تِيمِيَضْيِي إِنْ تَسْ وَارْ إِيُوايْ تِسْتِيتْ تِنسَاتْ - زابو.

التعريب: الشيء الذي يستطيع حمل 100 مائة بقرة واقفة ولا يحمل بقرة واحدة نائمة.

الحل: الطريق (الطريق الضيق في الجبل).

49 - تَمَطْ تِيرُوتْ إِسْ سَاشِرُو تِيُّتْ دَهَالِيسْ إِيْثِيرَونْ إِسْ تَاسَائِيلِيتْ تافاراستْ إِذْ أَنَافَدْ.

التعريب: زوجان. الرجل يلد من ظهره والمرأة تلد من جنبها.

الحل: عود الثقاب يشتعل من جنبه وال الحديد من ظهره (ويقصد بالحديد الزفاد الذي يقدح به الحجر).

50 - آلِيَاضْ إِيلَانْ إِيْضَارِنْ هَرْكُوكْ آسِينَا كَرَافِنْ - ثَمَارِكِيدِيدَ.

التعريب: طفل مربع رجليه دائمًا.

الحل: الواح على شكل مربع لحمل الأغراض في خيام التوارق.

51 - آلَاغْ إِيْغَثَانْ سِيشَلْ - إِوَادِمْ تِزَأِيدْ سِيَيْ وَالآَلَهْ دَاعْ سَالَانْ نِيتْ.

التعريب: رمح مغروس في الأرض.

الحل: شخص تعرفه جيداً وهو دائم التعريف بنفسه.

52 - طُولِمانْ كِراضِيَتْ سِيَيْ هِينْ تَقِيمْ إِيَتْ وَارْتَازِجِنْتْ - إِيْسِجَادْ.

التعريب: له ثلات نوq إذا نقصت واحدة لا يحصل على اللبن.

الحل: حجر الصوان والحديد والخرقة وهي الأشياء الثلاثة التي يحصل بها التارقى على النار.

هذه بعض الأحادي التارقية استعرضناها هنا لإعطاء فكرة على تفكيرهم وطريقة طرحهم للألغاز وتشبيهاتهم ومشبهاتهم وجميعها مأخوذة - كما لاحظنا - من البيئة الصحراوية.

## الغناء والموسيقى عند التوارق

الغناء عند التوارق كالأكل والشرب. لا يستغنوون عنه ولا يقلعون عنه. فالتارقي يغني في بيته وفي طريقه لجلب الماء، أو لسفر الحيوانات، وفي صحرائه وهو يمتنع ظهر جله المهاري يتغنى ليطرد الملل والتعاس في ليالي الصيف الرطبة حيث يحملوه السير بعد يوم من الحر القائل. وكما الرجل كذلك المرأة، ففي جميع المناسبات تغنى المرأة في الأفراح بجميع أنواعها. وهي تضرب على آلة الإيقاع (التيندي) وهي أيضاً ترافق صوت (الأمزاد) الجميل.

وغناء التوارق حسب ظرفه. إما غناء بالأبعاد والبطولات، وإما تشبيب بالحبوبة في الطرق الطويلة الممدة فوق ظهر المهاري، وإما غناء مناسبات يردد أشعاراً وضعت قديماً في موضوع المناسبة.

وللتوارق مجموعة من الألحان المتعارف عليه يغنونها الأفراد في مناسباتها.

ويجمل الحديث أن التوارق قبائل مغنية ككل الصحراويين. والتارقي يتخذ من صحرائه تشبيهاته وأوصافه، ولا يتعد كثيراً كثيراً عن صحرائه.

الموسيقى: للصحراويين جيماً مجموعة من الآلات الموسيقية المصنوعة في الصحراء والتي يعزف عليها الخذاق منهم (من طبقة الحدادين) في الأعراس والأفراح. ولعل أهم آلة في بلاد التوارق والتي يشيدون بها بما يشبه التقديس هي:

١ - الأمزاد: ويسميها العرب الليبيون (القمبرى) وهي عبارة عن قدرح من الخشب يربط على فمه جلد شاة وينخرج من طرفيه عودان يشد بينهما قضيب من شعر الخيل. كما يثقب الجلد ثقبين أو ثلاثة في الوسط. ويأخذون عوداً على شكل هلال ويربطون

طرفيه بقضيب آخر من شعر الخيل (شعر الذيل) ويدعون الشعر ببعضه فتصدر صوتاً جيلاً يغيرون نبراته بتبديل أصابع اليد اليسرى حيث تكون اليد اليمنى منهمكة بالدمعك. وهذه الآلة أشبه ما تكون بالربابة العربية أو (الكامنجة) الأوروبية.

وفي ليالي سمر شباب التوارق يجتمعون عند فتاة جميلة تعزف على الأمزادر فيتحلقون على كثيب رمل يستمعون في إصغاء يشبه الموت لصوت الآلة وأصابع الفتاة تحرك بها أوتار القلوب وتغنى على أنقامها فترتيد الصحراء وسكونها الصوت رهبة وخشوعاً ليس له مثيل في غير الصحراء.

وعند انطلاق التوارق للحرب يجتمعون ليلة هجومهم على العدو، أو خروجهم للغزو جيعاً يستمعون للأمزادر إلى الصباح حيث ينطلق الجميع من ذلك المربع ركوباً على جماهم باتجاه العدو. والذي يخشي العدو أو يتأنّر يذكر ونه بليلة الأمزادر فيتقدم لأن الجميع سيسمعون ليلة ما بعد العودة أخبار المعركة تغنى على الأمزادر وتدكر الشجعان كما تذكر أيضاً الجبناء.

وإني لأذكر أغنية رواها لي أحد توارق (منغستان) في معركة وادي الثالث ضد الإيطاليين 1923 . علق بذهني تعريتها الذي يقول:

انطلقا للحرب.

الجهاد ضد الكفار.

ومنا من يذكر أحاديث الجلسات في الخيام.

ومنا من انشغل عقله من هول المعركة المنتظرة.

ومن هؤلاء «ادريس»<sup>(1)</sup> الذي وضع راحلته مقلوبة.

وذلك لشدة حيرته.

والتارقي يعتبر الأمزادر شيئاً مقدساً. وبعضهم يقسم به وإذا ما فاجأت التارقي وصلاح صيحته المعهودة فإنه كثيراً ما يقول في هذه الصيحة (الأمزادر) ولا تخلو أي مناسبة مفرحة عند التوارق من (الأمزادر).

---

(1) - ادريس أحد أفراد المجموعة وضع السرج على جمله مقلوباً لأنشغاله بالمعركة.

2 – تزامت: وهي قصبة صغيرة بها أربعة ثقوب يعزف عليها أحد الرجال بالنفخ وهي أشبه (بالناي) غير أن النغمات التي تصدرها هذه الآلة خاصة بالتوارق.

وتعزف هذه الآلة في ليالي السمر عندما يكون الرجال وحدهم في مراعي الإبل في الصحراء.

3 – المزمار: وهو المزمار العربي نفسه. ويعرف بالطريقة نفسها.

4 – الغيطنة: وهي آلة الغيطنة المعروفة. قصبة متوسطة الطول في أعلىها قصبة صغيرة تصدر صوتاً عندما ينفع فيها النافخ وبها ثقوب يحرك عليها أصابعه، وبأسفلها قطعة مستديرة تشبه القمع.

وهذه الآلة تعزف في أغلب مناطق الشمال الأفريقي وترافقها (الدقيقة) أو (الطلب) وهذه الآلة تعزف في سلطنتين التوارق المتاخمة للهوسا وفي القرى والمدن ويسمونها (الغيطنة).

5 – تيندي: وهي آلة إيقاع. عبارة عن (هاون) مربوط على فوهته جلد شاة وتضرب عليه النساء في الاحتفالات وهو أشبه (بالدربوكة) في شمال أفريقيا.

6 – الدّف: وهو قليل الوجود عند التوارق ولكنه يتواجد في توارق الحضر في المدن (غات، أوباري، تمنغست، آفديز، تينبكتو، طاوه) وغيرها ويضرب على الدف النساء في الاحتفالات.

7 – الساج: قطعتان من النحاس يمسكهما الراقص بيديه ويضربهما على بعضهما ببعضها فيصدران صوتاً يناسب الإيقاع الراقص. ويستخدمهما العبيد في رقصاتهم الخاصة بهم في بلاد التوارق وغيرها لأنها آلة افريقية.

8 – الخوخال: وهي حلقتان من النحاس يلبسها الراقص في رجليه وكل حلقة معلق عليها مجموعة من الأجراس. ويجرب الراقص رجليه بإيقاع منتظم فتتجاوب الأجراس مع الإيقاع الذي عادة ما يكون على الطليل ومناسبة للرقصة التي يرقصها لابس الخلانيين وهذه من رقصات الحدادين والعبيد عند التوارق.

هذه جل آلات الموسيقى المستخدمة في بلاد التوارق. ونختتمها بأكبر هذه الآلات وأشهرها وأجلها قدرأً عندهم وهي الطليل.

٩ - الطبل: الطبل بالرغم من أنه آلة إيقاع ويستخدم أحياناً في الأفراح كإيقاع لسباق المهاري. إلا أنه أجلّ قدرًا من أن يستخدم في مثل هذه المناسبات. فهو رمز السلطة وعنوان هييتها، ورمز قوتها، والخيمة التي تحوي الطبل لا يمكن أن تكون غير خيمة السلطان. وإذا ضرب الطبل يستمع كل التوارق لعدد الضربات ونوعها لأن في ذلك نوعية النداء والغرض من المهمة.

هذا فالطبل لا يعيشون به. ومحصص لضربه شخص موثوق فيه لا يمكن أن يقرره إلا بإذن السلطان ويكون دائمًا من عبيده المطيعين.

هذه هي أغلب آلات الطرف عند التوارق، وأغلب آلات الموسيقى في صحرائهم الشاسعة. ولو أنها لم تأت على ذكر بعض الآلات التي ينفرد بها جيرانهم العرب في مجتمعاتهم أمثال (التيدينات) أو غيرها. ولكنهم جميعاً عرباً وتوارق عرب يستخدمون الآلات التي ذكرناها في جميع الصحراء الكبرى من المحيط إلى البحر الأحمر تقريباً.

## الرقص

التارقي يعشق الرقص والموسيقى. فهو يرقص إذا فرح ويرقص إذا غضب. ويعالج مرضاه أيضاً بالموسيقى والرقص ولكل مناسبة عند التوارق رقصاتها.

فللمريض يرقصون وللعايد من السفر يرقصون، وللمولود يرقصون، وللعرس يرقصون، وللختان يرقصون، وللحرب يرقصون، وللربيع يرقصون، وللمطر يرقصون. فالتارقي ذواق للموسيقى والفن.

في حفلات الرقص يرقص الجميع. وحتى كبار السن تراهم يحركون رؤوسهم وأكتافهم في مجالسهم على أنغام الموسيقى وقرع الطبل. ويصرخون صرخاتهن المميزة. وحتى الجمال (المهاري) ترقص إذ تهول على إيقاع الطبول أو (تيندي).

ولتوارق مجموعات من الرقصات بعضها يخص الرجال وبعضها يخص النساء وقليل منها الرقصات المختلطة.

١ - رقصة السلاح: في إحدى الساحات الواسعة ينتظم الرجال في صفين متقابلين

متواجهين ويتسلحون بعصي يرفعونها بأيدي ممدودة وأحياناً فوق الرؤوس ثم يديرونها في شكل مروحة المطحنة. ويقترب الصفار في خطى قصيرة متقطعة حتى مسافة مترين من بعضها عندها يوجه الرجال عصيهم إلى الأرض في حين يستند قرع الطبول. ثم تطلق النار ويعود الطابوران القهقري وبالخطى نفسها. ويستمر ذلك بعض الوقت. ثم يقوم كل الراقصين بتشكيل حلقة ويدورون بخطى أسرع حول العازفين الذين يستند حامسهم. كل هذا وسط صياح المترجين الحاد.

2 - رقصة الرمح: شاهدت في بلدة غدامس الحفلات التي تقام في ساحة السوق. حيث يجلس عازف الغيتار ومن حوله مجموعة من النساء الغدامسيات يفرعن على دفوف صغيرة ويعدين، ويرقصن الغدامسيون رقصاتهم الخاصة بهم وهم على أي حال ليسوا توارق.

ولكن فجأة يندفع أحد التوارق في لباسه الفضفاض وعيامته الكبيرة ولثامه الذي لا يظهر منه إلا عيناه وبيه رمح يمسكه من وسطه. ويشير به إلى الأمام وهو يتقدم بخطوات متقطعة جاعلاً إحدى رجليه تمشي على أصابعها والأخرى تمشي سوية. ويتقدم وهو يهتز ويدأ حتى يصل العازفين حيث يتراجع بحماس وسرعة فيشتند قرع الطبول ويصدح صوت الغيتار فيدور التارقي حول نفسه مطلقاً صبيحة حادة وتتنفسخ ملابسه وهو يدور بسرعة ثم ينتظم في الرقص من جديد مرة يقعى ومرة يتطاول حتى يتبع فينسحب متراجعاً إلى الخلف وقد ينطلق تارقي آخر. وأحياناً يلتقي الثناء معاً في الحلبة ويصفق الحاضرون مع الإيقاع وهم يقولون (الماخا يا تارقي).

3 - رقصة التام تام: وهي رقصة يقدمها التوارق للمريض الذي يستعصي علاجه. فيعتقدون أن الجن قد ركبه وهذا يعزلونه في خيمة نظيفة ومزخرفة وبعيدة عن الحي. ويقوم أحد الرجال العقلاء بخدمته ولا يسأل أحد عنه أو عن نوع مرضه. ويقومون له برقصة (التام تام) على عدة ليالي ويعزفون له الموسيقى ويقولون إن كثيراً من هؤلاء المرضى يشفون.

4 - المهاري: وللهجال نصيتها من الرقص إذ حيثما تعقد الاحتفالات التارقية فإن العمل لا بد وأن يكون موجوداً.

والسباق بين الجمال لا يكون بطريقة السباق المتعارف عليها وإنما للتوارق طريقة أخرى هي أيضاً راقصة. إذ يجلس الفرسان التوارق على رواحل مهاريهم المزينة بسيور الجلد ونقوش المهدادين على غرائز الجلد المزركشة، وتتدلى من الجمال سيور الجلد التي تنزل بطريقة متجانسة من كلا الجانبيين حتى ركب الجمال.

ويصطف التوارق أربعة أربعة، أو خمسة خمسة، ويندفعون بجمائهم التي تعدو خليباً على أنغام قرع الطبول وغناء النساء وزغاريدهن حتى يمروا بجانب النساء القارعات للطبول والجالسات في منبسط من الأرض ويتجاوزوهن بحوالي مائة متر ثم يدورون للوراء بخفة ونظام حيث يواصلون الجري في الاتجاه المعاكس وهكذا.

وتنطلق المجموعات في جريها الراقص تاليا دون أن يسبق أحد أحداً دون أن يجتاز الفارس بمجموعته، إلى قرب المغرب. إذ عند مغيب الشمس تقترب الجمال من النساء وتدور حولهن. ويتناول الفارس الذي يتوقع أن جمله هو الأسرع منديل أحمل امرأة بين الجالسات ويهرب به وتنطلق المهاري خلفه والذي يلحق به يكون هو الفائز ويرجع المنديل. أما إذا استطاع أن يوصل المنديل إلى الحبي دون أن يلحق به أحد الجمال فيكون أسرع الفرسان وينال بذلك التقدير والإعجاب. وقد شاهدت هذا في قبيلة منغستان بدرج عندما كنت مدرساً بها 1959 - 1961

وإلى جانب هذا هناك رقصات خاصة بالنساء يرقصنها في المخيم عندما يكنّ وحدهن على قرع (التيندي).

كما أن هناك بعض الرقصات المشتركة يرقصها الشباب والشابات في فصل الخريف عندما تجتمع الأحياء حول الآبار المالحة، وهي تشبه قليلاً رقصات (العرضة) في الجزيرة العربية ورقصة الدبكة في بلاد الشام.

## ب - ألعابهم الشعبية

التوارق ككل المجتمعات الصحراوية وغير الصحراوية لهم ألعابهم التي يتسلون بها في أوقات فراغهم. هذه الألعاب بعضها للكبار، وبعضها للصغرى بل أكثرها للصغرى. وألعاب التوارق لا تختلف عن الألعاب في المجتمع العربي بصفة عامة فالكبار يلعبون الألعاب الآتية:

1 - **السداما**: وهي لعبة يتبارى فيها اثنان ويترجرج الباقيون. وهي أن يحفران في الأرض حفراً صغيرة في مربع  $7 \times 7$  ويسدون الوسطى بالتراب. وكل شخص يضع 24 قطعة من الحجارة أو من بعر الإبل. - لكل فرد نوع - ويتقدم أحدهم ويضع حجارته في المربع المتوسط فيتخطأه الآخر بحجارته وينجرح حجارة صاحبه من المربع ويظل هكذا والذي تبقى حجارته أكثر في الرقعة يكون متصرّاً.

وهي لعبة شبيهة بالشطرنج. ولقد رأيت الرجال في الصحراء الكبرى يضيعون أحياناً يوماً كاملاً في مثل هذه المبارزة. ويسمّيها الليبيون (أم تُخْطُّ).

2 - **كرة العصا**: (تَكْرِيْكَرا) يأخذون قطعة من جلد البقر أو الجمل ويثقوبها من أطرافها ويملاونها بالقماش بعد أن يرطبوها بالماء ثم يحيطوها فتصبح دائرة ويتركوها حتى تخجف. وهنا يجتمع شباب كل خيم (مخيمين دائرياً) على حدة ويضعون الكرة في منتصف المسافة بين المخيمين ويتقاذفونها بالعصي. ويصير كل فريق يحاول أن يوصلها لمخيم الفريق الآخر. والذي يتمكن من ذلك يعتبر متصرّاً ولا يشترط تساوي العدد في الفريقين فكل مخيم يجتمع رجاله في جانب كثروا أم قلوا.

ويكون اللعب بعصي معروفة تصنع خصيصاً لهذه اللعبة وهذه اللعبة يلعبها رجال البدو في ليبيا أيام الربيع وكذلك في تونس والجنوب الجزائري وفي الجزيرة العربية.

كما يلعب الرجال ألعاباً أخرى كالفروسية والقفز على المهاري ولعب السيف والرمح والقفز الطويل، والقفز العالي والمصارعة والجري وحمل الأثقال كالبراميل الكبيرة وغيرها الأحمال وصراع الإبل الصعبة وغيرها من ألعاب بدو الصحراء.

### ألعاب الأطفال:

يتجمع أطفال الحي في الصحراء نهاراً أو ليلاً ليلعبون ويرحون يقفزون وراء الحملان وصغار الماعز ويصطادون صغار الطيور والأرانب والجرابع. يرافقون أمهاطهم بلحلب الماء أو جلب الحطب.

كما يجتمع الآتراك المتقاربون في السن ويلعبون في ليالي الخريف أو الربيع المقرمة بمجموعة من الألعاب أهمها:

1 - **لعبة الغمضة**. أو التفهيمية: ويسمى بها التوارق (ساباكو باكر). وطريقتها أن يتجمع الأطفال بمجموعتين وينختارون من بينهم حكماً أو يختار نفسه ويقوم بقيادة اللعبة. إذ يقوم بخط دائرة كبيرة في الأرض بالعصا. ويعطي الحكم اشارة البدء لاحدي المجموعتين بأن تدخل الدائرة وتغمض أعينها. ثم يعطي الإشارة للمجموعة الثانية بأن تذهب بعيداً وتحتفظ عن الأنظار. ثم ينطلق الذين أغمضوا أعينهم للبحث عن المجموعة الثانية. ومن وجمع إلى الدائرة من المجموعة الثانية دون أن يمسه شخص من المجموعة الأولى. يعد رابحاً ويقوم هو بقيادة اللعبة من جديد.

وهذه اللعبة كانت أعبتها شخصياً مع أترابه في بادية طرابلس عندما كانت صغيراً.  
إذن هي من ألعاب الأطفال المعروفة في شمال أفريقيا.

2 - **الجمر تحت اللبن الخاثر**: (تماماً تكات داؤ أوسيري): يتجمع الأطفال في مكان، ثم يعين أحدهم على أنه صاحب الماعز. ثم يختار طفل آخر على أنه الذئب. وترسم دائرة على أنها مكان الماعز (الزربية) ويجلس فيها صاحب الماعز ثم ترسم دائرة بعيدة قليلاً على أنها وكر للذئب. والباقي من الأطفال هم الماعز. ثم يتفرقون للاحتجاء وتكون هناك كلمة سر بين صاحب الماعز والماعز لا يعرفها الذئب. وبعد أن يختفي الأطفال (الماعز) يطلق صاحبها الكلمة السر وهي تدل على الرجوع للحظيرة. وينطلق الأطفال للعودة. وهنا يقفز الذئب للقبض على أحدي الماعز أو أكثر قبل أن تصل إلى الحظيرة وكل عنز

يسكها الذئب قبل أن تصل إلى الحظيرة يدخلها وكره (سجنه) وتعاد اللعبة عدة مرات حتى ينتهي عدد الأطفال. وأخر طفل يدخل الحظيرة أو يمسك به الذئب في آخر لحظة يعتبر رابحاً.

٣ - **شَغْرِغَمْ شَغْرِغَمْ**: (ضوضاء متواصلة ناتجة عن احتكاك جسم صلب بآخر). في هذه اللعبة يتجمع الأطفال بمجموعة واحدة ثم يختار واحد منهم لقيادة اللعبة. ثم يبدأ الأطفال في غرس أصابعهم في التراب ويرددون كلمة شَغْرِغَمْ شَغْرِغَمْ. وعندما يقول الذي يقود اللعبة (دُسْ) يغرس كل واحد إصبعه في التراب. وعندما يقول (رُو) يرفع كل واحد إصبعه إلى أعلى. والذي يعمل عكس الكلمة التي نطقها قائد اللعبة يُعاقب وذلك بأن يذكر اسم إثنين من أعمامه أو أقاربه ويقول: (إني أقتل فلانا) (أحد هما) بسبب (فلان) (الآخر) فيضحك الأطفال. وتبدأ اللعبة من جديد. والرابع هنا هو الذي لا يغلط إطلاقاً أو يغلط أخيراً.

وهذه اللعبة يلعبها أطفال ليبيا بشكل قريب من هذا. وهو أن يضع الجميع أيديهم على الأرض. ويقول قائد اللعبة (خريشة - خريشة) ثم يقول طار الحمام مثلاً فيرفرعون أيديهم. أو يقول طار الجمل. والجمل لا يطير فعلهم أن لا يرفعوا أيديهم. وهكذا يرفرعون أيديهم كلها ذكر اسم طائر يطير. ولا يرفرعنها كلها ذكر اسم حيوان أو شيء لا يطير والذي يفعل العكس يضحك منه الجميع وينتزع من اللعبة إلى أن يبقى الأخير وهو الرابع فيحقق له قيادة اللعبة من جديد.

٤ - **تمامشت**: (شهاب النار): تؤخذ النار ويتجمع الأطفال حولها على شكل دائرة. ويأخذ أحد الأطفال قيادة اللعبة. ثم يؤخذ عود من النار يلتهب ويعطيه الواحد للآخر. والذي ينطفئ عنده العود يسلط عليه العقاب. والعقاب عبارة عن أن يذكر اسم صاحبته الصغيرة. والذي لا يستطيع ذكر إسم صاحبته - كان لا تكون له صاحبة - يخرج من اللعبة ويقصى إلى أن ينتهي الجميع.

٥ - **أكُوز ملن إيدنجشن إكال**: (الفار الأبيض يقترب منا): ينبعح الأطفال على بطونهم وكل واحد يضع رأسه قرب أقدام الآخر - العدد حسب الموجود - والأول هو دائماً قائد اللعبة. ويبتعد أحد الأطفال قليلاً عن المجموعة وله عصا طويلة وهو الفار الأبيض.

وعندما يبدأ في الاقتراب من الأطفال - وعادة يأتي من الخلف - يهمز آخر طفل الطفل الذي يليه قائلاً: «إن الفار الأبيض يقترب» ويقولها الطفل الثاني للذي يليه حتى تصل للأول وهو قائد اللعبة فيعطي أمراً بالإطلاق فيهرعون. ويحاول الفار المنطلق في أثرهم أن يمس أكبر عدد منهم بعصاه - مسألاً ضرباً - والذي يمسه يقصى عن اللعب وهكذا. والرابع هو الذي لا يمسه الفار الأبيض بعصاه أو آخر من يمسه.

٦ - إكرور: هذه اللعبة تبدأ بأن يجلس طفلان قبلة بعضهما ويحفر كل واحد منها ست حفر مقابل حفر الآخر. ويضع كل واحد في كل حفرة من حفروه إما ست بعرات من بعر الماعز أو من حب النبق <sup>(١)</sup> أو التمر.. الخ. ثم يبدأ الأول بأن يأخذ ما في الحفرة الأولى ويلف على يساره ويرمي بالذى في يده واحدة واحدة في الحفر الموالية. ثم يأخذ الثاني ما في الحفرة الثانية يلقىه تباعاً في الحفر الأخرى. وعندما يضع الطفل أحدي الحبات في إحدى الحفر ويكون العدد زوجياً أي أربعة أو ستة أو ثمانية أو اثنى عشر يأخذه له ويعتبر ربحه. والطفل الذي يلقي حبة في حفرة فارغة أو يكون العدد فردياً أو يكون صاحبه كسب أكثر منه فإنه يعاقب بأن يرمي إحدى حفروه وهكذا.

فالذى ترمى جميع حفروه - الست - يكون خالساً والأخر هو الرابع.

وهذه اللعبة يلعبها أطفال سهل الجفارة بليبيا ويسمونها (أم الناقة).

٧ - أقتل أرانب أو أوديه: يجتمع الأطفال ويبدأ أحدهم فيقول أقتل أرانب أو أوديه. فيردد الأطفال بعده الواحد بعد الآخر. وإذا قال أحدهم خطأ أقتل أوديه قبل أن يقول أقتل أرانب يُعد خاسراً وتعاد اللعبة من جديد إذا كان العدد قليلاً ، أما إذا كان عدد الأطفال كبيراً فإنه يخرج من اللعبة إلى أن يتم عدد الأطفال.

وهذه اللعبة يلعبها الأطفال الليبيون بأن يقول أحدهم :

- خطمـش عـلـيك ثـعـيلـ؟

فيجيبـهـ الثاني :

- خطـمـ.

(١) - النبق: هو ثمار السدر. وهو شجر له شوك ينمو بالصحراء.

فيقول الأول:

- وادويله؟

فيقول الثاني:

خطممش عليك ثعيلب؟

ويجيب الثالث وهكذا.

والذي يقول وراء السائل (وذويله) يعتبر خطئاً ويخرج من اللعبة أو يضر بونه (بالنعل) على يده وتستمر اللعبة.

8 - إسوان. البقر: (البقر والعصي): يجتمع الأطفال ويلقى أحدهم عصاه بعيداً وينتظر الآخرون أن تمس الأرض فيلقون نحوها عصيهـم فمن يمسها بعصاه يعتبر رابحاً ويلقى عصاه هو الأول وهكذا. والرابح هو الذي لا تمس عصاه بعصى الآخرين.

9 - السُّيْق: وهي لعبـة يلعبـها الأطفال في معظم مناطـق شمال إفريقيـا. والسـيق في بعض لهـجـات التـوارـق معـناـها (الأبيـض) وهي أن تـشق جـريـدة نـخل إـلى نـصـفين ثـم إـلى أـرـبعـة وـتـكون بـطـول 25 سـم تقـرـيبـاً. وتصـبـح لـلـطـفـل أـرـبع عـصـيـ صـغـيرـة خـضـرـاء الـظـهـرـ بيـضـاء الـبـطـنـ. وـيـجـلسـ معـ صـاحـبـهـ وـيـحـفـرـ 49 حـفـرةـ صـغـيرـةـ فـي الـأـرـضـ يـضـعـانـ فـيـ نهاـيـتهاـ عـصـاـ، تـسمـىـ عـنـدـهـاـ (مـكـةـ)ـ (المـحجـ).

ويـضعـانـ فـيـ الحـفـرةـ الأولىـ مـنـ المـربعـ 7 × 7 عـصـوـينـ صـغـيرـينـ تـرمـزـ كلـ واحدـةـ منهاـ لـأـبـ أحدـ الـلاـعـبـينـ. وـتحـتـ العـصـوـينـ تـرـدـ فـحـمةـ تـسمـىـ فـيـ الـلـعـبـ (الـغـوـلـةـ).

ويـلـعـبـ الطـفـلـانـ بـأنـ يـقـدـفـاـ العـصـيـ الأـرـبعـ فـإـذـاـ سـقطـتـ كـلـهاـ بـيـضـاءـ يـمـشـيـ الـوـلـدـ الـلـاعـبـ بـالـعـصـاـ التـىـ تـرمـزـ لـوـالـدـ أـرـبعـ حـفـرـ. وـإـذـاـ جـاءـتـ خـضـرـاءـ يـمـشـيـ ستـأـماـ إـذـاـ جـاءـتـ مـنـاصـفـةـ 2ـ بـيـضـاوـينـ وـ2ـ خـضـرـاوـينـ فـيـقـولـانـ أـنـهاـ (سـيقـ)ـ أـيـ يـمـشـيـ أـرـبعـأـثـمـ يـزيـدـ بـعـدـهـاـ أـرـبعـأـخـرىـ وـالـذـيـ يـصـلـ بـالـعـصـاـ التـىـ تـرمـزـ لـوـالـدـ إـلـىـ آخـرـ الـحـفـرـ يـصـبـحـ مـنـتـصـراـ وـانـ وـالـدـ حـجـ. وـيـصـيرـ يـلـعـبـ بـالـفـحـمـةـ وـالـتـيـ هـيـ الـغـوـلـةـ مـتـبـعاـ أـثـرـ وـالـدـ الـطـفـلـ الـمـنـافـسـ إـلـىـ أـنـ يـلـحـقـ بـهـ وـيـظـلـ يـرـجـعـهـ إـلـىـ الـحـفـرةـ التـيـ اـنـطـلـقـ مـنـهـاـ. وـالـوـلـدـ الـأـخـرـ يـلـعـبـ لـيـبعـدـ عـنـهـاـ.

وـإـذـاـ مـاـ أـرـجـعـهـ إـلـىـ الـحـفـرةـ الأولىـ يـحقـ لـلـغـوـلـةـ أـنـ تـأـكـلـهـ أـيـ يـطـلـىـ بـالـفـحـمـ وـيـصـبـحـ الـوـلـدـ

مهزوماً. وتعاد اللعبة. وكثيراً ما تنتهي هذه اللعبة بالمشاجرة لأن الولد الخاسر كثيراً ما يرفض أن يطلي والده بالفحم. وهكذا.

١٠ - عظيم الساري: لعبة يلعبها كل أطفال العرب من الجزيرة العربية إلى المحيط. وهي أن يجتمع مجموعة من الأطفال في الليالي المقرمة وينخطوا على الأرض دائرة يسمونها (الحج) ويغمضوا أعينهم. ويقوم أحدهم - قائد اللعبة: بقدف عظم شاة أبيض بعيداً. وعندما يسمعون سقوطه على الأرض يتوزعون للبحث عنه والذي يجده يطارده الجميع ليسلبوه منه أما هو فإنه يندفع نحو الدائرة (الحج) وإذا ما وصلها دون أن يمسكه يصبح منتصراً ويقود اللعبة من جديد.

هذه مجموعة من الألعاب للكبار وللصغار أخذتها هنا للدلالة وتناولتها من مشاهداتي الخاصة في بلاد التوارق. وفي مجتمعاتهم ومن أفواه كبار السن منهم الذين حدثوني بذلك <sup>(١)</sup>.

---

(١) - الاستاذ وليله همه ذكر لي معظم هذه الألعاب الشعبية.

## الباب الثامن

دور التوارق في التاريخ الإسلامي  
حركة المراطين "الماثمون"



## دور التوارق في التاريخ الإسلامي

ما إن وطئت أقدام العرب الفاتحين الحاملين لرسالة القرآن الكريم أرض الشمال الأفريقي حتى وجدوا إخوتهم الذين سبقوهم في الهجرة إلى هذه الديار ينضمون إليهم ويحملون شعاراتهم ويقاتلون معهم في يسر وتشرب للدين الإسلامي الجديد. ولم يمض على بداية الفتح العربي الإسلامي «فترة خمسين سنة حتى كان المغاربة من حدود ليبيا الشرقية وحتى المحيط الأطلسي قد صاروا جميعاً مسلمين وعرباً. يتحدثون العربية ويكتبونها ويقطبون بها بفصاحة تندر حتى بين خطباء الجزيرة العربية أو بين الغساسنة بالشام والمناذرة بالعراق». ويتساءل الأستاذ عثمان السعدي عن هذا السبب فيقول لماذا؟

ثم يستطرد بحبيباً عن هذا التلاحم الذي وقع بين العرب وبين سكان شمال أفريقيا والذين هم عرب جاءوا للمنطقة قبل الإسلام.

يقول الأستاذ عثمان:

«قيل لأن رسالة الإسلام عادلة ذات محتوى روحي عجيب لنفوس الشعوب ذات التكوين القبلي. وهذا سبب وجيه ومعقول. لكن جل المؤرخين يقررون أن أسباباً أخرى تكمن وراء الاستجابة السريعة للبربر للفتح الإسلامي العربي بسبب أصلهم السامي. أي العربي القديم»<sup>(١)</sup>.

ويستمر الأستاذ عثمان قائلاً:

«وسرعان ما انتشرت لغة الضاد بين البربر حيث وجدت فيهم نفوساً مستعدة لتعلم العربية بسهولة بسبب انتهاء البربرية إلى أسر اللغات السامية أي إلى اللغة

(١) — عروبة الجزائر عبر التاريخ / عثمان سعدي / الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر. ص 83 .

العربية القديمة ، ووجدت الثقافة العربية بصورة عامة أن البيئة الثقافية السائدة بين البربر ليست غريبة عنها بسبب محافظة البربر على ممارسات ثقافية فنية بونيقية»<sup>(1)</sup>.

هذه الأسباب يرى الأستاذ عثمان سعدي تشرب البربر للدين الإسلامي وللغة العربية لأنهم من بوتقة واحدة وأبناء عمومة بل إخوة نزحوا من وطن واحد وثقافة واحدة وأصول واحدة.

ولهذا نجد أيضاً حتى الكاهنة التي وقفت تحارب العرب عندما قدموا إلى بلادها نجدها في قصة تبنيها خالد بن يزيد العبسي الذي كان أحد أسرتها وشرح لها أهداف ومبادئ الإسلام.

نراها توصي أبناءها بالانضمام للمسلمين وهي لا تستطيع ذلك لأنها ملكة فأبى عليها كبرياً لها أن تستسلم وأنها عاهدت القبائل على الحرب.

فها أن قتلت حتى نجد أولادها يقودون النبي عشر ألفاً من البربر تحت راية الإسلام ويرفقه إخوتهم العرب يفتحون المغرب العربي.

ولا شك أن التوارق بل أجدادهم من لتوة ومسوفة وصنهاجة كانوا ضمن هذه الجيوش . والتي اندفع أغلبها للشمال تحت قيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد أحد أفراد قبيلة نفزاوة البربرية لفتح الأندلس وملكها.

ويؤكد الأستاذ عثمان سعدي على عروبة هذه الأرومة ضارباً الأمثلة بالدول التي نشأت في شمال أفريقيا وكلها مسلمة وهي : «الrstميون ، والصربون ، والأدارسة ، والفاطميون ، والزيريون ، والمراطرون ، والموحدون ، والمزيينون ، والحفصيون ، وبنو عبد الواد . وقد أسست هذه الدول كلها على أساس عربي إسلامي ، ولم تشذ واحدة على ذلك»<sup>(2)</sup>.

ومع أن معظم هذه الدول أسسها البربر في شمال أفريقيا فلم نجد أي زعيم منهم أقام دولته على أساس بربري عرقي .

(1) - عروبة الجزائر عبر التاريخ / عثمان سعدي . المصدر السابق . ص 83 .

(2) - عروبة الجزائر عبر التاريخ / عثمان سعدي . المصدر السابق . ص 84 .

«بل إن الفضل في نشر العربية وأدابها وتعظيم الإسلام بالغرب العربي يعود إلى هذه الدول العشر»<sup>(1)</sup>.

ويستمر الأستاذ عثمان سعدي في حديثه عن دولة (الزيريين) وهي من الدول البربرية في المغرب العربي يقول ضارباً مثلاً بذلك:

«وحكْم بُنُو زِيْرِي - وهي أسرة بربرية - المغرب الأوسط والأدنى وغرنطة والميرية ما يقرب من قرنين. حكموا باسم الفاطميين ثم حكموا مباشرة. وكانت من أهم الدول التي أسست المغرب والأندلس بقوة وحكمة وفروسيّة. ولم يخامر الزييريين في يوم من الأيام شك في أصالتهم العربية بل يعترون قبيلتهم صنهاجة البربرية عربية، تعود أصولها إلى الحميريين الذين هاجروا للمغرب قبل الفتح الإسلامي بكثير. فعندما ساءت علاقة أبي الفتاح المنصور مع الخلافة الفاطمية في القاهرة، عبر عن طموحه في الاستئثار بحكم المغرب بدون المظلة الفاطمية أمام شيخ القبائل، الذين حضروا إلى القيروان لتهنئته بالإمارة، عندما قال لهم:

«إن أبي وجدي أخذ الناس بالسيف قهراً، وأنا لا آخذكم إلا بالحسان، وما أنا في هذا الملك من يُؤْلَى بكتاب ويعزل بكتاب. لأنني ورثته عن آبائي وأجدادي، وورثوه عن آبائهم وأجدادهم حمير»<sup>(2)</sup>.

وحتى عندما وصل بنو هلال وبنو سليم العرب قادمين من الجزيرة العربية بحيواناتهم الكثيرة تأكل الزرع وتلفي الشجر «فلم يصدر أي رد فعل منهم ضد العرب كعرب. وإنما فسروا ظاهرة الهلاليين بتفسيرها الصحيح وهو التفسير البدوي»<sup>(3)</sup>.

ويقول الأستاذ عثمان سعدي:

«ولم يمض عدد قليل من العقود حتى ذاب بنو هلال كلياً في المجتمع المغربي الذي استطاع بحيويته وصلابة إيمانه بعروبه وإسلامه إفراز دولتين كبيرتين أسستهما أسرتان بربريتان هما دولة المرابطين ودولة الموحدين اللتان لعبتا دوراً كبيراً في تطوير الحضارة

(1) — عروبة الجزائر عبر التاريخ / عثمان سعدي، المصدر السابق، ص 84 .

(2) — عروبة الجزائر عبر التاريخ / عثمان سعدي، المصدر السابق، ص 86-87 .

(3) — ابن عذاري ج 1 . ص 343 . ابن الأثير ج 7 . ص 121 .

العربية الإسلامية بالغرب والأندلس، وفي التصدي للمد الصليبي الأوروبي ضد كيان الدولة العربية الإسلامية وفي تأجيل سقوط الأندلس، وهذا دليل على أن البربر ليسوا جنساً آخر غير العرب وأن اللغة البربرية ما هي إلا إحدى اللهجات العربية القديمة التي لا يزال لها وجود حتى الآن باليمن»<sup>(١)</sup>.

---

(١) — عروبة الجزائر عبر التاريخ / عثمان سعدي، المصدر السابق، ص 87 - 88 - 89.

## دولة المرابطين «الملثمون»

ت تكونت في بداية القرن الحادى عشر الميلادى دولة في الصحراء الكبرى أصبح لها شأن كبير في المغرب العربي والأندلس عرفت باسم دولة (المرابطين) نسبة لرباط كانوا مرابطين فيه في بداية أمرهم عند مصب نهر السنغال. كما عرفوا في التاريخ العربي باسم (الملثمين) نسبة للثام الذي كان سمة مميزة لهم. فمن هؤلاء المرابطون الملثمون؟

يقول ابن الأثير:

«كان ابتداء أمر الملثمين وهم عدة قبائل ينسبون لحمير. وأشهرها لوتة، ومنها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وجده، وله. وكان أول مسيرهم من اليمن أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه فسيرهم إلى الشام وانتقلوا إلى مصر ودخلوا المغرب مع موسى بن نصیر وتوجهوا مع طارق إلى طنجة فأحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها»<sup>(1)</sup>.  
هذا قول ابن الأثير في تواجد الملثمين في الصحراء جنوب المغرب.

أما ابن عذاري فيقول:

«والذي وجدته أن أصل هؤلاء القوم من حمير بن سبا وهم أصحاب إبل وخيول وشاة، ويسكنون الصحاري الجنوبية وينتقلون من ماء إلى ماء كالعرب. وبيوتهم من الشعر والوبر وأول من جمعهم وحرضهم على القتال وأطعمهم في تملك البلاد عبد الله بن ياسين الفقيه. وقتل في حرب بورغواطة. وقام مقامه أبو بكر الصنهاجي الصحاوي المتقدم ذكره. ومات في حرب السودان»<sup>(2)</sup>.

(1) - ابن الأثير / الكامل في التاريخ. المجلد 8 . ص 74 . دار الفكر.

(2) - ابن عذاري / البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب جد 4 . ص 128 ، دار الثقافة - بيروت.

أما عن قضية اللثام وتسكيمه به واقتنائهم له، فيستطرد ابن عذاري في هذا الموضوع قائلاً:

«وهم قوم يتلشمون ولا يكشفون وجوههم ولذلك سمح لهم باللثام وذلك سنة لهم يتوارثونها خلفاً عن سلف. وسبب ذلك على ما قيل أن حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد وتفعله الخواص منهم فكثر ذلك حتى صار تفعله عامتهم»<sup>(1)</sup>.

أما كيف كانت بداية ظهور المرابطين كحركة سياسية انشأت دولة استطاعت أن تحفظ للعرب والمسلمين ماء وجههم في الأندلس لعدة قرون بعد أن كانت تسقط الأندلس قبل سقوطها الفعلي، فيقول ابن عذاري:

«والواجب لخروجهم عن الصحراء إلى وطن المغرب أن أحد بنى جدالة ويعرف بيسعى بن إبراهيم من جدالة كان قد توجه لأداء فريضة الحج واجتاز في أيامه على مدينة القيروان وذلك سنة 440 هـ فحضر بها مجلس الفقيه المدرس أبو عمران الفاسي. فسأله عن قبيلته ووطنه فذكر أنه من الصحراء من قبيلة جدالة إحدى قبائل صنهاجة فقال له الفقيه ما مذهبكم؟ فقال له: ما لنا علم من العلوم ولا مذهب من المذاهب لأننا في الصحراء منقطعون لا يصل إلينا إلا بعض التجار الجهال حرفتهم الاستغلال بالبيع والشراء ولا علم عندهم...<sup>(2)</sup> ويشتهرون. وفيينا أقوام على تعليم العلوم يحرصون. وعلى التفقه في الدين من الله يرغبون. نعم يا سيدنا تنظر في من يتوجه معه إلى بلادنا ليعلّمنا ديننا. فقال له الفقيه: سوف أجتهد لك في ذلك إن شاء الله تعالى. فعرض الفقيه الأمر على الطلبة هناك فلم يجد أحداً يوافقه على ذلك. لأجل مشقة السفر البعيد والانقطاع في الصحاري. فدلّ الفقيه على رجل من فقهاء المغرب الأقصى اسمه واججاج فأعطاه كتاباً يوصله إليه يؤكدي في الاجتهد في ذلك عليه. فلما وصل يحيى بن إبراهيم إلى أقصى المغرب وجده في موضع يقال له (ملكونس) واجتمع معه فيه. وأعطاه كتاب الفقيه أبي عمران فرحب به وأكرمه. وكلمه يحيى بما أراد أن يكلمه. وأعلمته بوصية الفقيه ابن عمران إليه. وتوكيده عليه. فاختار له شخصاً يقال له عبدالله بن ياسين»<sup>(3)</sup>.

(1) — ابن عذاري / البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج 4 . ص 128 . دار الثقافة - بيروت.

(2) — المصدر السابق.

(3) — ابن عذاري / المصدر السابق ج 4 . ص 7-8 .

وصل عبدالله بن ياسين إلى قبائل الصحراء وبدأ دعوته الاصلاحية بالوعظ والارشاد. واشتغل عليهم في تقويمهم وانتقد الكثير مما أفسوه في صحرائهم فتضايقوه منه وضايقوه واجتمعت له مجموعات تناظره وتحاوره وتستفذه وتسميه أقواله فعاد إلى الفقيه واجاج الذي دعمه واعتبر مخالفته مخالفة للدين. وبذلك عزز موقفه وعاد لوعظه وإرشاده والتجأ مع مجموعة من أتباعه إلى جزيرة صغيرة عند مصب نهر السنغال وكان معه سبعة نفر<sup>(1)</sup>. وبقي مرابطًا هناك مدة من الزمن قيل إنها سبع سنوات وقيل أكثر وقيل أقل. وكان معه في ذلك الرباط أمير لتوة يحيى بن عمر. وبدأ أتباعه يكترون حتى وصل عددهم إلى ألف فقال قوله المشهورة «عليينا بالجهاد وإن ألفاً لن تغلب من قلة».

فخرج من جزيرته وهاجم القبائل المقيمة في الصحراء لارجاعها إلى الدين الإسلامي الحنيف وإعطاء الزكاة وأداء الصلاة وكان يعتبرهم من المشركيين. ويقسم ما يغنم منهم وينزع الخمس للأمير يحيى بن عمر الذي أسماه (أمير الحق).

وكانت الفتاوي والتشريعات تصدر عن عبدالله بن ياسين باعتباره إماماً للمسلمين.

أما القائد السياسي في الحرب والسلم فهو يحيى بن عمر اللمنوني.

ولكن خلافاً وقع مع قبيلة جدالة إحدى القبائل الكبرى في الصحراء اشتغلت بسببه الحرب بين القبيلتين. لتوة برئاسة يحيى بن عمر وإمامها عبدالله بن ياسين. وجدالة بقيادة مشائخها المحليين لم يذكر لنا التاريخ أسماء هم. واستغل الجداليون زحف اللمنونيين على الشهال درعة وسجلوا سجلهاة وهاجموا مقر اللمنونيين حيث يقيم يحيى بن عمر من معه فقتل يحيى في هذه المعركة وتولى أمر المرابطين آخره أبو بكر بن عمر الذي استولى على سجلهاة وأغاثات ودرعة. ونشر الدعوة له عبدالله بن ياسين بين قبائل المصامدة الذين بايعوه قبل أن يلتقا به.

ولكن عبدالله بن ياسين لم يهدأ في دعوته، فتوجه مرة أخرى إلى برغواطة في محاولة لاصلاح ذات بينهم ولكنهم قتلواه<sup>(2)</sup>. فقام للثار له أبو بكر بن عمر واستطاع أن ينْهض

(1) - عمار بن حامدون المؤرخ الموريتاني الكبير. حدثني بذلك في أوائل شوط 1978 .

(2) - انظر ابن عذاري. المصدر نفسه، ص 16 .

برغواطة وأن يستولي على جنوب المغرب ويتخذ من مدينة أغوات مقراً له لنشر دعوته ويتزوج من قبيلة (نفزاوة) امرأة على قدر من العقل والجمال والجاه تدعى زينب النفزاوية التي كانت تقول «إنا لا نتزوج إلا من يملك بلاد المغرب كلها».

ولكن ما إن استقر أبو بكر بن عمر في أغوات حتى جاءه خبر هجوم القبائل المجاورة للمتونة عليها، واستغلت غياب رجال المتونة في حربهم مع الشمال واستافت أنعامها.

سمع أبو بكر بذلك، وقيل إن عجوزاً من المتونة قالت (ضيعتنا أبي بكر) عندما استيق الأعداء ناقتها. فهرع ملبياً نداء قومه ومنحدراً نحو الجنوب تاركاً ابن عمه يوسف بن تاشفين ثائباً عنه وقادياً للقوات المرابطة في الشمال، ولم يقتصر الأمر على هذا فقط بل طلق زوجته زينب قاتلاً لها إنك لا تقدرين على مشاق السفر في الصحراء، وطلب من ابن عمه يوسف أن يتزوجها لأنها كما قال له: امرأة ذات عقل وجمال.

توجه للصحراء، وخاض معارك ضارية ضد القبائل المغيرة واستطاع أن يخضعها ويرجع مرتدًا نحو الشمال وسمع ابن عمه يوسف بن تاشفين بخبر رجوع أبي بكر إلى الشمال فتغير حاله ولاحظت زوجه زينب ذلك فأشارت عليه أن يلاقي ابن عمه ولا يظهر له ما كان يظهر له من الأدب وأن يسلم عليه راكباً ويلقيه في قوات كبيرة وهدايا أيضاً كثيرة.

وفعلاً تم ذلك، ولاحظ أبو بكر مسلك ابن عمه وبهرجة الملك التي لقيه فيها وعرف أنه لا يريد التنازل عن الامارة، فقال له أجلس أوصيك.

فجلسا على الأرض - وكان أبو بكر رجلاً ورعاً تقىاً - وأوصاه، ورجع أبو بكر للجنوب نحو الصحراء مجاهداً في سبيل الله في تحوم السودان، وبقى ابن عمه تاشفين أميراً على دولة المرابطين في الشمال، بعد أن تنازل أبو بكر له عنها، وهكذا انقسمت الدولة المرابطية إلى قسمين:

- 1 - قسم شمالي وهو الذي عنى به المؤرخون وأشبعوه بحثاً ودراسة.
- 2 - قسم جنوبي تناهيه المؤرخون عن غير قصد وذلك لبعد أخباره وانقطاعها وهو

---

النقيت في موريتانيا عام 1978 بأحد أحفاد أبي بكر هذا وهو الآن ليس ثارقاً.

الذي لا تزال آثار فتوحاته في أفريقيا الغربية ماثلة للعيان حتى الآن في انتشار الإسلام في غرب أفريقيا. وحيث لا تزال المآذن والمساجد وزوايا القرآن ماثلة في السنغال ومالي وغينيا والنيجر وفولتا العليا إلى مشارف ساحل العاج.

بل إن دولة المرابطين الجنوبي هي التي قبضت على أمبراطورية غانا في غرب أفريقيا.

وقد قتل الأمير أبو بكر بن عمر اللمتونى في إحدى هذه المعارك مع السودان سنة 468 هـ.

أما القسم الشمالي بقيادة يوسف بن تاشفين فاستمر في فتح المناطق الشمالية ينظم إدارتها ويخضع القبائل المبعثرة في المغرب تحت سلطة دولة المرابطين إلى أن تم له إخضاع المغرب الأقصى لسلطانه.

ولما ضاقت المدن بجيشه الجرار الذي أغلبه كان راكباً على الهجان (المهاري) رأى أن يختط مدينة خارج المدن تخص جيشه فاختط مدينة (مراكش) ومعناها باللغة التارقية (مُرْ - وكل) أي إذا مررت تجد ما تأكل أي أنها بلد الخير فكلمة (أكش) معناها (كل) بالتارقية.

ولو أن بعض المصادر تشير إلى أن الذي اختطها هو أبو بكر بن عمر قبل عودته للصحراء ولكن ابن عمه يوسف بن تاشفين بدأ في إنشائها وأتمَّ أسوارها وحصونها.

ولما أتمَّ يوسف بن تاشفين إخضاع المغرب كله لحكمه اجتمع مشايخ القبائل وقالوا له إن اسمك أكبر من (أمير) ونرى تسميتك بأمير المؤمنين فرفض هذا الاسم لأنَّه من أسماء الخلفاء الراشدين ولكنه اختار اسم (أمير المسلمين) وبذلك أصبح ينادي ويوقع به.

واستطاع يوسف بن تاشفين أن يصل بجيشه إلى طنجة وأن تسبقه شهرته إلى بلاد الأندلس حيث تقييم دوليات الطوائف الذين أرسلوا إليه يطلبون منه عدم دخوله الأندلس لأنَّهم مسلمون ومن أنصاره وأنَّهم يحاربون النصارى فلا داعي لازعاجهم.

غير أنَّ النصارى تکالبوا على دوليات الطوائف وبدأوا يسقطونها الواحدة تلو الأخرى. والتي لا يسقطونها يفرضون عليها الجزية فقام ابن عباد باستدعاء المرابطين ليجتازوا لهم البحر. وقد قال قوله المشهورة عندما حذرَه ابنه من استدعائهم حيث قال: «والله يا ابني لأن أرعن جمال العرب خير لي من أن أرعن خنافس الروم».

واجتاز الجيش المرابطي بقشه وقضيشه وطboleه ورایاته وهجائه إلى بلاد الأندلس. وانضم إليه جيش المعتمد بن عباد واصطدموا مع جيش الأفرنج بقيادة الأذفونش بن فرذلن ملك الأفرنج في موقعة الزلاقة الشهيرة 479 هـ حيث انتصر المسلمون انتصاراً ساحقاً وقد مات الأذفونش متأثراً بجراحه. ورجع يوسف بن تاشفين إلى المغرب بعد أن رتب جيشه وأمر عليه سير بن أبي بكر أحد قادة الملثمين العسكريين الأفذاذ<sup>(١)</sup>.

واستمر سير بن أبي بكر يدفع العدو حتى حدود الإمارات الإسلامية في الأندلس. وقد سهل له الأمر خاصة بعد خلو الساحة من الأذفونش.

وأرسل سير بن أبي بكر يستشير ابن تاشفين فيها يفعل مع ملوك الطوائف الذين أصبح بعضهم يكتب الأفرنج ضد المرابطين.

فأرسل إليه ابن تاشفين أن أقبض على ملوك الطوائف وأرسلهم إلى المغرب. وعين قادة وولاة من جيشهك لهذه الإمارات.

وقد فعل سير بن أبي بكر ذلك ثانية بالحرب وتارة بالتفاوض إلى أن بقي ابن عباد وحده. فاستشار ابن تاشفين في أمره فأمره أن يعرض عليه الانتقال للمغرب بأسرته فان رضي عنها وإلا فليقاتلها.

وقام سير بعرض الأمر على المعتمد بن عباد فلم يحبه بشيء. فحاصره عدة أشهر وقبض عليه وأرسله إلى المغرب حيث اعتقل في أغصان إلى أن وافاه الأجل وله في ذلك قصائد شعرية مؤثرة وموجعة منها عندما زارته بناته في المعتقل يوم العيد وهن عاريات حافيات يغزلن للناس من الفاقة.

قال:

فِيمَا مَضِيَ كُنْتُ بِالْأَعْيَادِ مُسْرُورًا  
تَمْشِي بِنَاثِكَ فِي الْأَطْمَارِ عَارِيَةً  
يَطَّأنُ فِي السَّطِينِ وَالْأَقْدَامِ حَافِيَةً

وَالْيَوْمُ عَيْدُكَ فِي أَغْمَاتِ مَأْسُورًا  
يَغْزِلُنَّ لِلنَّاسِ لَا يَلْكُنُ قَطْمِيرًا  
كَانَهَا لَمْ تَطِّ مَسْكًا وَكَافُورًا

(١) - انظر ابن خلگان / وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار صادر، ج 7 وص 112 الى 130.

وهكذا أصبحت جزيرة الأندلس ولاية مرابطية تحت إدارة (مراكش) يديرها سير بن أبي بكر أحد أمراء الجيوش المغربية تحت أمرة يوسف بن تاشفين أمير المسلمين وقد هزت موقعة الزلاقة مشاعر المسلمين ورفعت معنوياتهم واستردت لهم ملوكاً كاد يُنزع من أيديهم وقد خلدها الشعراء والذين من بينهم الشاعر عبد الحليل بن وهبون الذي يمدح فيها يوسف بن تاشفين وينسبه إلى حمير. وكذلك المعتمد بن عباد الذي ينسبه إلى لخم وكيف التحم هذان بالخدمان وسببا النصر.

يقول ابن وهبون:

ثار إلى الطعان حليف صدق ثور به الحفظة والذمام  
نما في حمير وفتاك لخم وتلك وشائج فيها التحام  
فيوسف يوسف إذ أنت منه كيامن لا وهي لكما نظام  
نهجت لسيله نهجاً فوافي وفي آذية الطامي عرام  
نهيل به كثيب الكفر هيلاً و وكل رفيفة منه ركام  
وصاروا فوق ظهر الأرض أرضاً كأن وهادها منهم أكام  
عديد لا يشارفه حساب ولا يحيى جماعته زمام  
تألت السوحوش عليه شتى فيها نقص الشراب أو الطعام  
فإن ينجو اللعين فلا كحر ولكن مثلما ينجو اللثام  
فain العجب يا اذفونش هلا تجنبت المشيخة يا غلام  
تسائلك النساء ولا رجال فتخبر ما وراءك يا عصام<sup>(١)</sup>

وفي سنة 500 هـ توفي يوسف بن تاشفين مريضاً وقد رثاه الشعراء وتحسر على موته أنصار الإسلام. وقد خلفه ابنه (علي) الذي استمر على نهج والده. واجتاز البحر للأندلس لتفقد أحوالها مع جيشه 503 هـ. ولما اطمأن عليها وعلى حصونها ورتب قياداتها عاد إلى المغرب.

وفي عام 511 عاد مرة أخرى للأندلس حيث استبدل بعض قياداتها وأبقى آخرين في أماكنهم وعين قضاة جددًا وعزل آخرين ورجع إلى المغرب.

(١) — الشترني / اللخيرة في عيasan أهل الجزيرة، القسم الثاني، المجلد الأول، ص 245 - 246 .

وقد بدأت دعوة المهدي بن تومرت (دعوة الموحدين) في الظهور فانتدب لها ابنه تاشفين لمواجهتها ومحاربتها وتوفي على عام 537 هـ وخلفه ابنه تاشفين الذي لم يسترح كثيراً حيث قويت دعوة الموحدين في عصره واستمر يقاتلهم في المغرب وكذلك يقاتل النصارى في الأندلس وكانت للجيش المرابطي موقع مشهورة ضد النصارى مثل موقعة (أفراغه) يوليول 1134 م / 23 رمضان 528 والتي يصفها محمد عبدالله عنان بقوله:

«وقد نشبت بين المرابطين وبين النصارى تحت أسوار أفراغه موقعة من أشد ما عُرِفَ في تاريخ المعارك الخامسة في الغرب الأعلى».

ويقول أيضاً في وصفه للنصر وحالة النصارى:

«وهلقت منهم عدة كبيرة من القادة والأكابر. ومزقت صفوهم تعزيقاً، وأصيروا بهزيمة ساحقة. لم يصبهم مثلها منذ موقعي الزلاقة والفليش»<sup>(١)</sup>.

غير أن هذا النصر الذي حققه المرابطون في الأندلس قابلته مجموعة من المزائim في المغرب من الدعوة الجديدة للموحدين.

فلم يهنا تاشفين بن علي بن يوسف في حكمه بل ظل يقارع الموحدين الذين كانت دعوتهم تعزّزاً قبائل المصامدة الكبيرة وغيرها من أشداء المغرب. إلى أن توفي وخلفه ابنه أبو إسحاق ابراهيم، والذي كان دون الخامسة عشرة من عمره في تلك الظروف القاهرة التي أحاطت بالدولة المرابطية فهاجمته القوات الموحدية في مراكش وقبضت عليه في شوال 541 هـ، وأعدم في مذبحه كبيرة للمرابطين وكان ذلك بعد ثمانين عاماً من تعمير مراكش وقيام الدولة المرابطية.

ومع أن حكم المرابطين في الأندلس استمر لعدة سنوات أخرى إلا أنه بسقوط مراكش اضطررت أحواهم واعتبر حكمهم في عداد المنثور.

وقد استطاعت أسرة (أبناء غانية) - وغانية هذه هي إحدى قرييات تاشفين - أن توسع أسرة حاكمة امتد حكمها إلى طرابلس الغرب واعتبر امتداداً لحكم المرابطين في المغرب والأندلس.

(١) - محمد عبدالله عنان / عصر المرابطين والموحدين جد ١ ص 123 القاهرة / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

أما الدولة المرابطية في الجنوب فقد انقسمت إلى عدة إمارات يحكمها مشايخها. وكانت تضعف وتقوى حسب قوة الأمير وضعفه. ولا تزال بعض هذه الإمارات التي ولدت عن الدولة المرابطية حتى الآن في مناطق موريتانيا وشمال مالي وشمال النيجر.

وأصبحت لدى التوارق سلطانات تحدثنا عنها في أول البحث. ولو أن كثيراً من قبائل لتوة وصنهاجة التي كونت الدولة المرابطية تعرّبت وأصبحت لا تتحدث التارقية مطلقاً خاصة بعد امتصاصها بالهجرات العربية التي اندفعت إلى الشمال الأفريقي والمتمثلة في هجرات بني هلال وبني سليم وعرب العقل الدين اندفعوا جنوباً إلى الصحراء بخيانتهم وخيمتهم ولا تزال قبائل حسان من عرب العقل تمثل بانصهارها مع الصنهاجيين واللمتونيين وغيرهم من بقايا الدولة المرابطية أكثر سكان موريتانيا الحالية ومنطقة أزواد شمال مالي والنيجر.

## دور الملثمين في حماية الإسلام وانتشاره

بالرغم من أن الجيوش المرابطية الشمالية لم تكن كلها من الملثمين ، إلا أن قياداتها كانت منهم وكذلك أمير الدولة وحاشيته ، ولكننا نستطيع أن نقول إن عبور الملثمين للأندلس آخر سقوطها بيد الإسبان لأكثر من قرنين من الزمن. إذ استطاعت هذه المجموعات البدوية المتدينة والتي يلهب حماسها تعاليم الدين التي ينبع منها الفقيه عبدالله بن ياسين أن تدافع بقوة وشراسة عن تعاليم الدين. وأن تقاتل ببرavery ضد النصارى الذين بدأت تساقط أمام هجماتهم الخصون الإسلامية في دويلات الطوائف.

واستطاع المرابطون أن يوحدوا فلول المسلمين في الأندلس وأن يهدوا بهذه الوحدة الطريق إلى الموحدين فيما بعد.

ويقول الأستاذ محمد عبدالله عن كيفية طريقة المرابطين في القتال «وكان الجيش المرابطي يستعمل البنود والطبلول . وقد لعبت طبلوله في الزلاقة دوراً كبيراً في إزاج الجندي النصاري وبث الرعب في قلوبهم ..»<sup>(1)</sup>.

(1) - محمد عبدالله عنان / المصدر السابق، ص 419 .

«وكان للمتونة في قتالهم شدة وبأس ليست بغيرهم. وكان قتالهم على النجف أكثر من الخيل. وكان معظم قتالهم متراجلين. يقفون على أقدامهم صفاً بعد صف. يكون بأيدي الصنف الأول منهم القنا الطوال. وما يليه من الصفوف بأيديهم المزاريق، يحمل الرجل الواحد منها عدة يزرقها فلا يكاد ينقطيء أو يشوي. وهم رجل قدموه أمام الصنف بيده الراية. فهم يقفون ما وقفت منصته. وإن أمالها إلى الأرض جلسوا جميعاً. فكانوا أثبت من المضاب. ومن فرّ أمامهم لم يتبعوه. وكانوا يختارون الموت على الانهزام. ولا يحفظ لهم فرار من زحف..»<sup>(١)</sup>.

وهكذا نقل الملشمون التوارق أساليبهم القتالية من الصحراء إلى المدن بجهائهم وطبوفهم ورایاتهم وسيوفهم ومزاريفهم، ورماحهم.

هي هي. الآلات نفسها التي لا زالوا يستعملونها حتى عهد قريب قبل دخول الاستعمار الفرنسي للمنطقة في أواخر القرن الماضي حيث أدخل للمنطقة استعمال السلاح الناري وتطوراته.

ويرجع الأستاذ محمد عبدالله عنان ضعف الدولة المرابطية في الأندلس إلى ضعف نزعة الجهاد والتي كانت تضطرم لدى المرابطين أول دخولهم إلى الجزيرة، كما يرجع السبب أيضاً إلى انغماس جنود هذه الحركة وقادتها في النعيم المفاجيء الذي وجدوه بالأندلس. فرکنوا إلى الدعة واستلذوا الراحة.

ومما يؤخذ على هذا العهد (عهد المرابطين) تحريره على الفكر الأمر الذي جعل المرابطين يطاردون فقهاء الأصول ويطاردون كتبهم ويحرقونها مثل كتب الإمام الغزالي.

ويقول محمد عبدالله عنان :

«ومن الواضح أن هذه المطاردة الفكرية لم تكن تقف عند كتب الأصول وكتب الغزالي. ولكنها كانت تشمل سائر المصنفات الكلامية والفلسفية التي تنكرها التعاليم المرابطية. وغيرها مما تصفه الرسالة (بكتب البدعة) وكان من ضحايا هذه المطاردة عدة من المفكرين الأندلسيين ومنهم العلامة الصوفي أبو العباس أحمد بن محمد الصنهاجي

(١) - أبو عيد البكري / (المغرب في تاريخ بلاد أفريقيا والمغرب) المشتق من كتاب المسالك والممالك (طبقة دبي سلان). ص 166 .

الأندلسي المعروف بابن العريف حيث نفاه أمير المسلمين علي بن يوسف من بلده المريه إلى مراكش<sup>(1)</sup>.

كما أن العبيد والخدم الموجودين بكثرة في الجيش المرابطي أساءوا للناس بتصرفاتهم السيئة كما أساءوا إلى أخلاق الناس.

وكذلك وجود جموعات من المجندين المسيحيين داخل قواتهم في أواخر أيامهم. واستخدام هؤلاء الناس في جباية الأموال من مسلمي الأندلس حيث استغل هؤلاء المسيحيون وجودهم في هذه المواقع وضغطوا على الناس وأساءوا معاملتهم الأمر الذي أوقع عدة انتفاضات ضد الحكم المرابطي في الأندلس أهمها انتفاضة قرطبة عام 514 هـ.

كما ساهم الموحدون في تشويه الحكم المرابطي بنشر مثالبه على الناس في الدعوة التي قام بها المهدي بن تومرت ضد المرابطين. وقد وصفهم بالخروج عن الدين، وبالكفر أحياناً أخرى.

غير أننا نجد أنه بالرغم من كل ذلك، فقد قامت نهضة أدبية في الأندلس كانت استمراً لنهضة الأدب في عصر دول الطوائف. وقد ظهر عدد كبير من الأدباء والشعراء والكتاب في العهد المرابطي. وقد كان البلاط المرابطي يحوي جموعات منهم متخصصين في الكتابة. كما صعد إلى سدة الوزارة مجموعة من الوزراء الشعراء الأدباء أمثال: أخيل بن إدريس الرندي، وعلي بن عبد العزيز بن الإمام الأنصاري، ويقول محمد بن عبدالله عنان:

«كان اجتماع هذه الصفة الممتازة من كتاب الأندلس في البلاط المرابطي ظاهرة تدل على أن المرابطين لم تفتهم أهمية القيم العلمية والأدبية، وأهمية الأساليب البللية العالية في عرض مراسيم الدولة وأوامرها والإفصاح عن رغباتها ووجهات نظرها. بيد أنها كانت رعاية محدودة المدى مقصورة على المجال الرسمي ولم تكن تسيرها تلك التزعة المستنيرة التي تعتبر الحركة العلمية والأدبية من المقومات الحيوية لأمة عريقة متدينة كالأمة الأندلسية»<sup>(2)</sup>.

(1) - محمد عبدالله عنان / المصدر السابق، ص 432 .

(2) - محمد عبدالله عنان / المصدر السابق، ص 444 .

## نظام الحكم عند الملثمين

بالرغم من كون الحكم الوراثي في التوارق، في عهوده القديمة والمتوسطة ظل عن طريق ابن الأخت أو ابن البت لا عن طريق الولد - جرياً على العادات العربية القديمة - إلا أنها نجدهم عندما أنشأوا دولتهم المرابطية لم يتبعوا هذا التقليد. ربما تأثراً بقبائل المغرب الأخرى والأندلس، أو اتباعاً لقوله تعالى: «ادعوههم لأبائهم».

ولما كان تأسيس الدولة المرابطية على أساس ديني سنته مؤسسها عبد الله بن ياسين فإن الرئاسة كانت في البداية أشبه بالإمامية. والبحث عنمن توفر فيه مزايا الحكم ابتداءً من التدين والعفة والعقل والتزاهة. وهذا كان يحيى بن عمر وهو من أكبر المؤمنين بدعوة عبد الله بن ياسين ومن بعده أخوه أبو بكر ثم بعده ابن عميه يوسف بن تاشفين. وبوصول يوسف إلى مرتبة الإمارة للمرابطين جعلها وراثية كما فعل معاوية بن أبي سفيان في المشرق. إذ نجد بعد يوسف بن تاشفين تولى إبنه علي، وبعده تولى إبنه تاشفين، وبعد تاشفين تولى إبنه أبو إسحاق ابراهيم الذي انتهت في عهده الدولة المرابطية وقتلها الموحدون ضمن من قتلوا ، بالرغم من صغر سنّه .

ولكننا نجد أن النسب للأم لم تفارق الملثمين تماماً فنجد بين رجالهم المبرزين في الدولة المرابطية من يدعى لأمه أمثال محمد بن فاطمة، أحد قادتهم الأفذاذ. وابن غانية الذي استطاع مع اخوته تأسيس دولة بقيت تحمل شعار المرابطين لمدة من الزمن عرفت في التاريخ بدولةبني غانية. وغانية هذه هي قريبة يوسف بن تاشفين.

واستطاعت هذه الدولة أن تصمد في وجه الموحدين لعدة عقود من السنين ضمت الجزائر، وطرابلس. ويقول بعض المتشددين ضد المرابطين من المؤرخين أن من أسباب ضعف الدولة المرابطية تدخل النساء في شؤون الحكم. وقد رد ذلك دوزي الذي اشتهر بتحامله على المرابطين، وكذلك المراكشي المؤرخ الموحدي.

ومن المعلوم أن سكان الصحراء الكبرى عموماً والتوارق بصفة خاصة للمرأة عندهم قدر كبير يجلّونها ويحترمونها. وقد بروز من بينهم الكثير من النساء ذوات الرأي والمشورة ويكتفى أن ولد البت له من الأحقية أكثر مما للولد أو ولد الولد ويمكننا أن نختتم

هذا الفصل بفقرة أوردها محمد عبدالله عنان في كتابه (عصر المرابطين والموحدين) متنقلة عن صاحب روض الفرطاس عن ابن جنون يقول:

«كانت لتونة أهل ديانة ونية صادقة خالصة وصحة مذهب، ملوك الأندلس من بلاد الفرنج إلى البحر الغربي المتوسط ومن مدينة بجاية من بلاد العدوة، إلى جبال الذهب من بلاد السودان. لم يجر في عملهم طول أيامهم رسم مكره معونة ولا خراج في بادية ولا في حاضرة. وخطب لهم على أزيد من الفي منبر. وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل. وعافية وأمن. كان ذلك مصطحباً بطول أيامهم. ولم يكن في بلد من أيامهم خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائف المخزنية. حاشا الزكاة والعشر. وكثرت الخيرات في دولتهم، وعمرت البلاد. ووافت الغبطة ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع طريق. ولا من يقوم عليهم، وأحبهم الناس إلى أن خرج عليهم محمد بن تومرت مهدي الموحدين سنة خمس عشرة وخمسين»<sup>(١)</sup>. كما نقل المثلثون من تقاليد صحرائهم نظامهم إلى الشمال. فالامير (امير المسلمين) وهو بثنابة سلطان التوارق هو الحاكم العام. وهو الذي يعين ويعزل الأمراء الأقل منه رتبة وكذلك قادة الجيش.

ثم من بعده أمراء المناطق الذين يكونون دائمًا من أقرباء الأمير (الأمنوكال) ثم قادة الجيش وعادة ما يكونون هم الأمراء أنفسهم كما أن (امير المسلمين) هو القائد الأعلى للجيوش المرابطية. وقد يخوض المعارك بنفسه كما فعل يوسف بن تاشفين. وكذلك أبو بكر بن عمر. ومن بعدهم علي بن يوسف.

ثم إن منصب الإمام أو الفقيه هو المنصب الروحي الذي يعود له الأمر أولاً وأخيراً في قضايا الدين والجهاد والقتل والسجن وحتى المظالم. يباشر ذلك عن طريق القضاة المنتشرين في كل الإمارات. سواء في المغرب أو في الأندلس ويصدر لنا المراكشي ذلك في قوله عند حدثه عن علي بن يوسف «وكان (أبي علي بن يوسف) حسن السيرة جيد الطوية نزيه النفس بعيداً عن الظلم». كان إلى أن يُعد في الزهاد المتبتلين أقرب منه إلى أن يُعد في الملوك والمتغلبين واشتدر إثاره لأهل الفقه والدين. وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء. فكان إذا ولـى أحداً من قضااته كان فيها يعهد إليه ألا يقطع أمراً ولا

(١) — روض الفرطاس / ص 108 والسلامي في الاستقصاء ج 1 ص 128 ومحمد عبدالله عنان / المصدر السابق. ص 425.

بيث حكومة في صغير من الأمور ولا كبير إلا بحضور أربعة من الفقهاء. فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغاً عظيماً، لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس، ولم يزل الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين راجعة إليهم. وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم طول مدة . فعظم أمر الفقهاء كما ذكرنا وانصرفت وجوه الناس إليهم. فكثرت لذلك أمواهم واتسعت مكاسبهم<sup>(1)</sup>.

كا اهتم المرابطون بتكون الجيش الذي كان يتكون من فرق مختارة كل واحدة لها خصائصها وتنظيمها. فالصحراويون الأولون الذين قدموا من الصحراء يركبون النجف، ويدو المغرب والأندلس يركبون الخيل.

وهناك فرق من العبيد والموالي، وأخرى من النصارى الدين اعتنقا الدين الإسلامي حديثاً. والتي تسميتها الرواية العربية (الجند الروم).

وكان ترتيب الجيش كما ذكره محمد عبدالله عنان:

«... يقوم على نظام خاسي. فيتقدم الجيش الجند المشاة ووحدات الفرسان الخفيفة، وحملة القسي والرماة. ويرتبون في الجناحين. ويكون القلب من وحدات الفرسان الثقيلة وهي التي كان لها على الأغلب القول الفصل في المعركة. وكانت قوات المؤخرة أو القوات الاحتياطية يقودها أمير المسلمين بنفسه إذا كان مصاحباً للجيش. وتتألف من صفة الجند وقوى الحرس المختلفة، من العبيد والنصارى والمرتزقة. وكان لكل قسم من القوات المقاتلة قائدٍ مختص. ويجتمع القادة جميعاً في مجلس المغرب الذي يعقد قبل المعركة. وترتباً فيه خطط الهجوم والدفاع وفقاً لأوامر القائد الأعلى. وكان الجناد يحشرون وفقاً لمختلف القبائل والأقاليم...»<sup>(2)</sup>.

ولقد برز من المرابطين قادة أفادوا في فنون الحرب والقتال أمثال محمد بن فاطمة، وسير بن أبي بكر، ومزدلي بن تيولتكان، وأبي عبدالله محمد بن الحاج، ومحمد بن عائشة، وأبي بكر بن إبراهيم بن تافلوت وغيرهم.

والغريب أنه بانتهاء هؤلاء القادة ضعفت دولتهم واضمحلت وسيطرت عليها دولة الموحدين الفتية في ذلك العصر.

(1) — ابن عذاري المراكشي.

(2) — محمد عبدالله عنان / المصدر السابق. ص 418 - 419.

## الباب التاسع

الثوارق ودورهم في صد  
الاستعمار أحاديث

انفلاضات الثوارق ضد  
الفرنسيين



## التوارق ودورهم في ضد الاستعمار الحديث

بدأت أوروبا بالتطلع إلى إفريقيا منذ القرن السابع عشر الميلادي وكانت بداية غزوها لإفريقيا قد ظهرت على شكل بعثات علمية مهمتها استطلاع إفريقيا وسفر مجاهلها واكتشاف طرقها ومواردها.

وكان هاجس الوصول إلى تينبكتو (مصدر الذهب) يشغل بال الأوروبيين. فأعلنت الهيئات العلمية والجامعات عن جوائز مغربية وتمويل الرحلات التي تخترق الصحراء الكبرى وتصل إلى مجاهل إفريقيا. واكتشاف مصب الأنهار (نهر النيل ونهر النيجر) ومدى صلاحيتها للملاحة.

وكانت سفن الهولنديين والبرتغاليين والإسبانيين والبريطانيين والفرنسيين ترسو على شواطئ إفريقيا الغربية والشرقية وتقتحم على الأفارقة سكونهم وهناءهم وتحتفظ الرجال والنساء والذهب لبيع ذلك كله في أسواق العالم.

وقد نشطت تجارة الرقيق بصورة أكبر بعد اكتشاف أمريكا وحاجة البريطانيين والفرنسيين والاسبان لليد العاملة المجانية في العالم الجديد وتمهيد الأرض البكر.

ولا تزال في شاطئ السنغال قرب داكار جزيرة هناك تشهد على وحشية الأوروبيين ضد السود. وموقع تجميع هؤلاء البائسين السود في كهوف مظلمة انتظاراً لشحنهم كالأغنام إلى أوروبا وبيعهم هناك.

ويقول جيمس ويللار:

«يوم كانت تجارة الرقيق مزدهرة، كان يؤتى بالإفريقيين من قلب إفريقيا بنسبة مائة ألف على الأقل كل سنة. ولدينا في بعض الأحوال إحصاءات بالغة الدقة. فالسجلات

مثلاً تفيد بأن المستعمرات البريطانية استوردت 3000000 ثلاثة ألاف عبد بين عام 1680 وعام 1700 . وأن (جامايكا) استوردت 610 ستة عشرة ألف عبد بين عامي 1700 و 1786 وبلغ مجموع الإفريقيين الذين أرسلوا إلى ما وراء البحار كأرقاء منذ عام 1510 (أي منذ أن شحنت أول إرسالية من العبيد إلى مناجم الذهب الإسبانية في إسبانيولا) حتى عام 1865 عندما ألغت الولايات المتحدة الرق بتعديل الدستور (وهي آخر البلدان المسيحية التي فعلت ذلك) يبلغ المجموع على الأقل 12 مليوناً . وإذا وافقنا الدكتور (ليفنجستون) على تقديره بأن كل عبد وصل الشاطئ يقابله على الأقل عشرة عبيد فقدوا حياتهم ، فإن عدد الرقيق يبلغ عندئذ رقماً يفوق التصور . . . »<sup>(١)</sup>.

ولم تكن نظرة الأوروبيين لافريقيا جديدة بل كانت قدية قدم التاريخ . فهانحن نجد الرومان عندما حطموا (قرطاجنة) واندفعوا إلى الشمال الإفريقي يقول جيمس ويللار:

«وهكذا انتهى عهد الملوك الإفريقيين عام 40 بعد الميلاد ، عندما قرر الرومان أن أفريقيا هي ولاية من الغنى بحيث لا يجوز إشراك الملوك المحليين في حكمها . وما هم الآن بعد 200 مائتي سنة من تدمير قرطاجنة يريدون أن لا ينزع عنهم منازع في ملك أفريقيا كلها إلى حدود بلاد الأقزام . بما فيها موريتانيا ونوميديا وطرابلس ومصر وما وراءها من الصحراء . . . »<sup>(٢)</sup>.

وسار الأوروبيون المحدثون على طريق أجدادهم الرومان . فارسلوا البعثات لاكتشاف أفريقيا والصحراء .

ويستطرد ويللار:

«وكان المصدر الوحيد لمعلوماتنا هو النصوص العربية وخصوصاً رحلات الحسن بن محمد الملقب بـ (ليو أفريقيانوس) أو (الأسد الإفريقي) . . . »<sup>(٣)</sup>.

ويستمر قائلاً:

(١) — جيمس ويللارد / الصحراء الكبرى / المصدر السابق . ص 160 .

(٢) — جيمس ويللارد / المصدر السابق . ص 93 .

(٣) — جيمس ويللارد / الصحراء الكبرى / المصدر السابق . ص 164 .

«ومع ذلك فعل رعلى رواية «ليو» المسلية لرحلاته في البلاد السوداء اعتمد الجغرافيون والمؤرخون وغيرهم مدة ثلاثة قرون مقبلة ، لأن أحداً من الأوروبيين لم يصل إلى المدينة الرومانية (سيداموس) (غدامس) فضلاً عن تيبكتو حتى العقد الثاني من القرن التاسع عشر . . .<sup>(1)</sup> .

هذا بالنسبة لأفريقيا عموماً. أما بالنسبة للصحراء حيث الحر والعطش ، والمسافات الشاسعة ، وحيث العرب الم��مون يغيرون في الأفق فوق جاهلم السريعة ، وحيث يقدسو الحرب التي جاء الإسلام وعزّزها . فاتبع الأوروبيون لهم غطاء آخر من الاكتشاف . إذ اعتمدوا على الرحالة والمغامرين الذين تجهزوا بالاتهام وأوراقهم ، وأموالهم ، يقدمون الرشاوى والهدايا لشيخ القبائل وسلطان المجموعات ويدعى الإسلام كثير منهم متخذين من التوارق فيأغلب الأحيان أدلة يدلّونهم على الطريق لاكتشاف مواطنهم البعيدة . وتذويين عاداتهم وتقاليدهم ونقطاط ضعفهم حتى يسهل على الرجل الأوروبي المتعطش للتملك أن يقتصر الصحراء ويستولي عليها بأقل الوسائل والخسائر وبأسهل الأساليب .

ولكن التوارق لم يكونوا جميعاً بالسهولة التي يتوقعها الأوروبيون . فلقد وقفوا ضد تغلغل هذه المجموعات (الجواسيس) وكانتوا يقضون عليهم الواحد تلو الآخر .

ويقول جيمس ويلارد :

«ويجلد بنا القاء نظرة على العشيرة الخاصة التي حكمت الصحراء منذ أيام القرطاجيين على وجه الاحتياط . أعني عشيرة (الطوارق) أو (الرجال الم��مون) . ومن المحتمل أن يكون أبناء هذه العشيرة هم الأحفاد المباشرين لأولئك الغرامتيين الذين سادوا الصحراء الكبرى في أيام اليونان والرومان . وسواء كان هذا هو الواقع أو لم يكن فقد كان «الطوارق» حتى عهد قريب وبمعنى من المعاني ، شعباً بقيت ثقافته ولغته نسبياً دون أي تغير منذ العصور الكلاسيكية القديمة . . .<sup>(2)</sup> .

ويقول عبد القادر جامي :

(1) - جيمس ويلارد / المصدر السابق . ص 164 .

(2) - المصدر نفسه ، ص 169 .

«إن أول من عرف التوارق للأوروبيين هو الرحالة (دويرير Duveirier) الذي مر في غات سنة 1861 وشق أراضي قبيلة أوراغن تحت حماية رئيس أوراغن حينذاك الشيخ أختونخن . . .»<sup>(١)</sup>.

و قبل وصول هذا الرحالة إلى غات مات عدة رجال من المغامرين الأوروبيين إما بالمرض أو بالقتل قبل أن يصلوا إلى غدامس أو غات ناهيك عن تينبكتو التي وصلها أول الأوروبيين في عسكر أحد الذهبي السلطان المراكشي الذي جهز حملة وغزا بها تينبكتو عام 1560 وضم هذه الحملة الكثير من الأوروبيين المرتزقة بما فيهم قائد الحملة الأسباني (جودر).

ويقول جيمس ويلارد:

«وقد أرسل المغاربة في الواقع جيشاً من 7 آلاف رجل و 8 آلاف جمل وألف حصان إلى نهر النيجر في عهد الملكة اليزابيت الأولى. وكان معظم الاختصاصيين بين هؤلاء المقاتلين في هذه الحملة الأوروبيين من فيهم رجال المدفعية الإنجليز . . .<sup>(٢)</sup>. ولكنه سرعان ما تكونت الجمعيات العلمية والجغرافية في أوروبا وبدأت ترسل الرجال المغامرين لاكتشاف الصحراء. وانطلق العشرات منهم لقطع الصحراء من الشمال إلى الجنوب (السيد توماس) أو من الشرق إلى الغرب (السيد لديارد). ولم تنجح هذه الرحلات الأولى. ولكن (الماجور هاتون) استطاع أن يتغلب قليلاً من الغرب إلى الشرق ثم (مانغو بارك) و (هورثان). وقد فشل أكثر هؤلاء وأغلبهم قضى نحبه بالمرض أو غيره.

وأخيراً وصلت بعثة (أودتي دونهام كلابرتون) إلى بحيرة تشاد التي لم يصلها أي أمريكي قبل ذلك 1824 وفي ذلك الوقت كانت بعثة أخرى مرسلة من الحكومة البريطانية تصل أخيراً إلى تينبكتو 1826 ذلك أن الماجور (غوردون لينج) وصل إلى تينبكتو ولكنه قُتل هناك باعتباره مسيحياً كافراً جاء يدنس أراضي الإسلام. ولم يكن التوارق - في الواقع - هم الذين قتلوا، ولكن شيخ قبيلة البرابيش العربية هو الذي فعل ذلك إذ يقول بول مارتي :

(١) - عبد القادر جامي / من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى / المصدر السابق، ص 188 .

(٢) - جيمس ويلارد / المصدر السابق، ص 183

«وبعد وفاة عبيدة سنة 1820 تولى السلطة بعده ابنه أحمد، وأحمد هذا هو الذي يخلده التاريخ بخسيسة (ا) اغتيال الرحالة الإنجليزي الماجور (غوردون لينج) وكان (رينبي كي) و (بارت) من الذين نقلوا إلينا شهادتهم على ذلك وقد سماه (رينبي كي) حمد (أو أحمد) ولد حبيب ولا شك أن حبيب هو تحرير منه لعيده أو عبيدة...»<sup>(1)</sup>.

ومن الغريب أن حفيذ هذا الشيخ المدعو سيدى محمد هو الذي تصدى للفرنسيين أثناء غزوهم لتنبكتو متبعين طريق الرحالة السابقين. ولكن في هذه المرة بالأسلحة والمعدات لغزو البلاد واستعمارها.

---

(1) — بول مارتي / البرابيش نوحسان / تعریب محمد محمد ولد ردادي. مطبعة زید بن ثابت. ص 35 .



## التوارق والاستعمار الفرنسي

لم يكن التوارق منفصلين عن أمتهم العربية وخاصة في الشمال الأفريقي. كما أنهم لم يكونوا جزءاً منفصلاً عن إخوانهم وجيرانهم العرب في ليبيا والجزائر وモوريتانيا، تلك المناطق التي يطلون عليها من صحرائهم. بل وتنتمي إليها جل قبائلهم.

وبقدر ما هم مرتبطون بالشمال الأفريقي نجد أيضاً نقاط تماสهم مع الجنوب يتاثرون بها سواء في نيجيريا وتشاد أو في بوركينافاسو والنيجر ومالي.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأ الفرنسيون يتغلبون داخل أفريقيا الغربية متخلدين من بعض الأفارقة عوناً لهم خاصة من بلدان الساحل المطلة على المحيط الأطلسي كالسنغال وغينيا وساحل العاج وغيرها مصدلين شهالاً وشرقاً نحو الصحراء. كما أنهم - أي الفرنسيين - انحدروا من الجزائر جنوباً باتجاه الصحراء بعد تحطيم المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري.

وما أن وصل الفرنسيون في زحوفهم إلى أرض الصحراء الكبرى حيث يقيم التوارق حتى هبوا مدافعين عن صحرائهم وعن دينهم وخاصوا معارك مشرفة ضد المستعمرين بسلاحهم البدائي ولم يكونوا وحدهم في هذا الشرف بل كان معهم الكثيرون من القبائل العربية في المنطقة وغير العربية كالهوسا والفلان وبمبارة وجرما والتبو والقرعان والشواة. وكانت هذه المجموعات يجمعها الدين المشترك والدفاع عنه.

وكما أن هناك شخصيات لامعة خاضت الجهد ضد الاستعمار الفرنسي من هذه القبائل أو المجموعات الدينية المسلمة المستوطنة في الصحراء أو في تخومها. فإننا نجد أن هناك شخصيات لامعة انصمت للعدو وكانت سندًا له أغراها بالمادة أو الجاه وخاصست إلى جانبه المعارك ضد أبناء وطنها ودينهما وقوميتها. ولقد حفظ لنا التاريخ أسماء هؤلاء وأولئك.

وان نسي التاريخ فلن ينسى الشاير الحاج عمر تال سيدو أحد مواليد مدينة (بودور) السنغالية عام 1797 . فلقد حج هذا الرجل إلى بيت الله الحرام ومرّ أثناء عودته بالأزهر الشريف حيث درس أربع سنوات ، ثم عاد للسنغال ماراً ببلاد بربن وتشاد . ثم زار الموسى وعاد إلى بلاده بعد غيبة دامت ثمانى عشرة سنة قضتها في التحصيل العلمي الديني والتدريس .

وعندما عاد كان الصراع بين الطرق الصوفية على أشده في منطقة غرب أفريقيا حيث اعتنق الحاج عمر (التيجانية) بعد أن كان (قادرياً) وعاد ليكون جيشاً ينتهي إلى جماعة (تورودو) ومعناها (حمة الدين) الذين كان والله أحد مؤسسيهم . وكان الحاج عمر يساعد صديقه وأحد كبار مريديه ويدعى محمد شيخو .

وصارت هذه المجموعة تقاتل الوثنين في أفريقيا (غرب أفريقيا) وكل الذين لا ينتهيون إلى الطريقة التيجانية . وكان مقر المساعد للحاج عمر هو مدينة (كانكا) الواقعة على الضفة اليسرى من النهر كما ساعدته أيضاً مجموعات من مسلمي الغابون . وهاجم اليمبارا كما ساعدته العرب في موريتانيا وكذلك بعض التوارق .

ولكنه سرعان ما وقع الخلاف بينه وبين العرب والتوارق عندما هاجم أهل (ولاية) الموريتانية محاولاً إرغامهم على دخول الطريقة التيجانية وساق نساءهم وأولادهم أسرى كما استولى الحاج عمر على مدينة كوناكري عاصمة غينيا الحالية<sup>(1)</sup> واستمر الحاج عمر في فتوحاته إلى أن اصطدم بالفرنسيين في مدينة (ساكرو) عندما هاجمها وكانت تسقط في يده عام 1857 وكانت القوات الفرنسية بقيادة (الفارس بو الهول) من مدينة (القديس لويس) وكان على رأس مجموعة من الأفارقة متطوعين لخدمة الفرنسيين . واستطاع الحاج عمر محاصرة المدينة وكانت تسقط في يده ولكن الجنرال الفرنسي (قيد هارباً) استطاع أن ينفرد بالمدينة وينصر المحاصرين ويتفوق على الحاج عمر بسلاحه الحديث .

ولقد وصل الفرنسيون إلى السنغال منذ عام 1659 حيث أسسوا مدينة (سان لويس) (اندر) وهي أول مدينة استولوا عليها .

(1) — انظر جان كوريه / كتاب تاريخ السودان والتيجانية في أفريقيا الغربية .

وما أن شعر الحاج عمر بضعفه أمام القوات الفرنسية المتفوقة عليه بالسلاح الناري أمام سلاحه المكون من السيف والرمي والنশاب حتى اندفع شهالاً يحارب الخارجين على الطريقة التيجانية من (الوولف) والمور (العرب والتوارق) وكان قائداً لقبائل (الوالو) (جيم بيسوب) من قبيلة (الوولف) وقائد المور (العرب والتوارق) محمد الحبيب الزنافي.

واستطاع الفرنسيون أن يستمروا بعض مشائخ الطرق الصوفية وعلى رأسهم الشيخ سيديا الكبير أمير قبيلة أولاد بيري بيبلدة (بوتيلمييت) بموريتانيا الجنوبية والذي دعم الوجود الفرنسي بفتاويه ورسائله إلى رؤساء القبائل طالباً منهم عدم محاربة الفرنسيين لأنهم مرسلون من قبل الله ولا داعي لمحاربتهم.

كما أن أول من وقع مع الفرنسيين معااهدة التسليم هو الشيخ سيديا الصغير حفيد الشيخ المذكور ويلقب بـ (بابا) وهو من قبيلة (انتشاليت) فرع من قبيلة أولاد بيري والتي ينتهي إليها مختار ولد داده الرئيس الموريتاني الأسبق.

ولكن الجنرال (قيد هارب) قُتل على يد أحد أنصار الحاج عمر عندما كان يمر بمدينة (ياكل).

وقد بقي الحاج عمر يقارع الفرنسيين إلى أن تمكن هؤلاء من التفرقة بينه وبين العرب والتوارق مستغلين مهاجمته للطرق الصوفية غير التيجانية.

وبما أن الكثير من العرب والتوارق كانوا (قادريين) لهذا تألبوا ضده ووقع بينهم الصدام المسلح خاصة وأن الفرنسيين شنوا ضده دعايات مغرضة ووصفوه بأنه سفاح ورجل دموي ويحارب الإسلام والمسلمين وقد هاجم فعلاً الحاج عمر قبائل الماسينا والبولار (القادريين) عام 1861 الذين استعنوا بالعرب والتوارق الذين التفوا حول الشيخ سيدى البكاي شيخ قبيلة كنته وذلك بعد أن هاجم الحاج عمر مدينة (سيكرو) 1862 وارتكب فيها جنده مذابح كبيرة الأمر الذي جعل البرابيش وكتنه في (اروان) و(تبنيبكتو) يشعرون بالخطر فتجمعوا مع توارق المنطقة يقودهم الشيخ سيدى البكاي شيخ كنته ورئيس الطريقة (القادرية) وفي عام 1864 وقيل عام 1865 التقى الجماعان في معركة رهيبة خسر فيها الحاج عمر معظم رجاله واستمرت يومين من القتال. وسقط هو نفسه قتيلاً بالعطش بعد أن حاصره خصومه. وقيل إنه أحرق نفسه خوفاً من سقوطه في يد

أعدائه القادرين الذين كان يحرقهم بالنار<sup>(1)</sup>.

ويقول جان كوريه في كتابه (الاسلام والتيجانية) :

«إن أفريقيا الغربية كادت تكون كلها إسلامية لو لا قضاء فرنسا على سلطة التيجانية بقيادة الحاج عمر تال، كما أن أوروبا كادت تكون كلها إسلامية لو لا انتصار شارل مارتل على العرب في معركة (بواتيه)<sup>(2)</sup>».

وهكذا ساهم العرب والتوارق دون أن يشعروا بمساعدة فرنسا علىاحتلال غرب أفريقيا بعد أن ضللتهم الدعاية الفرنسية وسمّمت الجho بينهم وبين الحاج عمر الذي ساهم مساعدة كبيرة في نشر الإسلام، وصد الغزو الفرنسي على مناطق غرب أفريقيا.

ولكن ما أن اندفع الفرنسيون إلى الشمال حتى تكاتفت جهود المصلحين في بلاد الصحراء لحرب النصارى الغزاة ورفع راية الجهاد الشيخ محمد فاضل ماء العينين الذي ترك بلاده في منطقة الحوض (شرق موريتانيا) وانحدر من مدينة السهارة بالساقية الحمراء مركزاً لقيادة الجهاد واستمر يقارع الفرنسيين شمالاً وجنوباً تسانده قبائل الصحراء شمال موريتانيا، وشمال مالي، ومنطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب حتى استطاع أن يزحف على مراكش عندما علم بتواطؤ السلطان المغربي مع الفرنسيين.

واستطاع بانصاره الاستيلاء عليها، وإن ينصب ابنه أحمد الهمية سلطاناً على المغرب عرف في تاريخ المغرب باسم (السلطان الأخضر) وبقي لمدة أسبوع سلطاناً على المغرب ولكنه تقهقر أمام زحف الفرنسيين والاسبان وابتعد نحو الجنوب.

واستمرت المقاومة ضد فرنسا قرابة ست وثلاثين سنة في منطقة الصحراء حتى بعد وفاة الشيخ (ماء العينين) ودفنه بمدينة السهارة حيث مسجده المقام ولا يزال ضريحه والمسجد حتى الآن<sup>(3)</sup>.

كما اندفع الفرنسيون إلى الصحراء من الشمال عبر الجزائر دون مقاومة تذكر.

(1) — أحمد بابا دمه / لمحات من ماضي أفريقيا التاريخ / مخطوط مكتبة المؤلف / ص 11 .

(2) — أحمد بابا دمه / المصدر السابق، ص 11 .

(3) — أحمد سيدى / ظاهرة الدولة / مخطوطة مكتبة المؤلف، ص 75 .

واحتلوا سلطنة المقبار. وفي عام 1908 احتلوا جانت مركز سلطان الأزقر السلطان أمود الذي انسحب إلى غات تحت الحماية العثمانية.

وبالرغم من أن هذه القرية تقع ضمن الأراضي الليبية التي كانت عثمانية آنذاك إلا أن الفرنسيين ضموها لأملاكهم فهاجمها السلطان أمود بجموعات من المجاهدين الليبيين وخلصها في عام 1916 وأسر فيها 440 جندياً سنغاليًّا مجندًا مع الفرنسيين وقتل الضابط الفرنسي أمير الحامية.

واحتل الفرنسيون نهر النيجر عن طريق قواتهم المتواجدة عند مصبه. وصادفوا مقاومة شديدة من قبائل (تنكريكيف) بزعامة (بوكاروان زيدي) والأمير (شبوون) وذلك في عهد السلطان (ماديدو).

كما تحركت القوات الفرنسية نحو بحيرة تشاد وقوات خاصة أرسلت من منطقة النهر (نيامي) وزحفت إلى الشمال حيث خاضت معارك شديدة مع المجاهدين بقيادة قيادات من الليبيين منهم غيث سيف النصر. والبرانى الساعدى. وعبدالله الطوير. ومحمد السنى. والمهدى السنى. وعبد السلام قريش وغيرهم يساندهم التوارق وعرب تشاد والنيجر. وكانت معركة بئر العلاي 1902 من أكبر المعارك الشهيرة حيث استشهد فيها الكثير من المجاهدين الليبيين والتوارق<sup>(١)</sup>. ثم معركة قرو وقد استمرت الحرب بين الفرنسيين والليبيين يساندهم التوارق وعرب المنطقة منذ عام 1900 إلى 1914 عندما انسحب الليبيون إلى الشمال لمقاومة الإيطاليين في هجومهم على ليبيا. وكان أحد الشريف من قيادات الجihad في الصحراء الكبرى الشرقية.

كما استطاع الفرنسيون الاستيلاء على سلطنة الأئير عندما هاجموها من الشمال وكذلك سلطنة (كل اقرس) التي هاجموها من جهة نيامي والداهومي.

أما سلطنة (تكريكريت) فقد استطاع الفرنسيون أن يوقعوا معها اتفاقية تسليم يصبح بموجبها للفرنسيين الحق في إدارة المنطقة والتجول لدورياتهم بها دون عائق ودون أي استشارة للسلطنة. وأن يبقى السلطان التارقي صورة إسمية على قبائله. ولكن

(١) – انظر محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق. ص 78 .

السلطان محمد الكميتي قال: «إنه لا يريد أن يرى وجوه الكفار ولم يلتقي بهم». وأرسل نائباً عنه وقع الاتفاقية.

وتوفي محمد الكميتي بعدها بقليل حيث نشب الخلاف بين ورثته: ابن عمه (اسماغيل) وابن اخته (آخرزى) ونشبت حروب بينهما استغل الفرنسيون ذلك وعرضوا وساطتهم بين المتحاربين حيث اقترح حاكم (طاوه) الفرنسي - بعد أن جمع المتحاربين - أن يكون (الطلب) من نصيب (آخرزى) وأن يأخذ اسماغيل الأموال والمتلكات المادية. فوافق اسماغيل، ولكن آخرزى رفض هذا الاقتراح وأعلن الحرب على اسماغيل والفرنسيين معاً الذين وقفوا يساندون اسماغيل إلى أن تم لهم القبض عليه وقتلوه.

## انتفاضات التوارق ضد الفرنسيين

كانت ليبيا دائمًا وعلى مدى التاريخ هي المحرك الأساسي للصحراء في انتفاضاتها ضد الأجانب. ولم تكن هناك حدود بين ليبيا ومناطق الصحراء. وكانت ممالك كائم، وبرنو، وكوار، وزندر، ووداي، تتبع الحكم التركي في طرابلس. وأحياناً كانت تينبكتو تتبع طرابلس الغرب أيضًا. وكان الولاة يعينون لها من قبل الوالي العثماني في طرابلس الغرب.

هذا كان السكان ينتشرون في هذه المناطق دون أن يمنعهم مانع، فلا تزال حتى الآن قبائل أولاد سليمان التي مركزها منطقة (هراء) على خليج سرت منتشرة في غرب بحيرة تشارد، وفي منطقة البرابيش بصحراء (تاودني) شمال (تินبكتو).

ولا يزال قبائل ورفلة - التي مركزها منطقةبني وليد جنوب شرق طرابلس 280 كم - موجودة في منطقة كائم شمال نيجيريا.

ولا تزال قبائل المحاميد التي مركزها منطقة صرمان غربي طرابلس موجودة في منطقة أبšeة شرق تشارد. أما قبائل المغاربة وزاوية والمجاورة فيعتبرون من سكان منطقة فايا وما جاورها بشمال تشارد، بالرغم من أن مراكزهم في اجدابية وتازربو، والقفرة<sup>(١)</sup> (جالو وأوجله). أما قبائل الخطمان والزوائد والجعافرة والمقارحة والقذاففة فلهم مجموعات في النiger وتشارد مع ان مراكز تواجدهم في ليبيا.

هذا لم يكن هناك فاصل بين الشعب في منطقة الصحراء الكبرى وكان الناس ينتقلون حسب أهوائهم وحسب معيشة حيواناتهم يطلبون الماء والمراعي دون فواصل.

(١) - القفرة: ماخوذة من القفار حرفت أخيراً إلى الكفرة.

وهذا من الإجحاف أن نفصل جهاد شعب من شعوب هذه المنطقة عن جهاد الشعب الآخر بل من المستحيل أن نفصله.

وكان جميع سكان المنطقة يهربون للجهاد إليها وجد يقاتلون دفاعاً عن الدين الإسلامي في الشمال أو في الجنوب.

وهذا عندما بدأ الفرنسيون في تغلغلهم في الصحراء الكبرى اصطدموا بهذه المجموعات من الليبيين عرباً وتوارق ومن التشاديين والنيجيريين والماليين وخاصة مجموعات الشمال.

وكانت قيادات الجهاد ضد الفرنسيين في الصحراء الكبرى أغلبها من الليبيين وبعض التوارق الذين تربطهم بالليبيين صلات وثيقة.

## ثورة فهرون بن الأنصار 1916

بدأ الليبيون يرسلون الرسل إلى بلاد الصحراء ويفرضون شعبها على الثورة متخدلين من شخصيات صحراوية مفاتيح وصوّلهم للصحراء.

ولما كان محمد كاوشن أحد هؤلاء الرجال المبرزين من توارق الصحراء وهو على علاقة وطيدة مع الحركة السنوسية بل هو أحد أتباعها إذ خاض معارك (بئر العلاي) و(قررو) مع الليبيين وانسحب معهم إلى ليبيا. بدأ هذا الرجل يرسل الرسائل إلى شيخ وسلطانين الصحراء يعلمهم بأن السلطان العثماني (وهو رمز المسلمين) أعلن الجهاد المقدس ضد الكفار وعليهم أن يثوروا ضدّهم في كل مكان.

وقد وصلت بعض هذه الرسائل إلى فهرون بن الأنصار سلطان (والليمن كل اطراهم).

وعلم الفرنسيون عن طريق جواسيسهم بما يدبره فهرون فقبضوا عليه ووضعوه تحت الحراسة في (قاو) ثم نقلوه إلى (داكار) ثم أعيد إلى (مناكا) قرب مخيمه.

وحاولت فرنسا أن تلجم مع هذا الرجل للحيلة والسياسة فأصدرت مرسوماً يقضي بتعيين (فهرون) ملكاً على التوارق وأعطته من الامتيازات ما يكفل بقاءه مواليًا لفرنسا.

ويقول محمد عبد الرحمن عبد اللطيف:

«ولم يكن فهرون يعرف شيئاً عن هذه الإجراءات، ولكنه كان يخطط في ذلك الوقت للهروب من إقامته الجبرية في (مناكا) للاتصال برجاله وإعلان الحرب ضدّ الفرنسيين. ولما نفذ خطته هاجم الواقع العسكرية الفرنسية في منطقة (مناكا) و(فلنكي) في النيجر

واستولى على ما فيها من السلاح والذخيرة. ومع ذلك فإن الإدارة الفرنسية أرادت تدارك الأمر فأسرعت إليه بنسخة من قرار تعينه ملكاً على بلاد التوارق وذلك بواسطة اثنين من الحراس (قومي) ولكنه أكد تصميمه على مواصلة الجهاد ضد الفرنسيين وأعلن رفضه القاطع لأي قرار يصدر عنهم . . .<sup>(1)</sup>.

وهنا تحركت القوات الفرنسية من (قاو، ونيامي، وزندر، وتنغست) لتطويق ثورة فهرون وإخادها. فاحاطت به هذه القوات في قرية (آضر بوكار) وجرت معركة عنيفة استشهد فيها الكثير من أنصاره أعقبتها مذبحة رهيبة في الأطفال والنساء في تجفيف فهرون. ولكن فهرون انسحب إلى الشمال.

ولسوء حظ الثورة اصطدم أبناء انسحابه بمجموعة من توارق المقار - الأعداء التقليديين لسلطنة (والليمدن كيل اطرام) - كانوا محدين مع الفرنسيين فاشتبك معهم في معركة قُتل أثناءها وهم لا يعرفونه ولكن بعد المعركة وبين الشهداء تعرف عليه من يعرفه وأسرع بإخبار الفرنسيين. وهنا تفرغ الفرنسيون لعادتهم للبطش بالسكان ومزقوا سلطنة (والليمدن كيل اطرام) وقسموها إلى شيوخ تابعين للسلطة الفرنسية مباشرة في [قاو، وتبكتو (من مالي) وتلاييري (من النيجر) ودوري (في بوركينا فاسو)].

وهكذا أخذت ثورة فهرون بن الانصار إلى حين، في الوقت الذي بدأ فيه محمد كاوشن يزحف بقوات المجاهدين من الشمال في اتجاه اقدز تسبقه رسائله للسلاطين مبشرًا إياهم بالنصر المؤكد على النصارى وبعود الألمان الذين سيلاقونه في نيجيريا<sup>(2)</sup>.

(1) - محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق، ص 82 .

(2) -- ساليفو، المصدر السابق.

## الليبيون وإعلان الجهاد المقدس في بلاد التوارق ثورة كاوشن

نظراً لارتباط الشعب في الصحراء الكبرى بعضه بعض انتشر الكثير من الفقهاء الليبيين يؤسسون الزوايا لتعليم وتحفيظ القرآن وأصول الدين بين سكان الصحراء الكبرى من التوارق وغيرهم.

وما أن وصل الغزو الفرنسي إلى مشارف بلاد العرب والتوارق حتى هبّ هؤلاء الفقهاء يحرضون الشعب على الجهاد المقدس وحرب الكفار وعدم الخضوع لهم.

وكان على رأس هؤلاء الفقهاء الشيخ محمد المهدى زعيم الطريقة السنوسية التي انتشرت في شمال أفريقيا وخاصة مناطق برقة قبل ذلك في منتصف القرن التاسع عشر على يد مؤسساها الشيخ محمد بن علي السنوسى<sup>(١)</sup>.

وكان موسى سلطان زندر يساعده الكثير من أتباع الطريقة السنوسية من الليبيين يرفضون الانصياع للكفار ويحاولون صدهم.

ويقول أندرو ساليفو:

«أما موسى الذي رفض أن يقتسم سلطنته مع البعض الأوروبيين فعزم على أن يظل هو السيد الوحيد على هذه البلاد. فإنه صمم على نهب قوافل (كيل أواي) حلفاء

(١) - ولد بمستغانم بالجزائر، وانتقل إلى مكة حيث أسس زاوية هناك على جبل أبي قبيس ثم أسس زاوية البيضاء ببرقة وانتقل للجغوب، وتخلله ابنه المهدى الذي انتشرت الدعوة في عهده إلى شمال تشاد ثم من بعده أحد الشريف الذي قاد الجهاد ضد فرنسا في تشاد وإيطاليا في برقة. انتهت الدعوة السنوسية بقبول إدريس السنوسى التسلیم للعلیان في معاهدة الرجمة 1917 في عواولة لإنهاء الجهاد في ليبيا والذي نصبه الانجليز فيها بعد ملکاً على ليبيا تحمي القراءد الانجليزية والأمريكية حتى قامت ثورة الفاتح من سبتمبر فأثبتت الحكم الملكي العميل وطردت القواعد الأجنبية وكان ذلك بقيادة العقيد معمر القذافي.

الفرنسيين وإظهار غطرسته في علاقته بالكافر. وكان من الطبيعي أن لا يقوم السنوسيون الذين يتمتعون بنفوذ قوي بين رعاياه بأي شيء من أجل تهدئته . . .<sup>(1)</sup>.

وببدأ موسى بالتحرش بالفرنسيين محتمياً بقبيلة (أمزوراك) ومهاجها (كل أواي) كلما ستحت الفرصة لذلك. الأمر الذي جعل هذه القبيلة تتوجه بالوفد تلو الوفد للفرنسيين عارضة خدماتها وجمالها في مقابل تدخل الفرنسيين لقتال موسى.

وبعد المعركة التي خاضها الفرنسيون ضد المجاهد رباح في بحيرة تشاد وسقوطه شهيداً في 10 يوليو 1900 م. قرر الفرنسيون التخلص من موسى فتوجه العريف (بوتهيل) في مائة بندقية بتعلیمات محددة تقول: «يجب أن تتجه إلى (سان أماري) حيث يسكن موسى لالقاء القبض عليه، إذا لم يهاجك هو في الأول وإحضاره إلى زندر. وإذا هاجم فيجب قتلها والرد عليه وبالعمق. واعمل ما في وسعك لمنعه من الهروب. وفي حالة مطاردته فسيكون (كيل أواي) معلم لمساعدتك».

وفي يوم 19 يوليو 1900 نشب معركة غير متكافئة، الأسلحة النارية مع الفرنسيين تقابلها السيف والحراب لدى التوارق.

ويقول العريف بوتهيل:

« . . . فاندلع قتال شديد كان عبارة عن معركة مجاهدة بالأيدي حيث فقدت بنادقنا تفوقها الذي تكتسبه من مداها البعيد لأن أي تارق يُقتل يأتي آخر في مكانه. وبالرغم من القيمة القتالية لدى رجالنا، فإن بوتهيل رأى أنه لا يستطيع أن يقتسم ذلك المكان حيث يضحي موسى بروحه ولا يعبأ بطلقات بنادقنا . . .<sup>(2)</sup> ».

وهكذا استشهد موسى وجماعات كبيرة من قبيلة (أمزوراك) بعد أن قاتلوا بشجاعة فائقة كما شهد بذلك العدو.

وظن الفرنسيون أن موت موسى سينهي المشكلة، ولكنهم فتحوا باباً جديداً لم يتم إلا بعد عدة سنوات وسقوط المئات من القتلى بين الطرفين.

(1) — ساليغو / المصدر السابق. ص 20 ويقول في المा�شن: «وقد تأكد لنا وجود عناصر سنوسية بين الأوساط القرية من موسى عن طريق عدد كبير من رواة الأخبار الذين سألتهم في منطقته نفسها (دمقرق).

(2) — ساليغو / المصدر السابق. ص 29 .

وهكذا اندفعت قبيلة (كيل أواي) تعبّر عن مظاهر الغبطة والامتنان للفرنسيين وأبادت استعدادها لتقديم ما يطلبه الفرنسيون منها. ولكن الحقد أصبح أكثر عمقاً لدى قبائل (أمزوراك) ضدّ الفرنسيين وضدّ قبائل (كيل أواي).

ويقول سالفيو:

«إلا أن الوحشية التي نهبت بها قرية (تان أماري) ساهمت في تعميق العداوة في نفوس قبيلة (أمزوراك) ضدّ الفرنسيين. وقد قُتل موسى، ولكن الرغبة في الانتقام ازدادت بين أتباعه الباقين على قيد الحياة أمثال (خنجر بن طلحة) ابن الأخ الأكبر موسى، يساعدّه عمه (دندا) . . .»<sup>(1)</sup>.

وقد هاجم هؤلاء الرجال قافلة (كيل أواي) قرب (فيديقي) في منطقة (فركا) شمالي (تانوت) في ليلة 16 - 17 يوليو 1901 وانتصروا على (كيل أواي) وغنموا القافلة وفرّ أفرادها إلى زندر للاحتجاء بالفرنسيين. وهبّ الفرنسيون بقواتهم لاختطاع خنجر ودندا ومن معهما. وشعر هؤلاء بالتحرك الفرنسي فاتّهوا بقبائلهم جيّعاً إلى الشرق حيث وصلوا إلى قبائل أولاد سليمان العرب والتّحّمّوا معهم متّفقين مع الليبيين المتّوّجدين في تشاد للقتال ضدّ الفرنسيين ونصرة الدين الإسلامي ضدّ الكفرة. واتّخذوا من كائم شمال نيجيريا مقراً لهم وقد نصبّ الفرنسيون سلاطين جددًا لكلّ من والليمن واقتذ. قاما بمساعدتهم في معاركهم التي يخوضونها ضدّ المجاهدين من العرب والتّوارق المنشرين في مناطق جبال (الأمير شمال النيجر وفي شرقه). ونتيجة للضغط من المهاجرين وعدم استباب الأمن أخلّ الفرنسيون بلدة اقتذ من القوات الفرنسية وتركت بدون ادارة.

وكانت القوافل التي تتوجه للشمال بحسب الملح ثنّه من قبل المجاهدين. وكذلك بعض القوافل التي تأتي من الجنوب تحمل البضائع من كائم<sup>(2)</sup>.

ولم يستطعّ الفرنسيون احتلال اقتذ مرة ثانية، إلا في عام 1906 في 7 يوليون نفس السنة. وقد تمرد بعض أفراد قبيلة (كيل افداي) الذين أقسم سلطانهم الجديد (تميري الويadas) على الإخلاص للفرنسيين دون أن يأخذ الموافقة من قبيلته.

(1) — ساليفو / المصدر السابق، ص 31 .

(2) — انظر ساليفو / المصدر السابق، ص 40 .

كما اعتقل الفرنسيون سلطان (ايكرزن) الحاج موسى في (ايلايت). كما عزلوا السلطان عثمان سلطان اقذر وعيّنوا بدله السلطان ابراهيم الدسوقي ثم عزلوه وعيّنوا بدله السلطان تاقاما الذي انضم لثورة كاوشن فيها بعد.

وقد اتخذت قبائل العرب والتوارق والتبو لهاجمة الفرنسيين. كما هاجموا تجمعات قبيلة (كيل أواي) وانتصروا عليها، وكان المجاهدون بقيادة (الللاف) وهو تباوي أعرج<sup>(1)</sup>.

ويقول ساليفو:

«وفي 31 يوليو 1909 خسر النقيب (بريفوت) أمر مركز بلها مساعدته الملائم (درومارو) في أثناء معركة ضد غزوة قام بها عرب البلاد الطرابلسية والتبو»<sup>(2)</sup>.

ويقول المصدر نفسه:

«وبعد ذلك بثلاثة أشهر استطاع الفرنسيون تفريغ تجمّع من السنوسين<sup>(3)</sup> في (إيمي مدما). وفي 1910 و 1911 جاءت غزوات عديدة من بلاد فزان أيضاً. حتى قام رئيس العرفة (دوز) بالتدخل فدمر غزوة من التبو في شمال (إفروان) وذلك في 4 سبتمبر 1911

وبعد ذلك بأربعة أشهر جاء السنوسيون فنهبوا قرى (دمرقو) قرب حاجيدونا. وبهذا وجد الفرنسيون أنفسهم مطلوبين في جميع الجهات...»<sup>(4)</sup>.

أما عن منطقة شرق تشاد وشمال نيجيريا حيث التجأت قبائل (أمزوراك) وحلفاؤهم بقيادة (خنجر) و (دندا) وقبائل أولاد سليمان والليبيون. فيقول أندر ساليفو:

«إن الأوضاع وخاصة في ناحية الشرق في بلاد كانم وتيسني وبركو، ما زالت سيئة. وبما أن هذه المناطق كانت خارج متناول أيدي الفرنسيين فإنها أصبحت قبل كل شيء

(1) - انظر ساليفو / المصدر السابق. ص 45 .

(2) - انظر ساليفو / المصدر السابق. ص 345 .

(3) - السنوسيون: يعني بهم المؤلف الليبيين. إذ يتوقع أن كل الليبيين هم أنواع الطريقة السنوسية.

(4) - ساليفو / المصدر السابق. ص 47 .

فريسة سهلة للسنوسية . . .<sup>(1)</sup>. أما عن الصدام المسلح وجهاً لوجه بين الليبيين والفرنسيين في تشاد فيقول أندرو ساليفو:

«فقد أقام السنوسيون زاويتهم في بئر العلاي في شمال بلاد كان فحولوها إلى قلعة حصينة، حيث اصطدموا هناك عام 1901 مع الرائد الفرنسي (تيتارت) الذي واجهه (البرانى) قائد الحصن بمقاومة عنيفة . . .»<sup>(2)</sup>.

ويستمر متحدثاً في المصدر نفسه: «إلا أن الوحدات الفرنسية تحكت من الانتصار على السنوسيين. ففي يوم 18 فبراير 1902 سقط حصن بئر العلاي على يد الرائد (تيتارت) وبعد تلك الهزيمة التجأ السنوسيون إلى جهة الشرق فانتشروا في (واديي) و(دارفور) ووصلوا حتى (كوردفان) واندفع بعض العناصر منهم حتى وصل مكة وفي هذه الأيام يوجد أحفاد هؤلاء المهاجرين في منطقة أبše خاصة. وقد رجع إلى بلاده الأصلية . . .»<sup>(3)</sup>. ويستمر (ساليفو أندرود) يروي قصة سقوط بئر العلاي ومحاولة الليبيين استرجاعه من القوات الفرنسية. «وقد حاول السنوسيون عيشاً استرجاع حصن (بئر العلاي) وكانت القوات الأساسية للسنوسيين في منطقة شمال بحيرة تشاد تتكون في الواقع من الطوارق المنشقين في إقليم (دمرقو) بقيادة (خنجر) ابن عم موسى.

وقد كان هؤلاء الطوارق قد أخذوا بسرعة بقبضة إدارة العمليات ضد المستعمرين بمعددين بذلك عرب أولاد سليمان إلى الصف الثاني. ولكنهم لم يوافقوهم على ذلك. فقد تنازع الطوارق والعرب فيما بينهم مما أدى إلى قبول إحدى عشائر أولاد سليمان الخضوع للوصاية الفرنسية وكان ذلك مفاجئاً لخنجر. وقد اتفقت الطوارق على تجمع لقبيلة (ماي عيس) التي خضعت للفرنسيين وهبّ الفرنسيون إلى نجدة محميهم فهزموا الطوارق وقطعوهم إرباً وذلك في 11 أغسطس 1902»<sup>(4)</sup>.

وهنا اتجه معظم المجاهدين للشمال ووصل بعضهم (واديي) و(دارفور) و(أبše) وبقيت مناورات صغيرة تقوم بين الحين والآخر مع الفرنسيين وأتباعهم. وكان ضمن

(1) - ساليفو / المصدر السابق، ص 48 .

(2) - اندرود ساليفو / كاوصن والثورة السنوسية، نشر المركز النيجيري للبحوث في العلوم الإنسانية، نامي 1973 . ترجمة / محمد عبد الرحمن عبد اللطيف، خطوط مكتبة المؤلف، ص 13 .

(3) - اندرود ساليفو / المصدر السابق، ص 13

(4) - اندرود ساليفو / المصدر السابق، ص 13

هؤلاء المتجهين للشمال (كاوصن) الذي جرح في رجله في معركة بئر العلاي<sup>(1)</sup>. حيث اتجه إلى الشرق فوصل إلى غرب السودان (دارفور) ثم إلى الشمال فوصل إلى القفرة (زاوية القفرة) وانضم إلى زملائه في الجهاد. وكما أورد محمد عبد الرحمن عبد اللطيف تلقى مزيداً من التوجيه والتدريب ثم اشتراك في معارك الجهاد الليبي ضد الطليان في مناطق جنوب ليبيا (فزان) فشارك في معارك مرزق. وأوباري 1914 ثم عينه عابد السنوسى مشلاً له في الجفرة (هون، سوكنه، ودان) فبقي هناك قرابة ثلاثة أشهر في عام 1915<sup>(2)</sup>. وفي بداية عام 1916 انطلقت حملتان عسكريةان من الجنوب الليبي نحو مناطق النفوذ الفرنسي.

**الأولى:** بقيادة السلطان آمود سلطان آزر الذي سبق للفرنسيين أن طردوه من جانت واحتلوها عام 1908 وقد تمكنت هذه الحملة - وجميع رجالها من الليبيين عرباً وتوارق - من أن تستولي على جانت وتأسر 440 جندياً سعفانياً مع الفرنسيين وتقتل أمير الحامية وكذلك المبشر الفرنسي (شارل دي فوكو) «الذي عمل على إحياء التراث الثقافي الطرارقي مستهدفاً بذلك القضاء على الإسلام ونشر المسيحية وتنصير الطوارق بدله..»<sup>(3)</sup>.

**والثانية:** - وهي محل حديثنا - فلقد انطلقت من جنوب ليبيا من بلدة (واو) بقيادة محمد كاوشن. وجل رجالها من الليبيين العرب والتوارق متوجهة إلى النiger.

ويقول أندره ساليغو عن هذه الحملة:

«فقد أجبر الغضب السنوسى<sup>(4)</sup> الإيطاليين على إخلاء فزان وسحب حامياتهم من كل من غات وغدامس. فأصبح الوضع خطيراً مما جعل فرنسا تبعث جزءاً من وحداتها الصحراوية إلى الحدود الليبية في شهر ديسمبر 1914 لضمان سلامه وأمن الأراضي التابعة لها، وذلك لأن السنوسين لم يكونوا يتراهمون مع الفرنسيين أكثر من الإيطاليين. فسيعملون على تحريض المجانة من الشعاعبا الذين يشتغلون في الوحدات الفرنسية على الهروب من الجيش. وعلى تحريض قبائل الطوارق على التمرد ضد سلطة الكفار

(1) - انظر محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق، ص 83 .

(2) - انظر محمد سعيد القشاط / معارك الدفاع عن الجبل الغربي.

(3) - انظر محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / المصدر السابق، ص 84 .

(4) - يتحدث هنا عن ثورة الليبيين عام 1915 وطرد الطليان من فزان ظاناً أن ذلك من فعل السنوسين فقط.

وحكّمهم. ففي عام 1916 أُجبر السنوسيون الفرنسيين على الانسحاب من بلدة (جانت) التي كانوا قد احتلوها منذ ستين. وفي نهاية هذه السنة قتل السنوسيون الراهب (دي فوكو) في غنفست 2 ديسمبر 1916 ونهبوا المباني الثقافية في الكدية. وباختصار ومنذ عام 1914 فإن الغضب السنوسي<sup>(1)</sup> قد انفجر بشكل حقيقي في المناطق الصحراوية . . .»<sup>(2)</sup>.

انطلقت الحملة الثانية بقيادة محمد كاوشن نحو النيجر ينضوي تحت لوائها مئات من رجال القبائل في جنوب ليبيا. توارق، مغاربة، زوية، أولاد سليمان، حساونة وغيرهم من قبائل الجنوب الليبي متوجهة نحو أقدار. ولما وصل كاوشن بحملته قرب المدينة (أقدار) فُفلت أبوابها في وجهه وتحصنت بداخل حصنها الخامنة الفرنسية المتواجدة بالمدينة.

وهنا نصب مدافعه باتجاه أسوارها وحاصرها وانتشرت قواته في الصحراء تطارد وتبطش بالفرنسيين وأعوانهم من سكان المنطقة وتنهب قوافل التوارق السائرة في حماية الفرنسيين.

وخرج السلطان عبد الرحمن تاقاماً سلطاناً (أقدار) وانضم للمجاهدين، كما انضم إليهم الشيخ الخورير شيخ والليمدن (طاوه) بكثير من رعاياه.

وقد استطاع كاوشن أن يستحوذ على قافلة لتوارق المقار تحمل الحبوب لبلاد الموسا، واتخذ منها كاوشن وسيلة للضغط على سلطان المقار (موسى أقا أما سلطان) لينضم إلى الثورة ضد الفرنسيين. بالرغم من أن موسى هذا قطع أشواطاً في التأييد للفرنسيين كبيرة.

وفعلاً أضطر موسى للاتصال بـ كاوشن ووعده أنه سيقطع علاقته بالفرنسيين فأفرج كاوشن عن القافلة وأبقى (موسى أقا أما سلطان) معه في بلاد الأثير ومنعه من العودة إلى بلاد المقار<sup>(3)</sup> ولكن هذا هرب والتحق ببلاده.

(1) — إعلان الجهاد في ليبيا لم يكن جميـعـاً بأمر السنوسيـن ولا بـادارـتهم ولوـاـنـ بعضـ مشـاـيخـ الروـاياـ سـاـهـمـواـ فـيـ التـحـريـضـ عـلـىـ الجـهـادـ فـيـ مـنـاطـقـ بـرـقةـ وـالـقـفـرةـ.

(2) — سـالـيفـوـ /ـ المـصـدرـ السـابـقـ.ـ صـ 14ـ .

(3) — انـظـرـ مـحـمـدـ عـبـدـ الرـحـمـنـ عـبـدـ اللـطـيفـ،ـ المـصـدرـ السـابـقـ.



## حصار أقذ

13 ديسمبر 1916 — 3 مارس 1917

يتحدث أندرو ساليفو عن حصار أقذ وكيفية التي تم بها متخذًا من المصادر الفرنسية دليلاً له. ومن أقوال شهود العيان الذين عايشوا هذه الثورة والتقى بهم ساليفو أثناء تجواله لتأليف هذا الكتاب.

يقول ساليفو:

«كان السنوسيون قد قسموا قواتهم إلى قسمين. أحدهما يقوده (أغالي) فتوجه به أولًا إلى أقذ والأخر كان قد وضع مباشرة تحت أوامر كاوشن نفسه وقد وصل المتمردون إلى أقذ في سرية مطلقة. فلم يلاحظ الملازم (فونس) الذي كان يقوم بدورية في شمال المركز مرور أية حركة».

وكان السنوسيون قد دخلوا أقذ ليلة 12 - 13 ديسمبر 1916 فبدأوا بالعمل فوراً دون إضاعة الوقت وكان من بين من وقعوا ضحية لبداية هجومهم الحاج محمد علان والفلاتي سامبو مترجم المركز الفرنسي . . .<sup>(1)</sup>. ويقول النقيب (ساباتي) أمر الفرقـة الفرنسـية في أقـذ:

«وفي 13 ديسمبر 1916 في حوالي الساعة السادسة وصل النبا الأليم إلى المركز عن طريق زوجة المترجم (سامبا) التي جاءت من المدينة شبه عارية في حالة رعب وفزع شديد فأخبرتنا عن مقتل زوجها. فقالت إن رجال كاوشن قد فرضوا سيطرتهم على المدينة منذ الساعة الثانية صباحاً. وبعد ذلك بدقائق انهال إطلاق نار مكثف كان قد بدأ في مجرى واد صغير يفصل المدينة عن المركز. فقد تم بتراسق منظم نفذه أناس مدربون

(1) — اندرو ساليفو / المصدر السابق، ص 77

بشكل جيد. فأمرت على الفور بإدخال كل الناس الرماة وزوجاتهم داخل الموقع المحروس. وأعطيت الأوامر برفع كل النقود والأسلحة والذخيرة الموجودة خارج الحصن ونقلها إلى الموقع المحروس. وقامت بتغطية هذه العمليات بإطلاق نيران المدفع الرشاشة على المهاجمين. واستطاعت بذلك أن تمنعهم من التقدم. وبالتفصيل كان عندي مدفعتان رشاشة ولكن ليس لدى عناصر مدربة على تشغيلهما<sup>(١)</sup>.

ويقول ساليفو في كتابه المذكور: إن كاوصن لما وصل إلى (أقدز) سكن في قصربني خصيصاً من أجله. أي أنه كان مسيطرًا على المدينة ومطمئناً لدرجة أنه كلف العمال ببناء قصر له واستطاع أن يتمه في مدة قصيرة.

ولم يكتفى كاوصن بأقدز وإنما بدأ في إرسال الدوريات لللاقة الدوريات الفرنسية والاصطدام بها وسحقها إذ نجده قد أرسل يوم 26 ديسمبر مجموعة من المجاهدين التلقوا بدورية فرنسية يقودها الملازم (سودان) فسحقوها بما فيها الملازم الذي قتل في المعركة.

كما نصبت قوات كاوصن كميناً لقافلة محروسة بالفرنسيين في (شين تبوراق) في 28 ديسمبر حيث قتلت ستين (٦٠) قتيلاً من بينهم الملازم (ديفو) والطبيب العسكري (راينود) والعريف (موريل) والعريف (قازان)<sup>(٢)</sup>. وسقط في أيدي المجاهدين ستة أسرى من الوطنيين أعدموا بعد المعركة.

كما ضيق كاوصن الخصار حول قلعة أقدز حيث يحتمي الفرنسيون، وكان يطرها بوابل من النيران كل يوم من مدافعه وبنادقه.

وتحرك التوارق من كل السلطانات وخاصة شمال النيجر يؤيدون كاوصن بصفته الرجل المنتصر للإسلام.

وقام الفرنسيون بإرسال نجادات لفك الخصار عن (أقدز) واصطدمت مقدمة هذه النجادات بقوات كاوصن في (آضر بيسنث) في 21 فبراير 1917 حيث دامت المعركة يومين خسر فيها الفرنسيون الكثير من رجالهم.

(١) — ساليفو / المصدر السابق. ص 89 - 90 .

(٢) — ساليفو / المصدر السابق. ص 85 .

ولما شعر المجاهدون بتقدم القوات الفرنسية والمعاونين معها من توارق المغارب بقيادة العقيد (موران) رفعوا الحصار وانسحبوا خارج المدينة. وقد تحركت القوات الفرنسية من السنغال وتشاد وطابوه، والمغارب ترافقهم جموع توارق المغارب بقيادة سلطانهم (موسى إف أما سلطان) الذي تحايل على كاوشن وفر منه وانضم للعدو.

وفي محاولة من الفرنسيين لدرء الخطر من مثل هذه الثورة صدر قرار من وزير المستعمرات ووزير الحرب الفرنسيين (يقضي بإنشاء منطقة صحراوية تتبع من وجهة النظر العسكرية قيادة عليا للأقاليم الصحراوية) وذلك في 12 يناير 1917 لتعطي أقاليم الواحات في الجنوب الجزائري والجنوب التونسي بالإضافة إلى تخوم الصحراء في مناطق تينبكتو وطاوه وأقدز وبليها وزوار<sup>(١)</sup>. حكمها عسكرياً مباشرة.

ودخل الفرنسيون أقدز ليتركبوا مذابح كبيرة ضد الوطنيين المسلمين وكان أكثر ما يقرز النفس اقتحام مسجد المدينة وإخراج الفقهاء من داخله وقطع رؤوسهم بالسيوف والفتور.

ولندع أحد شهود العيان الذي شاهد (بطولة الفرنسيين) على السكان الآمنين في منطقة (إنقال) يتتحدث: «كان ذلك الشخص هو (اكتيليك بن طابيه) من قبيلة (إكمين) قال:

«كان عمري يتراوح بين 20 إلى 21 سنة عند قيام ثورة كاوشن، وكانت بلاد آير كلها تقريباً قد ردت بالإيجاب على دعوة الزعيم المتمرد. ولكن كان جيش كاوشن قد أبيب بمجرد الهجوم المضاد الذي شنه عليه الفرنسيون. وقد فهم أهل آير أن الأوروبيين ما زالوا متغرين. ولذلك قرروا الانحياز إليهم وإلى جانبهم. وكانت قبيلتي قد تشردت أمام زحف الوحدات الفرنسية فتاه أهلها في البلاد من شرقها إلى غربها مثل الحيوانات الشاردة. وقد ذهبت (أمّي) (هوماً) إلى جهة الغرب وقد التقى قبيلة (اكميان) فاتهموني بالمشاركة في الثورة وحكم علينا أوروبي يدعى (بورجيس) بالاعدام في إنقال وجعلنا على مسافة عشرين قدمًا من مكان المركز الإداري الحالي فطلب أحد الطوارق (كيل افدي) يدعى ( بشا ) من (بورجيس) أن يغفو عن الشبان الصغار في مثل ستي ثم

(١) - ساليفو / المصدر السابق. ص 107 .

أعطي في حضوري الأمر لجنوده بالبدء في اعدام الناس بالحراب والفتؤ وس (كوب. كوب) فسقط أخواي وأعمامي أمام عيني بواسطة حربة تخترق أجسادهم وتبقى الرؤوس معلقة على الجثث بخيط رفيع من اللحم أو الجلد لأنه لم يتم قطعه. ولم تعد أمي من جهة الغرب إلا في عام 1919 فقد حصل لي معها المشهد نفسه الذي شاهدته مع أعمامي وأخواي ، لأنها عندما رأتني أخذتها المفاجأة والدهشة وطلت تبكي وتنتصب حتى سقطت جثة هامدة...»<sup>(1)</sup>.

ولكن هذا المشهد وأمثاله لم ينه مشكلة الثورة في الصحراء. فلا تزال طلائع كاوشن وأعوانه من الليبيين يجوبون الصحراء الشهالية ويوقعون بالفرنسيين وأعوانهم الخسائر. وانسحب كاوشن وعبد الرحمن تاقاماً والخورير إلى الشمال مع مؤيديهم من توارق المنطقة وعرب ليبيا واندفعت القوات الفرنسية تطاردهم بعد أن نقص زادهم وذخيرتهم لأن الظروف في ليبيا التي كانت تدعمهم تغيرت وانسحبت تركيا مرة أخرى مهزومة من ليبيا في نهاية الحرب العالمية الأولى.

وفي يوم 31 مارس 1917 التقت القوات الفرنسية باثنين من العرب من أنصار كاوشن فقتلت أحدهما ووجدت في جيده مجموعة من الأوسمة والياشين لضباط فرنسيين قتلى. وكان القتيل يدعى محمد سلطان بن صلاح شاب طرابلسي غني جداً<sup>(2)</sup>.

كما بدأ الفرنسيون يستافقون كل ما يجدونه من الحيوانات من القبائل التي يرون بها في طريقهم في محاولة لتجويع سكان المنطقة وإبادتهم.

وفي يوم 13 أبريل 1917 نشببت معركة بين الفرنسيين ومجموعة صغيرة بقيادة السلطان عبد الرحمن تقامه في منطقة (بقرن). وحسب رواية الرواة أن السلطان تقامه كان وحده مع مجموعة صغيرة في ذلك الممر الضيق.

وبدأت القوات الفرنسية بالتجمع من مختلف المناطق لتطويق المجموعة الصغيرة. واستمرت المعركة حامية الوطيس طوال اليوم وانسحب المجاهدون دون خسائر كبيرة

(1) - اندر و ساليفو / المصدر السابق. ص 110 - 111 .

(2) - انظر اندر و ساليفو

10 عشرة قتلى حسب الرواية الفرنسية وسقط من الفرنسيين 7 سبعة قتلى و 10 عشرة جرحى كما نشط (موسى إق اما سلطان) سلطان الهقار بمهاجمة قبائل (ايكرزكزن) قبائل كاوصن . ولكن كاوصن اصطدم معهم وقتل منهم عدّة أشخاص وأسر مجموعة أخرى .

وتفوقت مجموعات كاوصن في الصحراء وبدأت تشن الغارات على الفرنسيين . «في ليلة 11 - 12 يونيو 1917 هاجم الشوار قافلة قادمة للفرنسيين من طاوه فقتلوا ضمن القتلى الملازم (بروارد) أمر الفصيل .

كما أن السلطان آمود اتخذ من جانت نقطة انطلاق لقواته وبدأ بهاجم القوافل الفرنسية ما بين (ورقلة) و (عين صالح) .

وبدأت الأخبار تصل للفرنسيين عن نقص ذخائر كاوصن وان قبائل (ايكرزكزن ، إفوغاس ، إزغران ، كل أغاروس ، إكدالن ، العرب ، كل اندائي ، قليل من المقار ، قليل من والليمدن) ظلت مخلصة لكاوصن .

وفي يوم 13 يوليو 1917 وقعت معركة كبيرة بين الشوار والفرنسيين الذين كانوا يفوقونهم عدداً وعدة واستمرت طوال اليوم في موقع (ميسين) ولم يستطع الفرنسيون تطويق المجاهدين وإبادتهم . وتقول المصادر الفرنسية وهي معهودة ببالغاتها إن المجاهدين تركوا على أرض المعركة 70 سبعين قتيلاً ومجموعة من الأسلحة . وانسحب كاوصن إلى جبال الآيير الوعرة متّخذًا من حرب العصابات استراتيجية جديدة . واستطاع أن يجمع مجموعات من التوارق الذين ظلوا مخلصين له .

وبدأ نقص الغذاء واضحاً لدى مجموعات كاوصن ولم تصله الإمدادات المنتظرة من ليبيا لتغيير الأحوال السياسية فيها عقب الحرب الأولى .

وفي ليلة 28 - 29 أغسطس 1917 أنزل كاوصن هزيمة ساحقة بالفرنسيين قرب (قولوسكي) 40 كم شرق (تانوت) . وفي الليلة نفسها هاجمت مجموعة أخرى من مجاهدي كاوصن القوات الفرنسية في قريتي (دوما ماري) و (تقارت) فاستولت على كميات من الذخائر .

وفي 29 أغسطس في وضع النهار هاجمت هذه الغزوة مفرزة فرنسية يقودها الملازم

(بالي) والأوجдан (البيروت) فأنزلت بها هزيمة ساحقة ولم ينج من رجالها إلا ثلاثة من الرماة والأوجدان الذي فرّ من المعركة من ضمن ستين جندياً منهم 32 من المجاهنة<sup>(١)</sup>.

وفي شهر سبتمبر 1917 سيطر كاوشن على الأدغال الواقعة بين (دمشق) و(الاكواس). وكثُفَّ الفرنسيون إرسال فرقهم لتمشيط المناطق والقبض على الوطنين لأخبارهم عن موقع كاوشن الذي قسم مجموعته إلى ثلاثة أقسام:

- (أ) - قسم يقوده هو شخصياً.
- (ب) - قسم يقوده السلطان عبد الرحمن تاقمه.
- (ج) - قسم يقوده المختار كودوكو أحد مشايخ ايكركزن.

وكانت الصدامات دائمة ومستمرة بين قوات كاوشن المنسحبة إلى الشمال والقوات الفرنسية وأتباعها من الخونة التي تطارد المجاهدين للقضاء عليهم مستغلة نقص ذخائرهم وقوتهم. وكان كاوشن يعرقل تقدم الفرنسيين بهجمات صغيرة وموفقة كلما ستحت الفرصة له.

وكان (موسى اق اما سلطان) سلطان المقار يقود مجموعاته تحت امرة الفرنسيين يطارد معهم كاوشن. ويصفّي حساباته القديمة ويثار لقتل شقيقه من قبل جماعة سلطنة (والليمدن كل اطراط) الذين قتلوا في إحدى الغارات بين المقار و والليمدن. وصار بمجموعاته المرزعة في الصحراء يتتجسس للفرنسيين وينقل لهم تحركات كاوشن. وصار يصطدم مع قوات كاوشن بمجموعاته المسلحة بالأسلحة الفرنسية، ونهب للمجاهدين قافلة تموين كانوا يتظرونها لتحل لهم مشكلة نقص التموين.

وفي 25 من مارس 1918 استطاع كاوشن الخروج بصعوبة من معسكره عندما هاجمه (موسى اق اما سلطان) والفرنسيون بأمرة الملازم (نيدليلك).

وأمام المطاردة المضنية ونقص التموين والذخائر قرر الزعماء الافتراق في مكان يدعى (تقارت) في واحة (فاش) فتوجه مختار كودوكو إلى واحة (سيكيدن) و(يات) في الشمال

(١) - انظر ساليفو / المصدر السابق. ص 132 .

الشرقي. أما سلطان التوارق والليمني في (طاوه) فتوجه إلى (غات). أما عبد الرحمن تقامه وكاوشن فاتجها إلى تبستي ومعهما شيخ الزاوية السنوسية (عبد السلام فريبيش) واستقروا في تبستي مع التبر وبدأوا يرسلون الغارات إلى (كوار) و(جادوا) و(سيكدين).

وفي نهاية شهر يوليو 1918 غادر كاوشن وتقامه ومعهما كل التوارق الثائرين (زوار) إلى (بردابي) ومنها دخلاً إلى ليبيا ليجدوا الأمور قد تغيرت وأصبح خليفة الزاوي متصرفاً لمزق وكان على خلاف مع السنوسيين حيث نشب معارك بينه وبين عابد السنوسي من أجل الصراع على السلطة في فزان. وُقتل في هذه المعارك (علي الأشهب) حال عابد السنوسي.

وهنا هاجمها خليفة الزاوي في واحة «تحرّه» بالقرب من القطرون ووصل كاوشن بصعوبة إلى (واو) حيث يقيم عابد السنوسي الذي بدأ هو الآخر يلطف الجو بينه وبين الفرنسيين إثر هزائمه في فزان على يد خليفة الزاوي.

ومن واو رجع كاوشن بشيء من الدعم والسلاح والذخيرة ولكن في واحة (أم العظام) هاجمه أحد العياط وبعض أولاد بوسيف والمشاشية وقتله بعد أن قبض عليه أسيراً بسبب المعاملة السيئة التي تلقاها أفراد من أولاد بوسيف عام 1915 على يد كاوشن الذي قام بقطع آذانهم لأنهم - على حد رأيه - لا يسمعون لكلام السيد (السنوسي الكبير).

وهكذا انتهت حياة هذا الرجل الثائر المجاهد بسبب عدم التنسيق، والمعارك الجانبيّة والثارات الشخصية التي قضت على الكثير من رجالات الوطن وأذكي المستعمرون نارها في من كل الصحراء الكبرى ولبيا<sup>(1)</sup>.

ولكن عبد الرحمن تقامه وصديقه الخرير بعد هذه الكارثة غادراً ليبيا عائدين إلى النيجر حيث توفي الخرير في الطريق بسبب مطاردة خليفة الزاوي لها والقبض عليه ملقى في الصحراء من جراء العطش الذي قضى على الكثير من رجاله<sup>(2)</sup>.

(1) - انظر معارك الدفاع عن الجبل الغربي للمؤلف.

(2) - محمد سعيد القشاط / معارك الدفاع عن الجبل الغربي.

أما عبد الرحمن فقد واصل رحلته إلى الداخل. وسمع الفرنسيون بدخوله للنيجر فجهزوا حملة لتبقيه والقبض عليه أو قتله هو ومن معه. وسلوا أمامه المنافذ والطرق مستعينين بخبراء الطرق من سكان المنطقة الذين انقلبوا لتأييد المنتصر كعادة معظم البشر.

وكانت مجموعة عبد الرحمن في حالة باشة من التعب وقلة التموين وقلة الذخيرة، ونقص الجمال للركوب. إذ إن معظم الجمال احتاجوا للذبحها وأكلها.

وفي (ادريونا) شرقى (داوتنى) في يوم 7 مايو 1919 نشببت معركة بين الفريقين غير متكافئة سقط فيها عبد الرحمن تاقمه أسيراً في يد الفرنسيين بعد أن نفذت ذخيرته وقتل كل رجاله وأثناء استجوابه رد السلطان تاقمه قائلاً:

«إن رجالى عشرة رجال لم يبق منهم إلا واحد فقط هو رجل من الشعانبى كان قد خرج للصيد قبل وصولكم ومن (كيل أواي) بقى (فونا) وأثنان من رجاله ورجل واحد من لايكزكزن وهذا كل ما بقى...»<sup>(1)</sup>.

وهكذا تبين أن القوات الفرنسية بقتلها وقضيضاها وجواسيسها وخونتها كانت تطارد عشرة رجال من الشاعربين وهم كل من بقى من ثورة كاواصن في الصحراء الكبرى يحملون السلاح تحت قيادة تاقمه.

ووصل في يوم 24 أغسطس 1919 السلطان عبد الرحمن تاقمه إلى (زندر) مقيداً بالسلاسل حيث أودع السجن في انتظار محاكمته.

لكن النقيب الفرنسي (فيديالى) أمر المعسكر تسلل ليلاً إلى سجن عبد الرحمن تاقمه وخنقه حتى مات وأعلن أنه انتحر. وكان ذلك في ليلة 29 - 30 أبريل 1920.

وقد جاء في تقرير الطبيب العسكري الفرنسي الذي شرح الجثة (سوشارو) أن تاقمه مات محنقاً وليس منتحرًا<sup>(2)</sup>.

(1) — اندر و ساليفو / المصدر السابق، ص 164 .

(2) — اندر و ساليفو / المصدر السابق وبه تفاصيل القتل.

انظر التقرير عن مقتل تاقمه (ليفيفر) 9 أغسطس 1920 ص 109 / الملف 11 ج 19 داكار.

ولم يبق من الفرسان الثلاثة في الصحراء الكبرى إلا (المختار كودوكو) الذي التجأ إلى شيخ (التبور) (كيتي) والذي كان جشعًا يطالبه بشمن الضيافة وبأسعار غالبة. فقرر المختار مع حوالي عشرة من أصحابه التوجه إلى (القرفة) بليبيا. ولكن الفرنسيين فاجاؤهم بالهجوم وأعلنوا أنهم سيعطون للتبور مكافأة كبيرة إذا سلموا لهم المختار وكان ذلك الهجوم يوم 2 مارس 1920

ولكن المختار وجماعته افلتوا من الحصار ومن التبور حيث انسحب بجماعته إلى (زمري) حيث التقى (بعد السلام قريبيش) و(فونا) و(حسن) صهر (ماي شقامي) أحد شيوخ التبور.

ولكن شيخ التبور (ماي شقامي) قرر الغدر بالمجاهدين ليتلقي مكافأة الفرنسيين فحضر مجموعة من جماعته برئاسة أحد هم ويدعى (شوكي) الذي سار مع المجاهدين حتى وصل بهم إلى مكان صعب وهنا غدروا بهم وقتلوهم (المختار كودوكو وبسبعة من رجاله) في مكان يدعى (سعد) وتمكن ثلاثة من أصحاب المختار من الوصول إلى (القرفة) برفقة (فونا).

ونقدم (شقامي) مغتبطاً للفرنسيين وقدم لهم ثلاثة أسرى من التوارق كانوا جيرانه وفي حياته وبندقية المختار كودوكو وختمه. وأرسل بهذه الأشياء جميعاً (نجله).

وهكذا سقط آخر قادة الجهاد في الصحراء الكبرى - مع الأسف - على يد المسلمين الذين ثاروا من أجل حياة دينهم وتحرير أرضهم. كما استسلم (الغمارت) أحد قادة الجهاد في منطقة التوارق وباستسلامه انتهى آخر زعماء الثورة التارقية الليبية في بلاد الصحراء.

وقد استمرت هذه الثورة العارمة التي اشتعلت فيها كل الصحراء الكبرى قرابة الخمس سنوات وتركت بصماتها على الصحراء إلى وقتنا هذا.

فلقد قام الفرنسيون بعد اخراجها بذابح شنيعة ضد الوطنيين وخاصة التوارق. وتشريد العائلات ونفيها من أماكن سكنها إلى مناطق أخرى. ولقد التقيت بالكثير من الذين شردوا من أماكنهم وسيقوا مع عائلاتهم من قبل الفرنسيين وبعضهم يعيش الآن في ليبيا يروى ذكريات ذلك التشريد والقتل والنفي والمذابح الجماعية التي ارتكبها

الفرنسيون في حق الشعب الصحراوي<sup>(١)</sup>. وقام الفرنسيون بتمزيق السلطانات التارقية وإعطاء الشايح الذين عينوهم من مؤيديهم اختصاصات السلطانين، على أن يكونوا مسؤوّلين أمام السلطات الفرنسية.

ولقد قسمت - على سبيل المثال - سلطنة (تكريكريت) (طاوه) إلى ثمانى مجموعات وزيدت لها أخيراً مجموعة تاسعة. وذلك في محاولة للحلولة بين القيادات التقليدية والولاء الشعبي لها حتى لا تقوم ثورات أخرى ضد الاستعمار الفرنسي في المنطقة.

وكان حكم الفرنسيين للصحراء عامه، وللتوارق والعرب خاصة حكماً قمعياً لا وجود فيه للثقة بين الفرنسيين والتوارق. وعامل الفرنسيون مستعمريهم الجدد بكثير من العسف والاضطهاد. وضغطوا عليهم كثيراً لاجبارهم على التنصير ودفعوا بوجات من الرهبان والمبشرين إلى أرض التوارق لتنصيرهم وردهم عن دينهم. وشوّهوا حقيقتهم وكتبوا عنهم بكثير من الحقد والازدراء والتشويه والطعن في أصولهم العربية ليحولوا بينهم وبين أمتهم العربية في الشمال. وليقتطعوا بهم منها، وخلقوها لهم تاريخياً مزيفاً ملئت سطوره بالشك والبغض بين التوارق وآخوانهم العرب في محاولة من الفرنسيين لتمزيق الأمة العربية، وأخوة الدين الإسلامي.

وقد قابلتهم التوارق برفض عنيد. فمقاطعوا مدارسهم وأفتقى عليهم هم أن من يضع ابنه في مدرسة للنصارى فهو كافر كما قاطعوا مذهبهم. وانفردوا بعيداً في صحرائهم في إباء وشمم متمسكين أكثر من أي وقت مضى بدينهما وانتهائهما الصنهاجي العربي. وانك لتجد شيخ التوارق يحملون في جيوبهم شجرة نسبهم العربي يرونها لأولادهم وينسخونها لأحفادهم. وقد وجدت الكثير من هذه الأوراق تحفظ بها الأسر التارقية عند تجوالي في بلاد التوارق (الصحراء الكبرى).

---

(١) - يتواجد بعض الشيوخ في منطقة فزان وكل ذلك بني غازي. والتفيت بعجز تدعى لاظمة التقااطية كانت مع اسرتها صغيرة حين ساقها الفرنسيون متفقة إلى نيمسي.

الباب العاشر

مشاهير الثوارق في التاريخ



رأيت أن أتناول في هذا الباب عرضاً موجزاً لمشاهير التوارق في التاريخ (وأقصد به التاريخ الإسلامي) لأننا لم يصل إلى أيدينا تاريخ البارزين منهم وأسماؤهم قبل الإسلام.

ورأيت أن أرتّب الأسماء حسب العهود وليس حسب الأبعجية كما هو معروف في ترتيب مثل هذه التعريفات.

ولقد وضعت لكل شخصية نبذة من التعريف حسب ما ورد إلينا وما وجدنا في كتب الأولين. وحاولت جاهداً أن أرجع كل حديث إلى مصدره. إذ الغرض من مثل هذه المحاولة هو التعريف بهذا الجمع العربي الإسلامي الذي أهمله العرب والمسلمون في زحمة مشاغلهم واهتماماتهم بالشمال حيث المدن والراحة، وحيث يكون البحث ميسراً وهيناً، وحيث تتوفّر المصادر والوثائق.

أما الصحراء حيث الزعازع والأنواء، وحيث الفجاج الشاسعة فإنها أهملت لفترة طويلة من التاريخ ولم يصل إلينا من تاريخها غير نتف صغيرة لا تروي غليل الباحث المدقق النهم.

لقد وضعت هذه المحاولة للتعرّيف برجالات التوارق على مدى التاريخ وبالرغم من قلة المعلومات التي قد أكون جمعتها حول معظم الشخصيات فإنني أرى أن ضوءاً ولو بسيطاً سلطته على جزء من أمتنا العربية الإسلامية هو جدير بالتّتبع والإحياء. وزيادة البحث والتدقيق حتى لا نترك فرصة لغامز ولا موقع قدم لمشكك - وما أكثرهم في هذا العالم -.

لقد شوّه الفرنسيون تاريخ الصحراء بسردهم للحقائق من جانب نظرتهم الاستعمارية.

وبهذه المحاولة قد أكون وضعت بعض الأمور في نصابها وخطّطت للباحثين الجادين طريقاً للتوسيع في مثل هذه الدراسات.

## **أمراء دولة الملثمين**

- 1 - **تيزا بن والشق**: ملك الصحراء الكبرى، وأخضع ملوك السودان وأدخلهم في طاعته وأخذ منهم الضرائب.
- 2 - **ثبو لوثان**: هو أول ملك صحراوي انتشر صيته وذاعت شهرته في بلاد المغرب. حكم الصحراء الكبرى وخضع له ملوك السودان. وكان له جيش قوي، وكان غنياً ذا ثروة هائلة من الحيوانات وخاصة الإيل وتوفي ثبو لوثان في عام 222 هـ.
- 3 - **يلتان**: قام بتوسيع أمور دولة الملثمين في الصحراء الكبرى إلى أن توفي عام 287 هـ (ويظهر أن الإسلام قد انتشر في عهده كما يظهر من تسمية ابنه تميم).
- 4 - **تميم بن يلتان**: تولى شؤون بلاد الصحراء الكبرى بعد وفاة أبيه إلى أن قُتل في عام 306 هـ في حروب مع القبائل الصنهاجية فتفككت دولة الملثمين بعده ودخلت في فترة انحطاط دام مائة وعشرين سنة.
- 5 - **بروبيان بن واستولى بن يزار**: سيطر على زمام الأمور في الصحراء الكبرى في عهد الخليفة الأموي في الأندلس عبد الرحمن الناصر في القرن الرابع الهجري. وكان له جيش قوي. أخضع ملوك السودان وأخذ منهم المغارم.
- 6 - **أبو عبيدة الله تاشرت بن تيفوت المتنوني**: قام تاشرت بتوحيد بلاد الصحراء الكبرى واجتمعت عليه القبائل الصنهاجية. وكان يتمتع بشعبية واسعة وكان من أهل الدين والصلاح. وقد أدى فريضة الحج وتوفي في إحدى حروبه بعد ثلاثة أعوام من توليه.
- 7 - **يجيبي بن إبراهيم الكدالي**: تولى يجيبي الكدالي ملك الصحراء الكبرى بعد وفاة (تاشرت) فقام بتوثيق الروابط والتحالف بين قبيلته (كdale) وقبيلة صهره (المتنونة)

فتتعاوننا على تقوية دولتها . وكان يحيى قد قام بأداء فريضة الحج عام 440 هـ على رأس عدد من شيوخ القبائل الصنهاجية .

وأثناء عودته زار الفقيه (با عمران الغاسي) ببلاد القيروان . وطلب منه - كما ذكرنا في السابق - إرسال فقيه يعلمهم فرائض دينهم . فمخاطب هذا الفقيه (واجاج بن زلوي) فأرسل معه هذا الأخير الفقيه عبدالله بن ياسين الذي يعتبر واضع الحجر الأساسي لدولة (المرابطين) ومساعدة يحيى بن إبراهيم على تكوين هذه الدولة الفتية .

8 - عبدالله بن ياسين بن بك الجزوبي : تلقى عبدالله تعليمه في بلاد الأندلس وعاش فترة من الزمن في بلاد (تمسنا) عند أمراء برغواطة ، وحاول أن يصلح قبائل مصمودة في جبال الأطلس ولكنه لم يفلح فتركها وتوجه إلى قبيلة جزولة (قبيلته) ليقوم على تعليم أولادها القرآن الكريم . ويقوم بالنصح والإرشاد عند أمير الملشيين (يحيى إبراهيم الكداي) .

وما ان تكاثر عدد مریديه من قبيلة (كدالة) حتى عرض عليهم دعوة اخوتهم من قبيلة (لمونة) .

واندمجت هاتان القبيلتان الكبيرتان في الصحراء الكبرى وراحتا تنشران دعوة الاسلام ومحاربة البدع والخرافات إلى أن توفي الأمير يحيى بن إبراهيم الكداي فتحول إلى خلفه يحيى بن عمر الممتوبي واستمر يدعو الناس ويخرضهم على الجهاد . وانتقل إلى قبائل (برغواطة) ليدعوهم للانضمام لدعوة (المرابطين) ولكنه قتل في معركة وقعت مع خصومه من برغواطة عام 451 هـ . وتولى الإمامة من بعده الفقيه سليمان بن كثرو .

١ - يحيى بن عمر بن تلاكاكين الممتوبي : كان يحيى بن عمر على رأس قبائل لمونة في عهد سلفه يحيى الكداي . وقد تحول إليه الفقيه عبدالله بن ياسين بعد وفاة يحيى بن إبراهيم . وتوترت العلاقات بينه وبين الفقهاء الذين رفضوا أحكامه فعزلوه وطردوه وقطعوا عنده الدعم والمساعدة فاستقبله الأمير يحيى بن عمر أمير قبائل لمونة .

ولتكن أمراً صدر لهذه القبائل من الفقيه (واجاج بن زلوي) الذي أرسل إليهم

عبدالله بأن يحسنوا وقادته ويطيعوا أمره. فعادوا واعتذروا لعبدالله وبدأ بتنظيمهم تحت قيادة يحيى بن عمر.

وببدأ الأمير يحيى بإخضاع قبائل (اصفاغ) وادخالها في الإسلام بعد حروب ضارية ثم تقدم إلى بلاد سجلاسة ودرعة واحتلها وأرغم أميرها (مسعود بن وادونين المغراوي) على الفرار.

وانشغل الأمير يحيى في نزاع بين كdaleة ولتونة اللتين كادت تقع بينهما حرب، فأصلح الأمير بينهما . وفي هذه الأثناء استرجعت مغراوه سجلاسة وقتلوا من فيها من اللتوتين . وانفجرت الحرب بين لتونة وكdaleة من جديد فقتل الأمير يحيى بن عمر فيها سنة 448 هـ . وقيل أنه قتل في أثناء جهاده في نشر الإسلام ببلاد السودان.

10 - أبو بكر بن عمر اللمتونى : قدمه الإمام عبدالله بن ياسين لرئاسة حركة المرابطين بعد وفاة أخيه يحيى بن عمر . وكان أبو بكر في ذلك الوقت يقوم بقيادة جيش المرابطين في درعة وسجلاسة حيث وصل إلى بلاد أغوات عاصمة جبال أطلس 450 هـ وقبائل المصامدة الذين بايعوه بمجهود عبدالله بن ياسين . وفي عام 460 هـ تزوج أبو بكر زينب النفزاوية التي كانت قد قالت «إنه لا يتزوجها إلا من يحكم بلاد المغرب كلها» وكانت امرأة ذات عقل وجمال .

واشتكتى أهل أغوات من كثرة الجيش المرابطي فطلب منهم الأمير أبو بكر تعين مكان له ليشئ فيه عاصمة جديدة . ووقع الاختيار على مكان يقع بين قبيلة هيلانة وقبيلة هزميرة .

حيث أسس مدينة (مراكش) ومعناها بلغة التوارق (مُرْ - وكل ) أي أنها (مدينة الخير تجدها إذا مررت ما تأكل ) عام 462 هـ .

وفي أثناء بداية تشييد البناء وصل إلى أسماع الأمير أبي بكر خبر يفيد اندلاع القتال بين كdaleة ولتونة من جديد . فقرر العودة إلى الصحراء وعين ابن عممه يوسف بن تاشفين نائباً عنه في بلاد المغرب وكان ذلك عام 463 هـ .

وفي عام 465 هـ رجع أبو بكر من الصحراء فوجد أن يوسف بن تاشفين فرض

سيطرته على المغرب وقابله ب الهيئة الملوك. فشق عليه أن يطلب منه التنازل عن الإمارة ، وربما خشي أنه إذا طلب منه ذلك لا يفعله .

فالتقى يوسف مع أبي بكر في مكان خارج المدينة وقدم له الهدايا والخيول والملابس الفاخرة وكذلك لكل من كان معه من النساء .

فجلس أبو بكر مع يوسف وأوصاه باتباع طريق الحق . وعدم الظلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال له ابني وجدت أنه لا يصلح لهذا الأمر غيرك وأنا لا أستطيع الابتعاد عن الصحراء لأن شعبها في حاجة إلي .

ثم أعلن تنازله عن الإمارة له أمام الفقهاء والشيوخ الذين جاءوا على رأس قبائلهم . ورجع أبو بكر للصحراء ، واستمر في مواصلة الكفاح والجهاد ضد الوثنيين من بلاد السودان يقود دولة المرابطين الصحراوية إلى أن استشهد في إحدى المعارك عام 468 هـ .

11 - يوسف بن تاشفين : هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن توركيت اللمنوني الصنهاجي . عينه الأمير أبو بكر بن عمر اللمنوني قائداً لجيش المرابطين في بلاد المغرب عام 461 هـ من أجل إخضاع قبائل زناتة . كما استخلفه على ولاية الدولة عام 463 هـ عندما أراد أبو بكر بن عمر العودة للصحراء .

فاهتم بإقامة مدينة (مراكش) وسير شؤون البلاد على غاية من المحسن والاتزان . وجند أعداداً كبيرة من القبائل المغربية في جيشه .

وفي عام 464 هـ أصدر عملة باسمه خاصة بدولة المرابطين وبدأ في إرسال الجيوش لاخضاع كل بلاد المغرب لحكمه حيث تم له ذلك في عام 466 هـ بعد تسوية أمر الولاية مع ابن عمه أبي بكر بن عمر .

واقتصر عليه كبار دولته ورؤساء القبائل أن يلقب نفسه بلقب ( الخليفة ) أو ( أمير المؤمنين ) ، ولكنه رفض وأعلن أنه تابع للخلافة الإسلامية في بغداد التي يعترف بها ويحكم باسمها في بلاد المغرب ، ولكن شيخ القبائل أحوالها عليه في أن يختار لنفسه لقباً يمتاز به بين النساء ، فاقتصر عليه أن يلقب نفسه بـ ( أمير المسلمين ) . فأمر ولاته وأمناء سره أن يخاطبوه بهذا اللقب .

وفي عام 469 هـ أرسل يوسف جيشاً لفتح مدينة فاس بقيادة يحيى بن واسينو اللمنوني فدخلها بعد معارك دامت أسبوعاً.

كما أرسل قبلها في عام 468 هـ جيشاً لفتح مدينة تلمسان بقيادة مزديل اللمنوني فدخلها بدون مقاومة.

وفي عام 469 هـ قدم إلى بلاد المغرب إبراهيم بن أبي بكر بنية استرجاع ملك أبيه فأرسل إليه يوسف بن تاشفين الأمير مزديل للباحث معه ومعرفة حقيقة أمره. ثم أقنعه مزديل بعدم جدواه واستبعاد فكرة المطالبة بالملك، ونصحه بأن يطلب من يوسف أن يمدء بالمال والهدايا ليرجع بها إلى بلاده وكلم الأمير مزديل يوسف بن تاشفين في هذا الموضوع فأبدى موافقته عليه وأمر بتقديم الأموال لهذا الشاب فشكراً على ذلك وانصرف إلى بلاده دون أن يستقبله يوسف بن تاشفين.

ولقد استطاع يوسف أن يبني قوة عسكرية قوية جعلت ملوك الطوائف في الأندلس يخشون عبورها إليهم واستيلاءها على بلادهم فأرسلوا إلى يوسف بن تاشفين رسالة يقولون فيها:

«أما بعد فإنك إن أعرضت علينا نسبت إلى كرم ولم تنسب إلى عجز. وإن أجبنا داعيك نسبنا إلى عقل ولم تنسب إلى وهم. وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نسبتنا. فاختر لنفسك أكرم نسبتك. فإنك في محل الذي لا يجب أن تُسبق فيه إلى مكرمة. وإن في استيقائك ذوي البيوت ما شئت من دوام لأمرك وثبوته، والسلام..».

فترجمت له الرسالة إلى اللغة التارقية وأمر بالرد عليها بعدم تدخله في شؤونهم الداخلية. وأنه لا يعبر لهم إلا إذا استنجدوا به لحرب النصارى، ففرحوا بذلك وأمنوا جانبه، وتحالفوا معه في حالة تعرضهم لهجدة من ملك الأفونج.

وبدأت مضايقات الأفونج للمسلمين تزداد. فاجتمع رأي معظم ملوك الطوائف على الاستنجاد بالمرابطين قائلاً زعيمهم المعتمد بن عباد قوله الشهيرة «لأن يرعى أبناءنا حال الملثمين أهون علينا من أن يرعوا خنازير الروم».

فعبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس بجيشه العظيم. وانضم إليه ابن عباد بجيشه

حتى التقى مع جيش الافرنج في موقعة (الزلقة) الشهيرة عام 481 هـ التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً ساحقاً وارتفع فيها نجم (المثمرين).

وقد مدح الشعراء يوسف بن تاشفين بطل هذه المعركة الشهيرة ومنهم الشاعر عبد الجليل بن وهبون الذي يمدح يوسف ويغتر ببنسبه الحميري، وكذلك ابن عباد ويغتر ببنسبه إلى قبيلة (لخم) حيث يلتقي البطلان في أروماتهما العربية. وقد سبق نشرها في هذا الكتاب.

رجع يوسف إلى المغرب وترك جزءاً من جيشه في الأندلس تحت امرة سير بن أبي بكر. فقام سير بن أبي بكر بالاستيلاء على دويلات الطوائف وعين أمراء عليها من كبار قادة جيشه وهكذا بدأ المرابطون رحلة جديدة من السيطرة على بلاد الأندلس في عهد يوسف بن تاشفين ودفع الافرنج للوراء زهاء نصف قرن كان المرابطون حماتها ومحضون ثغورها.

وفي يوم الاثنين أول محرم سنة 500 هـ / 2 سبتمبر 1106 مـ. توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مريضاً بعد أن أوصى بولايته لابنه علي.

وقد رثاه الشعراء وتحسر عليه العلماء والفقهاء الذين كان يؤثرهم ويقر بهم ويستشيرهم. ومن رثاه من الشعراء محمد بن سوار الأشيبوني في قصيدة طويلة نورده منها:

عملأً من التقوى يشاررك فيه  
والكل يعقوب بما تطويه  
دين الذي بنفوسنا نفديه  
لم ترض فيها غير ما يرضيه  
خرجت عن التحديد والتتشبيه  
تردى عديد الروم أو تفنيه  
حتم القضاء بكل ما تقضيه  
فكان كل مغيبة تدرية  
في كل ما تُقضيه أو تبديه

ملك الملوك وما تركت لعامل  
يا يوسف ما أنت إلا يوسف  
اسمع أمير المسلمين وناصر الله  
جوزيت خيراً من رعيتك التي  
اما مساعدك الكرام فإنها  
في كل عام غزوة مبرورة  
تصل الجهاد إلى الجهاد موفقاً  
ونجي ما دبرته كنجي  
متواضعاً لله ماضها دينه

ملك الملوك الأجر بالتمويم  
 فعلت سيفوك لم تكن تحصيه  
 جمعت خصال الخلق أجمع فيه  
 تبكي الهديل فإنها ترثيه  
 فأقام فيهم حق مسترعه  
 في الغاب كان الشبل مثل أبيه  
 فالسهم ملقى في يدي باريه<sup>(1)</sup>

ولقد ملكت بحقك الدنيا وتم  
 لو رامت الأيام أن تحصي الذي  
 إنا لمجموعون منك بوحد  
 وإذا سمعت حامة في أيكة  
 ومضى قد استرعى رعيته ابنه  
 وإذا هزير الغاب ضرب شبله  
 وإذا «علي» كان وارث ملكه

وهكذا انتهت حياة يوسف بن تاشفين المؤسس الفعلى لدولة المرابطين. وكان ورعاً  
 تقىياً يخشى الله. وينهي عهله عن الظلم، وكان محباً للعلماء والفقهاء والشعراء. ضمن  
 ديوانه خيرة الكتاب وعلى رأسهم الأديب الأندلسي عبد الرحمن بن أسباط الذي كان  
 يتقن العربية والتاريخية مما سهل على ابن تاشفين مخاطبة ولاته وامراهه برسائل غاية في  
 البلاغة. ثم تولى الكتابة محمد بن سليمان بن القصيرة المعروف بأبي بكر بن القصيرة  
 الذي يصفه ابن الصيرفي بقوله: «الوزير الكاتب الناشر القائم بعمود الكتابة والحامل  
 للواء البلاغة ، الذي لا يشق غباره ، ولا تحمد أنواره ، اجتمع له براءة النثر وجراة  
 النظم»<sup>(2)</sup>.

وهكذا استطاع هذا الرجل أن يحقق وحدة المغرب والأندلس معاً، وأن يحافظ على  
 الأندلس من الانهيار وأن يؤسس دولة مرابطية كبرى من تخوم السودان إلى جبال  
 البرانس.

12 - علي بن يوسف بن تاشفين: تولى علي بن يوسف إمارة دولة المرابطين بعد وفاة والده  
 يوسف، وكان كما يقول ابن عذاري:  
 «فاقتضى أثر أبيه. وسلك سبيله في عضد الحق وانصاف المظلوم. وأمن الخائف،

(1) - الذخيرة في محسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن علي بن بسام الشترىنى، ص 831 - 832 . الدار العربية للكتاب - تونس - ليبيا.

(2) - ابن الخطيب عن ابن الصيرفي في الاحتياط (خطروطة الاسكوربال)، انظر عصر المرابطين والمرجعدين / محمد عبدالله عنان، ج 1 ص 53 .

ومنع المظالم، وسد الثغور ونكأة العدو. فلم يعدم التوفيق في أعماله، والتسديد في حسن أفعاله».

ويقول محمد عبد الرحمن عبد اللطيف:

«فاتبع نهجه (أي نهج والده) في سياسة البلاد ومواصلة الجهاد من أجل المحافظة على الإسلام ومواجهة التهديدات الصليبية في بلاد الأندلس. فقام بعبور البحر لقتال الأفرنج. وازدادت في عهده هجمات الصليبيين على السواحل المغربية. فأغار فرسان «جنوة» على إقليم (برقة) عام 509 هـ ثم تمكن من صد غاراتهم وإبعاد خطتهم...». وحاول في بداية عهده ابن أخيه يحيى بن أبي بكر بن يوسف وإياد فاس الثورة على عمه ولكن فشل.

وفي عهده وقعت موقعة أقليش الشهيرة التي انتصر فيها المرابطون ضد الأسبان (الأفرنج) في 16 شوال سنة 501 هـ الموافق 29 مايو 1108 م. يوم الجمعة.

ويقول عنها محمد عبدالله عنان:

«وكانت موقعة أقليش، بعد الزلاقة (479) واستيلاء المرابطين على بلنسية (495) أعظم نصر أحرزه المرابطون على قوات قشتالة. وهو نصر كان من أثره توسيع سلطان المرابطين في المناطق الوسطى والشرقية في شبه الجزيرة وفي أعلاه سمعتهم العسكرية والدفاعية...»<sup>(2)</sup>.

كما عينَ علي بن يوسف ولاية بارزين على الولايات المرابطية كما عينَ علي جزر البحر المتوسط القائد ابن غانية محمد بن علي المسوفي.

وفي عهده ظهر أمر الموحدين وبذلت دعوة زعيمهم المهدي بن تورمت وخليفته عبد المؤمن بن علي الكومي. وبدأ انشغال المرابطين بالحروب ضد هذه الدعوة الفتية.

وفي عام 537 هـ توفي الأمير علي بن يوسف تاركاً ولاية العهد من بعده لأبنه تاشفين.

(1) — ابن عذاري، البيان المغرب / نقله عن عبدالله عنان / المصدر السابق ج 1 ص 58 .

(1) — محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / أمراء دولة الملوكين، مخطوط مكتبة المؤلف، ص 15 .

(2) — محمد عبدالله عنان / المصدر السابق، ص 61 .

13 - تاشفين بن علي بن يوسف: كان معيناً من قبل والده على الأندلس فحقق انتصارات باهزة ضد الأفرنج . ولما توفي والده أوصى له بولاية العهد ولكن هذا الشاب لم ينעם بالملك فلقد بدأت دعوة الموحدين في الاتساع فها ان تولى إمارة المرابطين حتى شرع في خوض المعارك ضد الموحدين .

وفي إحدى المعارك مع الموحدين سقط قتيلاً إثر هزيمة «حبنة» قرب وهران عام 539 هـ.

14 - ابراهيم بن تاشفين بن علي: عينه أبوه ولیاً للعهد فبويغ بالأماراة بعد مقتل والده . وكان صبياً فقام عمه بانقلاب عليه فاستولى على قصر مراكش وعزله . ويبدو أنه وضعه تحت الإقامة الجبرية حتى احتل الموحدون مدينة مراكش فأسرروا قادة المرابطين وقتلوهم جميعاً عام 541 هـ.

15 - إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين: قام بالاستيلاء على الإمارة في مراكش بانقلاب عزل فيه ابن أخيه إبراهيم مما سبب تصدعاً كبيراً في صفوف المرابطين في وقت هم أشد فيه احتياجاً لجمع الشمل ومحاربة الموحدين الذين بدأت دعوتهم في النهوض .

وكان اسحاق قد استعمل الفرقة الرومية من حرس المرابطين فكلفها بحراسة قصره لعدم ثقته في العناصر الوطنية من المرابطين الذين كان جلهم يؤيد ابن أخيه ابراهيم . فقام الموحدون بمحصار مراكش إلى أن استسلمت فأسرروا أمراء المرابطين من فيهم إسحاق وابن أخيه وأعدموهم جميعاً . وبذلك انتهت هذه الدولة المرابطية في عام 541 هـ . ولم يبق منها إلا فرع (بني غانية) في جزائر البحر المتوسط الذين قاوموا الموحدين واستولوا على تونس وطرابلس والواحات الصحراوية وانتهى بهم المطاف في إقليم الزاب ببسكرة<sup>(1)</sup>.

---

(1) — انظر أمراء دولة الملوك / محمد عبد الرحمن عبد اللطيف، المصدر السابق، ص 16 .



## أشهر القادة العسكريين في دولة المرابطين

سنذكر في هذه العجالة أسماء مجموعة من القادة العسكريين (المرابطين) الذين وصلت إلينا أسماؤهم وأعماهم العسكرية التي ساهمت في إرساء دولة المرابطين واشتهر بها في منطقة المغرب العربي والأندلس . والذين كانوا سبباً في الانتصارات الباهرة على الأفرنج في الأندلس .

١ - سير بن أبي بكر: أحد القادة المشهورين الذين اعتمدوا عليهم الدعوة المرابطية في بداية نشوئها . نجده يعبر مع يوسف بن تashfin إلى بلاد الأندلس وعندما عاد يوسف إلى المغرب بعد أن خاض معركة (الزلقة) الشهيرة والتي كان سير أحد رجالها ، يترك سير بن أبي بكر نائباً عنه على الأندلس وأمراً على الجيوش المرابطية فيها .  
وعندما أراد يوسف بن تashfin توحيد الأندلس وعزل ملوك الطوائف كلف سير بن أبي بكر بهذه المهمة الخطيرة فقام بها على أحسن وجه .

ويقول عنه محمد عبد الله عنان :

«وأما سير بن أبي بكر فقد كان أيضاً من أعظم زعماء لتوة وقادتها ، وقد ظهر بنوع خاص بشجاعته وبراعته العسكرية الفائقة في موقعة الزلاقـة (479) هـ . ولما جاز أمير المسلمين يوسف بن تashfin جوازه الثالث إلى شبه الجزيرة في سنة 483 هـ وبدأ افتتاح دول الطوائف بالإستيلاء على غرناطة فوض عند عودته إلى المغرب شؤون الأندلس إلى الأمير سير ، وعهد إليه بافتتاح ممالك الغرب الأندلسية ، فافتتح سير مملكة أشبيلية من أيدي بني عباد (484) هـ ثم افتتح مملكة (بطليوس) من أيدي بني الافطـس (488) هـ في الظروف والمناظر العنيفة المروعة التي فصلناها في كتابنا «دول الطوائف» وكانت آخر الغزوات العظيمة التي قام بها سير هي افتتاحه لقواعد الغرب

من يابرة حتى اشبوة 504 هـ 1111 م<sup>(1)</sup>. وفي عام 507 هـ 1114 م. توفي الأمير سير بن أبي بكر وهو وال على أشبيلية.

2 - مزدلي بن تيولتكان بن الحسن بن محمد بن ترقوت: هو من أقارب يوسف بن تاشفين ويلتقي معه في (ترقوت) ويصفه ابن الخطيب بقوله: «بطلاً ثبناً، بهمة من البهم، بعيد الصيت، عظيم الجلد أصيل الرأي، مستحكم الحنكة، طال عمره، وحمدت مواقفه وبعدت غاراته، وعظمت في العدو وقائمه...»<sup>(2)</sup>. ونجد مزدلي من أكبر أعون يوسف بن تاشفين الذين يكلفهم بالمهمات الكبيرة.

فحتى عندما وصل إبراهيم بن أبي بكر بن عمر قادماً من الصحراء مطالباً بذلك والده، أرسل إليه يوسف مزدلي ليفاوضه وفعلاً نجحت المفاوضة وعاد إبراهيم إلى الصحراء.

ويقول محمد عبدالله عنان:

«وقد كان من أعظم أعمال مزدلي استرجاعه لمدينة بلنسية من أيدي جنود السيد «الكمبيادور» بعد وفاته وجنود قشتالة وذلك في سنة 495 هـ 1102 م. وكان قد ولّى بلنسية ثم قرطبة وغرناطة أيام يوسف، ثم ولّ قرطبة قبيل وفاته ببضعة أعوام من قبل علي بن يوسف.

وفي شوال سنة 508 هـ 1115 م توفي الأمير مزدلي.

3 - محمد بن الحاج: هو أبو عبدالله محمد بن الحاج أحد القادة العسكريين للدولة المرابطية، عبر مع يوسف بن تاشفين ضمن الجيش المرابطي إلى الأندلس، وعيّن أميراً على ولاية غرناطة 509 هـ 1115 م. وهو الذي استولى على سرقسطة من أيدي بني هود أواخر عام 503 هـ 1110 م ولبث ابن الحاج والياً على سرقسطة ببضعة أعوام. ويقول محمد عبدالله عنان:

«ولبث ابن الحاج والياً على سرقسطة ببضعة أعوام، وهو يحوطها بحرايته ويرد عنها

(1) — محمد عبدالله عنان / المصدر السابق، ص 73 .

(2) — محمد عبدالله عنان / المصدر السابق، ص 72 .. وانظر البيان المغرب لابن عذاري.

أطماع النصارى المحيطين بها من الشرق والغرب والشمال. ويقوم بغزو أراضيهم والعبث فيها من آن لآخر. . .<sup>(1)</sup>.

ويستمر محمد عبدالله عنان :

«وكان أبو عبدالله محمد بن الحاج من أكابر زعماء ملتوة وقوادها وكان يتصل بصلة القرابة المتينة ليوسف بن تاشفين إذ يرجع نسبه إلى (ترقوت) أو (ترجموت) جد العاهل المرابطي وعرف بابن الحاج. إذ قام أبوه بأداء فريضة الحج. وقد ظهر منذ البداية، مد عبر إلى شبه الجزيرة مع يوسف بن تاشفين في سنة 484 هـ بقدرته وأعماله العسكرية البارزة، أولًا حين افتتاحه لقرطبة من يد ابن عباد ثم في معارنته للقتاليين في غير موقعة. ولما تولى على ابن يوسف عيشه أولًا واليًا للمغرب. ولكنه لم يكث في هذا المنصب سوى أشهر قلائل. ثم ندبه لولاية بلنسية وشرق الأندلس، في سنة 501 هـ ومن بلنسية سار ابن الحاج إلى سرقسطة استجابة لدعوة أهلها. وانتزعها من أيديبني هود واستقر واليًا لها كما تقدم. . .<sup>(2)</sup>.

وفي معركة بين المرابطين والقتاليين بالقرب من قرطبة سقط محمد بن الحاج شهيداً مع مجموعة من قادة المرابطين وذلك في مستهل صفر سنة 509 هـ 27 يونيو 1115 م.

4 - محمد بن فاطمة : يكنى أبا عبدالله وينسب إلى أمه على عادة التوارق. هو أحد قادة المرابطين العسكريين. عبر الأندلس وعين واليًا على بلنسية. شارك في كثير من الوقائع ضد الأفرنج. وكان عندما حاول الأمير ابن الطاهر تميم أن ينكص على عقبيه خشية ملاقة النصارى في موقعة (اقليش) الشهيرة 16 شوال 501 هـ 29 مايو 1108 هو أحد القادة الذين شجعوا على القتال. وتم الانتصار بتفكيرهم وخطتهم. وبعد وفاة سير بن أبي بكر عين محمد بن فاطمة مكانه على ولاية اشبيلية فلبث على ولايتها إلى أن توفي 515 هـ 1121 م<sup>(3)</sup>.

5 - محمد بن عائشة : هو ابن عبدالله محمد بن عائشة. وعائشة هذه أمه نسب إليها على عادة التوارق في نسب الولد لأمه عندما تكون امرأة مشهورة.

(1) - عصر المرابطين والموحدين / المصدر السابق، ص 74 .

(2) - المصدر السابق، ص 75 - 76 .

(3) - انظر التفاصيل في كتاب عصر المرابطين والموحدين / المصدر السابق، ص 71 - 72 .

نجله في الأندلس عابراً ضمن من عبر مع الأمير يوسف بن تاشفين ومتولياً قيادة أحد فروع الجيش المرابطي ثم عين والياً على مرسية. وفي معركة أقليش كان أحد قائدين شهيرين قادها إلى النصر. هو محمد بن فاطمة.

يقول ابن الطاهر تميم قائد المعركة عند مقدم القشتاليين أنه استدنى إليه «القائدين المجريين، ذوي النصيحة والأراء الصحيحة أبا عبدالله محمد بن عائشة وأبا عبدالله محمد بن فاطمة وأنهم بعد المشاورات اجتمعوا على كلمة الله متعاقدين، وخضعوا إلى حكمه مستسلمين»<sup>(1)</sup>.

وعن موقعة أقليش يقول محمد عبدالله عنان معرضاً بأبي الطاهر تميم قائد المعركة: «تميم لم يكن من أكابر القادة المرابطين، وإنما كان يقود الجيش بصفته الأميرية. ولم يكن انتصاره في موقعة (أقليش) راجعاً إلى مقدراته وصفاته الخاصة، وإنما كان راجعاً بالأخص إلى شجاعة قائديه المجريين محمد بن عائشة ومحمد بن فاطمة. ولو لا هما لما اشتباك في المعركة ولا تزداد الارتداد..»<sup>(2)</sup>.

6 - محمد بن مزدي: تولى ولية قرطبة بعد وفاة والده (508) هـ 1115 م. ولم يمكث في هذه الولاية سوى شهور قلائل حتى قاد جنده لرد القشتاليين الذين اقتربوا من قرطبة ونشب بين الفريقين قتال عنيف سقط فيه محمد بن مزدي شهيداً في مستهل صفر 509 هـ 27 يونيو 1115 م.

وسقط معه مجموعة من قادة المرابطين وزعماء لتوة منهم الأمير أبو إسحاق ابن دانية والأمير أبو بكر بن واسينو وغيرهما.

7 - عبدالله بن مزدي: هو ابن القائد الشهير مزدي. تولى إمارة غرناطة وشارك في عدة معارك وهجمات ضد الأفرنج ثم ولّي سرقسطة وتوفي بها عام 1118 م. وهي محاصرة من قبل الأفرنج.

8 - أبو بكر بن إبراهيم بن تافلوت: هو ابن عم أمير المسلمين علي بن يوسف وزوج اخته. كما أنه أيضاً زوج اخت محمد بن عائشة. عين والياً على طرطوشة وبلنسية.

(1) - محمد عبدالله عنان / المصدر السابق. ص 63 .

(2) - المصدر السابق. ص 99 .

اشترك في عدة معارك ضد الأفرنج، وكان من القادة المعدودين في الجيش المرابطي.  
توفي عام 510 هـ وقيل 511 هـ.

٩ - أبو محمد أبو بكر بن سير اللمتونى: هو ابن القائد الشهير سير بن أبي بكر، وابن أخت علي بن يوسف أمير المسلمين المسماة (قونة) وبها عرف فيقال ابن قونة. قاد الجيش المرابطي في عدة معارك ضد الأفرنج ببلاد الأندلس، كما كان قائد معركة (القلعة) أو (القليعة) 523 هـ 1129 التي انكسر فيها المرابطون.

١٠ - عمر بن سير اللمتونى: هو أيضاً ابن القائد الشهير سير بن أبي بكر تولى ولاية أشبيلية، وقد جيشه لحرب الأفرنج فقتل في معركة في قشتالة 523 هـ 1129 م.

١١ - محمد بن تينغمر اللمتونى: عين والياً على غرناطة. وسار ضمن الحملة التي قادها إبراهيم بن يوسف نحو أمير المسلمين لمحاربة ملك أراجون (ابن رذمير). ولكن المعركة كانت في غير صالح المسلمين وانكسروا فيه انكساراً كبيراً.

١٢ - أبو الطاهر تميم بن يوسف: هو أخو علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين عينه والياً على الأندلس ولكنه لم يكن على قدر من المهارة العسكرية ولا الشجاعة كما يصفه المؤرخون. وكان يتتجنب ملاقاة العدو، وبالرغم من أنه كان أمير الجيش في معركة (أقليش) إلا أن النصر كان بسبب القائدين الشجاعين محمد بن فاطمة ومحمد بن عائشة اللذين رافقاه في الجيش وأشارا عليه بالهجوم وعدم التكتوس. وكان تميم يتخذ من غرناطة قاعدة لشئون ولايته على الأندلس. وبقي والياً على غرناطة إلى أن توفي في 520 هـ 1126 م.

١٣ - ابن تفرتاش: أمير البحر المرابطي. أسرع لنجدية الجزائر الشرقية عندما حوصلت على رأس 300 ثلاثة سفينة مرابطية واستطاع أن يفك الحصار ويأسر ثلاث سفن ويغرق أخرى. وتقول الروايات أن السفن الأفرنجية انسحبت قبل مجيئه عندما علمت بقدومه.

والقصة أن جمهورية بيزا وجنة وإمارة برشلونة في أوائل عام 508 هـ 1114 م. خرجت بأسطول قوامه 300 ثلاثة سفينة مع وحدات بحرية من برشلونة وفرنسا وفرضوا الحصار على مدينة ميورقة عاصمة الجزائر. واستمر الحصار حوالي السنة

واستطاع البحار الجريء عبدالله بن ميمون أن يخترق الحصار بسفينته ولم يستطع النصارى اللحاق به. وأن يصل إلى الأمير يوسف بن تاشفين ويستجده به.

فجهز هذا أمير البحر أبا السداد ابن تفرتاش فسار في أسطوله إلى أن وصل الجزيرة في أواخر عام 509 هـ 1116 م. وأسر من سفن الأعداء ثلاثة وعین يوسف بن تاشفين أحد قادته المسمى وانور بن أبي بكر المتموني واليأ على الجزائر الشرقية.

14 - **وانور بن أبي بكر المتموني**: هو أحد قادة المرابطين بالأندلس. عينه يوسف بن تاشفين واليأ على الجزائر الشرقية بعد أن أنقلتها من غزو الأفرنج، ولبث فيها زهاء عشرة أعوام ويقول محمد عبدالله عنان: «وكان ظلوماً صارماً فعصف بأهل الجزائر واشتد في إرهاقهم. وكان من أسباب سخطهم عليه أنه أراد أن يرغّبهم على ترك ثغر ميورقة وإنشاء مدينة أخرى داخل الجزيرة تكون بعيدة عن البحر. وأخيراً اضطررت الجزيرة بالثورة وغلب الشوار على وانور، وقبضوا عليه ووضعوه في الأصفاد، وبعثوا إلى أمير المسلمين يشرحون أحواهم وظلاماتهم. فاستجاب علي إلى صراخهم، وعيّن واليأ جديداً للجزائر هو محمد بن علي بن غانية المسوفي فقدم إلى الجزائر سنة 520 هـ 1126 م»<sup>(1)</sup>.

وقد استطاعت أسرةبني غانية تأسيس أسرة مرابطية لحكم الجزائر الشرقية بقيت تحمل أهداف ومبادئ المرابطين لسنوات أخرى بعد سقوط دولة المرابطين على يد الموحدين. وبقيت هذه الدولة الجديدة تقارعهم لعدة سنوات أخرى.

هذا كما عين على الجيوش المرابطية بالأندلس مجموعات من القادة وجملهم لم يكونوا من القوة بحيث يحققون انتصارات باهرة يحفظها لهم التاريخ باستثناء تاشفين بن علي الذي ذكرناه في أمراء دولة المرابطين. فلقد حقق انتصارات باهرة. ومدحه الشعرا وأثبت شجاعته فاتقة في ملاقة الأعداء في عدة مواقع.

(1) — محمد عبدالله عنان / المصدر السابق. ص 153 .

امراء دولة بنى خانية  
الفرع الثاني لدولة المرابطين



## دولة بنى غانية

كانت دولة بنى غانية امتداداً لدولة المرابطين. وينتمي زعماؤها إلى قبائل مسوفة إحدى فروع صنهاجة التي تكونت منها هذه الدولة.

ورفع زعماء دولة بنى غانية راية الكفاح ضد الموحدين الذين قصوا على الدولة المرابطية. وكان جد هذه الأسرة ويدعى علي بن يحيى المسوفي أحد قادة جيش المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين.

وكان أن حدثت واقعة بأن قتل علي بن يحيى هذا أحد رجال لمونة وفرّ واعتصم بالصحراء. ووقعت جفوة بسببه بين قبائل لمونة ومسوفة. ولكن يوسف بن تاشفين تدخل في الأمر وأعطى لأهل القتيل ديه. وطلب من علي بن يحيى العودة إلى عمله. وفعلاً عاد وتزوج إحدى قريبيات يوسف بن تاشفين وتدعى (غانية) ورزق منها بولدين هما محمد ويحيى فتربياً في كنف يوسف بن تاشفين تحت رعايته كما قرّبها علي بن يوسف من بعد والده فعين يحيى والياً على غرب الأندلس من قرطبة كما عين محمدًا والياً على جزر حوض البحر الأبيض المتوسط (ميورقة، مينوقة، يابسة) فبقاء في أعمالهما إلى أن قامت دولة الموحدين، فرفضا الانصياع إليها واستقللا بالجزر محتفظين ببقية دولة المرابطين داعين للدولة العباسية في بغداد.

وسنحاول التعرض لذكر أمراء هذه الدولة.

1 - علي بن يحيى المسوفي: هو جد أسرة بنى غانية، وكان أحد قادة جيش المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين، وكان زعيمًا لقبائل مسوفة. حدث أن قتل أحد رجال قبيلة لمونة مما أدى إلى قتال بين المجموعتين وهرب علي إلى الصحراء. وتدخل يوسف بن تاشفين ودفع دية القتيل لأهله. وطلب من علي أن يرجع ليتولى عمله، كما عرض عليه أن يتزوج امرأة من لمونة تدعى (غانية) ويبدو أنها قريبة ليوسف بن تاشفين فرزق منها بولدين هما محمد ويحيى.

- 2 - محمد بن علي بن يحيى المسوف المعروف بابن غانية: تربى محمد في رعاية يوسف بن تاشفين في كفالة أخواله لتوته (كما هي عادة التوارق) وعيته علي بن يوسف واليأ على جزر غرب حوض البحر الأبيض المتوسط وذلك في عام 520 هـ وبقي واليأ على هذه الجزر إلى أن توفي رافضاً الدخول في طاعة الموحدين سنة 554 هـ.
- 3 - يحيى بن علي بن يحيى المسوف (ابن غالبة): تربى مثل أخيه في كنف أخواله لتوته عند يوسف بن تاشفين وعيته علي بن يوسف واليأ على غرب الأندلس في قرطبة وقتل أثناء الحروب بين المرابطين والموحدين في الأندلس عام 543 هـ. وكان بطل معركة (أنراوغة) وقادها حيث قُتل فيها (الفنوس المحارب). وقد مدح الشعراء يحيى على بطوله فيها 528 هـ 1134 م.
- 4 - عبد الله بن محمد بن علي بن يحيى: تولى إمارة ولاية الجزر الشرقية بعد وفاة والده فثار عليه أخوه إسحاق فقتله أثناء اقتحام قصوره كما قتل من كان معه من حاشيته وأفراد عائلته في عام 546 هـ.
- 5 - إسحاق بن محمد بن علي بن يحيى: قام بانقلاب على أخيه عبدالله فاستولى على الحكم في الجزر واستبدل بالحكم رافضاً الدخول في طاعة الموحدين وكان حكمه سيئاً فتضارب الناس منه، وهرب عدد كبير منهم وانضم للموحدين. وقد اهتم بالبناء والتعمير والزراعة وتوفي عام 580 هـ. وترك عدة أولاد بلغوا 12 ولداً.
- 6 - محمد بن إسحاق بن محمد: تولى ولاية الجزر بعد وفاة والده وحاول الدخول في علاقات مع يوسف بن عبد المؤمن سلطان الموحدين فأرسل إليه يوسف قائد الفرقه الرومية في مراكش المعروف باسم «الروبيري» للتفاوض معه ومعرفة مدى إخلاصه وجدلته في نية الدخول في طاعة الموحدين. إلا أن إخوانه قاموا بانقلاب ضده فاعتقلوه وعزلوه عن ولاية الامارة في الوقت الذي بلغتهم نباء وفاة يوسف ابن عبد المؤمن. وقاموا باعتراض (الروبيري) مبعوث السلطان إلى بني غانية واستولوا على اسطوله وعززوا به اسطولهم لشن الغارات على السواحل المغربية. فاحتلوا بجایة في بداية هجومهم لتبدأ بذلك ملحمة حروب بني غانية مع الموحدين في الجزء الشرقي من بلاد المغرب.

٧ - علي بن محمد بن علي بن يحيى (ابن غانية) : تولى زعامة بني غانية بعد الانقلاب على ابن أخيه محمد بن إسحاق فقد العمليات ضد الموحدين ، واتخذ من مدينة بجایة مركز انطلاق لعملياته وقاعدة لجيشه . واعتقل واليها الموحدي أبا موسى بن عبد المؤمن ، ثم استولى على الجزائر وحاول احتلال قسطنطينية ولكنها استعصت عليه ولكن المنصور سلطان الموحدين تمكّن من استرجاع بجایة من أيدي بني غانية وأفرج عن واليها أبا موسى بن عبد المؤمن وهنا انسحب علي بن محمد بن غانية إلى قصبة فاحتلها ثم إلى طرابلس التي كانت تحت سيطرة قراقوش الأرمني المطغري الموالي للأيوبيين في مصر . وتحالف معه ضد الموحدين . فجمع ابن غانية كافة القبائل العربية في أقليم طرابلس ولحق به جمّع من قومه لتوته ومسوقة واستولى على بلاد الجريد بتونس وأعلن طاعته للخلافة العباسية في بغداد .

وقد أرسل علي بن محمد وفداً برئاسة كاتبه ابنه عبد المؤمن إلى الخليفة العباسى في بغداد الناصر بن المستضيء حاملاً بيعته وولاوه باسم بقايا دولة المرابطين ويطلب المدد والمساعدة ضد الموحدين . فكتب إليه الخليفة العباسى رسالة تضمنت الاعتراف به ، وأصدر ديوان الخليفة مرسوماً بذلك إلى حاكم مصر صلاح الدين الأيوبي يطلب منه التحالف مع بني غانية . وقد كتب صلاح الدين إلى قراقوش نائبه في بلاد المغرب للنظر في موضوع التعاون مع ابن غانية .

ولكن الموحدين جهزوا جيشاً لهاجمة ابن غانية في الوقت الذي دُبِّ فيه الخلاف بينه وبين والي الأيوبيين غير أن بني غانية استسلوا في الدفاع عن دولتهم الصغيرة فألحقوا هزيمة نكراء بالموحدين . ولكن الموحدين جعوا جيوشهم من جديد وأعادوا الكرة على بني غانية مرة أخرى فاحتلوا قاعدتهم توزر . واستطاعوا تشتيت تجمعاتهم وقتل علي بن محمد زعيم بني غانية في حرب نشب بينه وبين قبيلة نفزاوة عام 584 . فدفن في المكان نفسه ثم حمل رفاته لتدفن في (ميورقة) حيث مقبرة آبائه هناك .

٨ - يحيى بن إسحاق بن علي : تولى زعامة إمارة بني غانية بعد مقتل عمه علي بن محمد واستمر في التحالف مع قراقوش ولكن هذا انحاز بجانب الموحدين فاندلعت الحرب بينه وبين يحيى بن إسحاق واستطاع بني غانية أن يستولوا على طرابلس ويفر قراقوش إلى ودان فحاصروه هناك وقبضوا عليه وأعدمهوه .

ثم تقدم جيش بني غانية لمهاجمة المغرب الأوسط فاسترد قصبة وتوزر من الموحدين وأحتل قسطنطينية وبسكرة. ثم زحف على تونس فاستولى عليها وأسر والي الموحدين على أفريقية أبا يزيد بن حفص عمر بن عبد المؤمن في سنة 600 هـ.

وارسل سلطان الموحدين الناصر جيشاً قوياً لردع بني غانية. واستطاع أن يرحرحهم إلى القيروان وقصبة. وجرت معارك بين الجيшиين في جبال قرب قابس عام 602 انسحب على أثرها جيش بني غانية إلى طرابلس.

وعاود بنو غانية الكرة وزحفوا بجيشهم فاستولوا على مناطق تونس واستمرروا حتى وصلوا إلى سجلماسة ثم توجهوا إلى تلمسان ونشبت معركة كبيرة في (تيهرت) قتل فيها أبو عمران والي تلمسان.

ونهب بنو غانية بلاد المغرب الأوسط وجمعوا غنائمهم وعادوا إلى طرابلس. وفي أثناء عودتهم نصب لهم والي أفريقية من قبل الموحدين كميناً وألحق بهم هزيمة واستولى على ما معهم من السلب والغنائم. وطاردهم إلى طرابلس. وحاول يحيى ومن معه إعادة الكرة على الموحدين ولكن والي تونس استطاع أن يصد هم في جبال نفوسه فانسحب بنو غانية إلى غدامس ثم إلى ودان حيث حاصروا الموحدون هناك.

وتمكن يحيى من فك الحصار وتوجه إلى بلاد الزاب حيث وصل إلى بسكرة، وبدأ يشن الغارات على الموحدين. ولكن الموحدين ضايقوه فانسحب إلى الصحراء الكبرى بجماعاته حيث استقر هناك.

وكان يحيى بن إسحاق بن غانية يستخدم في حروب الجنود المتطوعين. فإذا سئلوا الخدمة معه تركهم ليبحث عن آخرين جدد. وفي عام 633 توفي يحيى بن إسحاق بعد أن بقى أميراً على دولة بني غانية خمسين سنة وذلك في عهد سلطان الموحدين عبد الواحد بن المأمون الملقب بالرشيد.

وبوفاة يحيى بن إسحاق انتهت دولة المرابطين في المغرب. وعاد المثلثون إلى صحرائهم، بجموعات قبلية تتنقل في الصحراء الكبرى ضمن مشيخات محلية وسلطنة لتجمعاتهم الكبيرة.

## سلاطينهم ومشاهيرهم المشهورون في العصر الحديث

سنذكر هنا نبذة مختصرة عن سلاطينهم المشهورين في التاريخ الحديث، ومشاهيرهم الذين أدوا دوراً بارزاً في حياة قبائلهم سلباً أو إيجاباً.

سنذكر منهم الثوار الذين وقفوا حاجزاً بين المستعمر والصحراء الكبرى.

ونذكر منهم أولئك الذين كانوا مطية للمستعمر وساعدوه على احتلال البلاد وتشتيت العباد.

نذكر هؤلاء وهؤلاء حتى نضع القاريء أمام لوحة متكاملة لقبائل الصحراء الكبرى (التوارق) بإيجابياتهم وسلبياتهم، ببطولاتهم التي سخرواها لخدمة الوطن والدين والأخرى التي سخرواها لخدمة المستعمر.

وفي كل الحالين يجب ألا ننسى أننا كعرب نتحدث عن جزء من أهلنا بما لهم وما عليهم.

ورجحنا المجموعات إلى سلطانتهم حتى يسهل البحث.

### 1 - سلطنة (آزقر)

هذه السلطنة كما ذكرنا عاصمتها (غات) وأهم شخصياتها التاريخية:

1 - السلطان أخنوخن: هو سلطان (آزقر) في القرن التاسع عشر وصل الانجليز والفرنسيون إلى السلطنة عن طريقه وعقد معهم اتفاقيات. وقد ذكره بعض الرحالة الذين وصلوا إلى غات تحت حمايته.

- 2 - **الشيخ عثمان**: وهو بمثابة وزير خارجيته وقد مثله في مهمات متعددة خارج السلطنة على مستوى الصحراء الكبرى ويقال إنه سافر إلى باريس وبقي عدّة سنوات في مهمة تهم السلطنة. وسعى لوصول فرنسا إلى غات وغدامس وعقد مع الفرنسيين معاهدـة غدامـس 1862 .
- 3 - **القدازن**: هو سلطان الأزرق، كان يعتمد على ابن أخيه عثمان واعتبره وزيراً لخارجيته. اتصل به الفرنسيون فأجاهـم أنه لا يتفاوض إلا مع نابليـون بونـابـرتـ. وأرسل هذهـ الغـاـيـةـ عـثـمـانـ لـفـرـنـسـاـ لـمـفـاـوـضـةـ بـوـنـابـرتـ.
- بعد وفاته اختـلـفـ وـرـثـتـهـ فـيـمـنـ يـحـكـمـ السـلـطـنـةـ وـكـانـ الـفـرـنـسـيـوـنـ قـدـ أـحـكـمـواـ قـبـضـتـهـمـ عـلـىـ الـجـزـائـرـ،ـ وـطـرـدـوـاـ السـلـطـانـ آـمـوـدـ مـنـ جـانـتـ وـاسـتـولـواـ عـلـيـهـاـ 1908 .
- 4 - **السلطان آمود**: كان يقيم في جانت عندما استولى عليها الفرنسيون عام 1908 وأنزلوا العلم التركي من على ساريتها فلـجـأـ إـلـىـ غـاتـ.
- وفي عام 1916 هاجـمـ جـانـتـ معـ قـوـةـ مـنـ المـجـاهـدـيـنـ وـاسـتـولـواـ عـلـيـهـاـ وـأـسـرـواـ 440 جـنـديـاـ سـنـغاـلـيـاـ مـجـنـدـيـنـ معـ فـرـنـسـاـ حـيـثـ أـرـسـلـوـهـمـ إـلـىـ حـكـمـةـ مـصـرـاتـةـ.
- كـمـ اـسـتـمـرـ آـمـوـدـ يـقـودـ مـعـارـكـ ضـدـ الـإـيطـالـيـيـنـ فـيـ لـيـبـيـاـ وـكـانـ آـخـرـ هـذـهـ مـعـارـكـ فـيـ سـيـنـاـوـنـ وـوـادـيـ الثـلـثـ 1923 . وـعـنـدـ زـحـفـ الـإـيطـالـيـيـنـ عـلـىـ فـزـانـ تـوـفـيـ فـيـ أـوـبـارـيـ حـوـالـيـ عـامـ 1926 قـبـلـ وـصـوـلـ الـطـلـيـانـ إـلـيـهـاـ.
- 5 - **إـبرـاهـيمـ بـكـدـاـ**: هو قـرـيبـ السـلـطـانـ انـقـداـزـنـ وـطـمـعـ لـلـسـلـطـنـةـ وـلـكـنـ أبوـ بـكـرـ لـقـوـيـ نـافـسـهـ عـلـيـهـاـ فـلـجـأـ إـلـىـ الـفـرـنـسـيـيـنـ فـاعـتـمـدـوـهـ سـلـطـانـاـ عـلـىـ الـأـزرـقـ.
- اشـتـرـكـ فـيـ بـعـضـ مـعـارـكـ الـجـهـادـ ضـدـ الـطـلـيـانـ،ـ ثـمـ أـقـامـ بـجـنـوبـ الـجـزـائـرـ.ـ وـهـوـ أـحـدـ مشـاـيخـ تـوـارـقـ الـأـزرـقـ الـذـيـنـ وـقـعـواـ وـثـيقـةـ الـإـسـلـامـ لـلـفـرـنـسـيـيـنـ وـسـمـحـوـهـمـ بـدـخـولـ الـصـحـرـاءـ.ـ وـهـنـاكـ رـوـاـيـةـ شـفـوـيـةـ تـقـوـلـ إـنـهـ خـتـمـ الـوـثـيقـةـ بـذـرـاعـهـ بـدـلـاـ مـنـ إـصـبـعـهـ لـلـدـلـالـةـ عـلـىـ أـنـهـمـ اـسـتـولـواـ عـلـيـهـاـ بـالـقـوـةـ.ـ وـإـبـرـاهـيمـ بـكـدـاـ مـنـ أـمـ تـبـاوـيـةـ غـنـمـهـاـ التـوـارـقـ فـيـ إـحـدـيـ غـزـوـاتـهـ عـلـىـ التـبـوـ.
- 6 - **أـبـوـ بـكـرـ لـقـوـيـ**: يـقـولـونـ إـنـ وـالـدـهـ مـنـ بـلـدـةـ (ـقـرـاقـفـةـ)ـ مـنـ الـوـادـيـ بـفـزـانـ.ـ وـلـكـنـ أـمـهـ مـنـ

أقارب السلطان أنقدازن. ونافس إبراهيم بكدا على السلطة واتصل بالإيطاليين مبكراً وساعدوه بالأسلحة عن طريق غدامس<sup>(1)</sup>. وهاجم المجاهدين المهاجرين إلى منطقة الوادي بفزان. واستنقذ إيلهم في غزو يقوده ابنه (قولي)، ولكن المجاهدين انتصروا عليه، وقبضوا على ابنه وحملوه أسيراً إلى غات حيث استرجعوا ممتلكاتهم من قبل والده الذي فر من غات راكباً على حمار. ولما وصل الإيطاليون إلى غات عينوا أبي بكر سلطاناً (حاكماً) على منطقة آزقر وقلدوه البرنس الأسود وهو شعار بمنديهم. ودفعوا له دية ابنه الذي قتله الإيطاليون في معارك درج. وكان ابنه مع المجاهدين فقام أبو بكر لقوى وأهدى (ناقة) ابنه الشهيد لقراسيانى (وهي من نوع المهاري). وقد استغل أبو بكر نفوذه واستولى على الكثير من أراضي أهالى غات غصباً.

وبعد وفاة أبي بكر خلفه ابنه الحسيني الذي بقي حاكماً لغات إلى عهد الاستقلال الزيف في ليبيا حيث بقى متصرفاً على غات.

ولقد زرت الحسيني في بيته (بالبركت) عام 1982 ووجده قد تجاوز التسعين من عمره.

وسمعت أنه قد توفي أخيراً في بداية عام 1987 .

وقد كان أبو بكر لقوى على خلاف مع إبراهيم بكدا إذ كان لقوى يحتقر إبراهيم ويغيره بأمه (الخادم) فقبض إبراهيم على أبي بكر وسجنه في جانت لمدة سنة وكشف رأسه في السوق حيث جرده من عمامته (وهذا عار كبير عند التوارق).

7 - الفقى القدازن: هو ابن سلطان آزقر (أنقدازن) ونظرأ لصغر سنّه لم يورث السلطنة. ولما كان الفقى من أم من قبيلة (منفساتن) والتوارق يتبعون أمهاتهم لهذا عاش مع قبيلة أشواله وجاهد معهم ضد الطليان وقاتل ضد قبيلة أوراغن (قبيلة أعمامه) وجرح في إحدى هذه المعارك وهو الذي أنقد (لقوى) من القتل إذ تعرف عليه وحفظه من القتل.

---

(1) - انظر كتاب قراسيانى نحو فزان.

## 2 - سلطنة المقار

عاصمة هذه السلطنة مدينة (تمنغيست) بجنوب الجزائر. وأهم شخصياتها:

- 1 - أهيت آغل: سلطان المقار في النصف الأول من القرن التاسع عشر خاض حروباً طويلة ضد سلطنة آزفر ليضم أراضيها إلى سلطنته.
- 2 - سيدي اق كرجي: اشتراك في النزاع على السلطة بعد وفاة السلطان (لاوي) الذي لم يدم طويلاً في السلطنة. شارك في المقاومة لرفض الاستعمار الفرنسي وقتل بعض المستكشفين الذين توغلوا في بلاده.
- 3 - موسى اق اما سلطان: تولى سلطنة المقار عند احتلال الفرنسيين لها، وتحالف معهم وسخروا للحرب ضد الثورة في الصحراء الكبرى فقام بدور فعال في إخادها ومطاردة كاوشن وتقافاما.

ساعد على إخاد الثورة في الصحراء الكبرى كما ساعد على تغلغل الفرنسيين في منطقة الصحراء وخدمهم بكل ما يملك من قوة. خاض قبل دخول الفرنسيين عدة معارك ضد سلطنة (تكريكريت) وكان ذلك قبل توليه السلطنة.

- 4 - باي أق أخوك: تولى السلطة بعد وفاة السلطان موسى، وسار على النهج الذي رسمه موسى في التعاون مع الفرنسيين وخدمتهم. وقد توفي أخيراً وهو آخر سلطان تقليدي لسلطنة المقار.

## 3 - سلطنة (والليمدن كل اطرام)

تعتبر هذه السلطنة من أهم السلطانات التاريخية وأكبرها وأقواها. وقد لعبت دوراً في تاريخ مقاومة الاستعمار الفرنسي. وأهم شخصياتها:

- 1 - كارديتا: هو جد القبيلة الحاكمة ومؤسس السلطنة.
- 2 - ماديدو: وهو سلطان (والليمدن كل اطرام) أيام الاحتلال الفرنسي.

3 - فهرون بن الأنصار: هو أحد شخصيات هذه القبيلة، قام بشورة ضد الفرنسيين وقد حاولوا إغراءه فلم يفلحوا في ذلك. واعتبره معهم في عدة معارك وقتل في إحداها عام 1916.

4 - شُبُون: قاتل الاحتلال الفرنسي في بداية وصول الفرنسيين للمنطقة 1900 م.

5 - الطاهر إق إيللى: عاصر وصول الفرنسيين للمنطقة وساهم في العمل السياسي بمنطقة الصحراء في أوائل هذا القرن.

6 - محمد أحمد بن الجنيد: من قبيلة (كل السوق) ساهم في مقاومة الاحتلال الفرنسي للمنطقة، وشارك في ثورة كاوشن.

7 - الطاهر الأنصاري: من قبيلة (كل انصار) عاصر الاحتلال الفرنسي للمنطقة وشارك في المراحل الأولى من الادارة الفرنسية.

8 - محمد علي الأنصاري: من قبيلة الأنصار. عاصر الاستعمار الفرنسي واحتاج كثيراً على الممارسات الخاطئة التي يرتكبها الفرنسيون ضد أبناء شعبه. كما وقف معارض لحكومة مالي (بعد الاستقلال) وكان من العاملين على إبراز الصحراء المستقلة. هاجر من مالي إلى ليبيا 1958 ومكث بها عدة سنوات وأحضر معه مجموعة من الأطفال تلقوا تعليمهم بليبيا حيث تخرجوا من مدارسها ثم توجه إلى الحجج ومنه إلى المغرب حيث قام ملك المغرب (الحسن الثاني) بتسليمه إلى حكومة مالي (موديبوكيتا) 1963 فسجنه لهذا خمس عشرة سنة ثم أطلق سراحه من قبل الانقلاب الجديد في مالي فرجع للمغرب حيث يقيم حتى الآن.

9 - محمد محمود الأرواني: شارك في سياسة المنطقة مع الفرنسيين ونشط في إبراز الشخصية الصحراوية، وحاول الحصول على تأييد السلاطين لفكرة إنشاء إدارة تحت الحماية الفرنسية في المناطق الصحراوية. وسجنته حكومة مالي والتقيت أخيراً بابنه، وله عدة تأليف في تاريخ الصحراء وهو من قبيلة (البرايش) العربية.

10 - أحمد البكاي: من قبيلة (كتنة) العربية. عاصر وصول المستكشف (هنري بارت) إلى بلاده فكتب له رسالة إلى كافة الزعماء في المنطقة للسياح له بالمرور بصفته صديقاً

له، وضيفاً في بلاده. وأحمد البكاي هو الذي التف حوله سكان الصحراء لمقاومة الحاج عمر الذي بدأ يبطن بهم ويرغمهم على اتباع الطريقة التيجانية. وفعلاً قاوموه وهزموا وقتلوا.

11 - باي بن سيدى عمر: من قبيلة (كتنة) العربية. عالم وفقه، تعلم على يديه الكثيرون في بلاد التوارق. وكان شيخاً للطريقة القادرية، وكان مسموع الكلمة في جميع بلاد التوارق، وهذا توجهات سديدة.

12 - الميمون بن حمادي: من قبيلة (كتنة). ساهم في إدارة المنطقة في قبيلته أيام الاحتلال الفرنسي الأولى.

13 - زيد بن الطاهر: من قبيلة إفوغاس. ولد حوالي سنة 1925 في كيدال شمال مالي. وهو الابن الأكبر للطاهر (امنوكال) قبائل التوارق في إقليم إدرار إيفوغاس، درس الفقه والقرآن الكريم. وفي عام 1957 كان من المناهضين للوجود الفرنسي مع مجموعة محمد محمود التبكيري، ومحمد علي الانصاري. توفي والده عام 1960 أيام أحداث الاستقلال المالي والمجموعة الفرنسية في غرب أفريقيا فتولى زيد مكان والده وأصبح (امنوكال) زعيم قبائل توارق المنطقة.

ولما دخلت قوات موديبوكينا الرئيس المالي للشمال وبدأت تضطهد المواطنين قاد زيد الثورة المسلحة ضد حكومة مالي عام 1963.

قبضت عليه السلطات الجزائرية وسلمته لحكومة مالي حيث حكمت عليه بالإعدام ولكنه لم ينفذ وبقي في السجن خمس عشرة سنة، إلى أن أفرج عنه عام 1978 من قبل حكومة موسى تراوري. ولما أطلق سراحه قوبيل باستقبال شعبي كبير في منطقة كيدال.

ويعيش زيد بن الطاهر الآن في منطقة الصحراء الشهالية مالي في مخيمه المراقب من قبل السلطات المالية.

14 - اللادي آله بشير: ولد سنة 1942 في قرية أبو غصّة شمال مالي. وجد والده آله بشير ثائراً على الحكم الفرنسي في المنطقة وشاهد المعركة التي قُتل فيها والده وقطع

المستعمرون رأسه عام 1954 فنشأ ثائراً ناقماً على المستعمر الفرنسي وعلى الظلم  
بجميع صنوفه .

في سنة 1963 قاد عمليات الثورة في الشمال ضد حكومة مالي العنصرية . وفي عام 1965 قبض عليه الجيش المالي في معركة خاضها بنفسه وحيداً إلى أن نفذت ذخيرته فعُذِّل ثم أودع السجن . وفي عام 1975 هرب من السجن عن طريق بوركينا فاسو إلى شمال مالي ثم إلى جنوب الجزائر . زار الجماهيرية عام 1980 و 1981 حيث التقى به وحدّثني حديث جهاده . سجنته السلطات الجزائرية عدّة مرات بحجة أنه يدبر في ثورة ضد مالي . وهو الآن يقيم إقامة جبرية في جنوب الجزائر بأسرته .

واللادي آله بشير هو أحد أصدقائي في الصحراء .

15 - يوسف الشيخ: من قبيلة أدنان (تعريف لعدنان) ومن مواليد 1940 بمنطقة كيدال . ثار مع زيد بن الطاهر ضد الحكومة العنصرية في مالي ، وخاض عدة معارك وجرح في إحداها . زار الجماهيرية عام 1980 والتقى به وحدّثني حديث المعركة .  
يقيم الآن بالجنوب الجزائري بأسرته ، وهو أحد أصدقائي في منطقة الصحراء الكبرى .

#### 4 - سلطنة (تكرير كريست)

من أهم الشخصيات التاريخية في هذه السلطنة :

- 1 - جداً جداً: قام بحركة اصلاحية في القرن السابع عشر الميلادي وشن حروباً ضد السلطنتين التارقية على أساس أنها لا تتبع طريقة الدين الإسلامي الحنيف والأحكام الشرعية . حاول القضاء على الفوارق الاجتماعية ، والطبقية في بلاد التوارق . خاض حروباً في هذا الخصوص وخاصة ضد سلطنة (آهير) آهير .
- 2 - الحسن آشا: جد قبيلة الامام في (كل أغلال) ، عاصر ازدهار السلطنة بعد ( جداً جداً ) وحركته الاصلاحية ، كما ساهم في إدارة سياسة البلاد في ذلك العهد .
- 3 - ختوتو: هو سلطان (تكرير كريست) في أواخر القرن الثامن عشر حاول الانحراف

عن مباديء (حدا حدا) فقام المسلمون بعزله ثم التجأ إلى (اطرام) لطلب الدعم واسترجاع منصبه.

4 - **أحمد الجيلاني**: تزعم ثورة (اينسلمن) ضد ختنتو وحارب كل المناوئين لتلك الثورة في السلطانات المجاورة وتوفي في سكتون 1816 .

5 - **يوسف بن أسامه**: أو إيسوف بن سامتو. الامام في ثورة المسلمين (اينسلمن) تنازل عن الامامة ليتولاها الجيلاني ونخاض الحروب مع الجيلاني ضد السلطانات المجاورة. وفي معركة (شيماناصلين) قتل ودفن في قبر واحد مع محمد بن الحسن ابن الشيخ الحسن آشا الذي قتل في نفس المعركة.

وقد كانت المعركة مع سلطنة (تمرزيداً) وبجميع (اينسلمن) في سلطنة (تكريريت).

6 - **السّحُو بن محمد الطاهر**: هو حفيد الحسن آشا. اشتراك في حروب الجيلاني وقد قبائل (اينسلمن) في سكتون بعد وفاة الجيلاني. تولى إمامية المسلمين، يساعدته البصيري بن أحمد (آيت آواري).

7 - **بو حنال بن كتمن**: من قبيلة (كل نان) اشتراك في ثورة الجيلاني، وحضر تسوية الأزمة في سكتون. تولى منصب السلطان ورجع مع الإمام (السّحُو) لوضع أسس جديدة لسلطنة (تكريريت).

8 - **موسى بن بو ضال**: ساعد أبوه في الحروب التي خاضها، وأثبت جداره فتنازل له أبوه عن السلطنة لكره سنة. قاد حرباً موفقاً ضد السلطانات المجاورة وخاصة سلطنة (آمير) التي قتل في إحدى معاركها حوالي عام 1855 م.

9 - **محمد بن الكميتي**: تولى السلطنة بعد وفاة عمه موسى، وسير إدارة السلطنة مدة تزيد على الأربعين سنة، شهد محمد في أواخر عمره قدوم الفرنسيين وكان لا يرغب في لقائهم ولم يحاربهم. توفي عام 1905 م. بعد أن وقع مندوبيه وثيقة تبعية سلطنة (تكريريت) للسلطنة الفرنسية.

10 - **عبد الكريم بن السّحُو**: هو الامام للسلطنة في عهد السلطان محمد الكميتي.

عاصر وصول الفرنسيين إلى المنطقة ، وحاول تسوية موضوع الخلاف الذي نشأ بعد وفاة السلطان محمد الكميتي وذلك على السلطة بين إسماعيل وأخزي ، ولكنه لم يفلح.

11 - إسماعيل بن لاسو: رشح نفسه لتولي السلطة بعد وفاة السلطان محمد الكميتي ولكنه لقي معارضة شديدة . غير أن الفرنسيين أيدوه ونصّبوا سلطاناً بالرغم من معارضيه .  
توفي إسماعيل عام 1911 م.

12 - أخزي: هو ابن أخت السلطان محمد الكميتي . كان مساعدًا لخاله في شؤون الحكم ، ورشحه رجال القبائل لتولي السلطة بعد وفاة خاله ، فعارضه أبناء عم السلطان فشار أخزي ، وقد مارك ضد أبناء عم السلطان الذين كان على رأسهم إسماعيل . وقد ساعد الفرنسيون إسماعيل فهاجمهم أخزي ، وبدأ يشن الغارات عليهم .

انضم ثورة كاوصن ، ولكن الفرنسيين قبضوا عليه مع مجموعات من أنصاره وأفراد قبيلته ، وأعدمه في مذبح رهيبة لم ترحم الأطفال والنساء والشيخ عام 1917 م.

13 - شفيق بن عبد الكريم: ساعد والده في مهام الامامة وخلف والده عند دخول الفرنسيين للمنطقة ، انضم ثورة كاوصن ولكنه رضي بالاستسلام وعاد للفرنسيين . حاول التدخل لدى الفرنسيين بالعفو عن السكان الذين استسلموا بعد فشل ثورة كاوصن .

14 - الخورير بن الرقبي: تولى السلطة بعد وفاة عمه إسماعيل ، وانضم لثورة كاوصن وانسحب معه إلى ليبيا حيث قاتل معه (خليفة الزاوي) وبعد مقتل كاوصن انسحب الخورير عائداً إلى الصحراء الكبرى مع السلطان (عبد الرحمن تاقاما) . وفي الطريق نفد ما عندهم من الماء ، وتشتت المجموعة ، وقد الخورير ويرجع أنه مات عطشاً.

غير أن المهدي بن علوة وهو من مرزق ، كان يقاتل مع خليفة الزاوي ضد كاوصن أخبرني عام 1972 أنهم تتبعوا مجموعة كاوصن المنسحبة إلى الصحراء ووجدوا اثنين

من رجالها مغمى عليهما من العطش فأرجعواهم معهم ليدلهم على (نوابض المدافع) التي عند كاوشن وبعد ذلك قتلوها وأحددها يدعى الخورين.

ورجعاً يكون هو، وكان ذلك عام 1918.

١٥- بازو بن الحورير: كان بازو قد لحق مع والده بكلاوشن وهو صغير، ورجع به أخيه محمد بعد فشل ثورة كلاوشن ومقتله وعودتهم إلى ليبيا. قللده الفرنسيون سلطنة (تكريكريت) بعد سجنه واحتجازه لعدة سنوات وبقي في هذا المنصب إلى أن توفي

عام 1958

5 - سلطنة آير

هذه السلطنة متاخفة لحدود ليبيا الحالية، وكذلك لسلطنة (آزفر). وأهم رجالاتها:

**١- بَلْخُو:** شيخ قبيلة (كيل أواي) قاد حروب آمير ضد (تكر يكريت) في عهد السلطان (موسى بن بوضلال) وكان ذا نفوذ قوى في المنطقة.

٢- الكابوس أق وان اكوضا: هو شيخ قبيلة (كيل افداي). تحالف مع تكريكريت وعارض سلطان (أقدز) كها كان ضد تدخل المقار في سلطنة آمير. قام بمطاردة غارة من المقار على مخيمه بقيادة سلطان المقار موسى أق اما سلطان، واستطاع الكابوس أن يلحق بالمغيرةين ويقتل أخا موسى المسماى بـلوأق اما سلطان. كما اشترك الكابوس في حرب ایظر وان إلى جانب تكريكريت ضد المقار.

3- السلطان عبد الرحمن تاقامة: هو سلطان أقذ أبناءه وصوّل الفرنسيين إليها. شارك في ثورة كاوشن، وانسحب معه إلى ليبيا ثم عاد إلى النيلجرو مواصلاً الجهاد حيث قبض عليه الفرنسيون في جبال تيستي في أثناء معركة غير متكافئة وكان معه عشرة أشخاص من أصحابه ضد سرية من الفرنسيين. حل مسجوناً لأقذ. وفي السجن قام النقيب (فيدالي) أمير الحامية الفرنسي بخنقه ليلاً ليتخلص منه. وكان ذلك في ليلة 30 أبريل 1920 . وهكذا استشهد ، رحمة الله عليه .

## 6 - سلطنة تمزقداً

نظرًا لوقع هذه السلطنة في منطقة الأراضي الخصبة فانها تعتبر من أقوى السلطנות التارقية، وأهم شخصياتها:

- 1 - إبراهيم: وهو الملقب بـ (أبرا). تولى السلطنة وقاد حربها ضد ثورة الجيلاني الاصلاحية، وتحالف في ذلك مع جيرانه من (كتشنا، وكوبير، وكل اقرس). كان من المثقفين القلائل في المنطقة إذ درس في زوايا ومساجد جبال آير التي لها علاقة بالطرق الصوفية في ليبيا.
- 2 - كاوشن: هو محمد كاوشن. ثار ضد الفرنسيين وانضم للبيهين في تشاد لمحاربة الفرنسيين وجرح في إحدى هذه المعارك ووصل إلى الزاوية السنوسية في (القفرة) حيث ساهم مع الليبيين في الجهاد ضد إيطاليا. وفي عام 1916 قام بحملته الشهيرة لتحرير شمال النيجر واستمرت تلك الثورة حوالي أربع سنوات. ولما عاد إلى ليبيا للتزويد بالتمويل والسلاح والذخيرة تمت محاربته في منطقة فزان من قبل خليفة الراوي كما تم القبض عليه وإعدامه من قبل عناصر من المشاشية وأولاد بوسيف بقيادة أحمد العياط. وكان ذلك في عام 1919 .
- 3 - موسى دمقر قوما: كان السلطان أثناء وصول الفرنسيين إلى زندر. رفض الاعتراف بفرنسا وقاومها واستشهد في معارك المقاومة في منطقة بحيرة تشاد إلى جانب المجاهدين الليبيين<sup>(1)</sup>.
- 4 - اق الخير: هو شيخ قبيلة (كل فروان)، عاصر فترة الادارة الفرنسية بعد تمزيق سلطنة (تمزقداً) من قبل الاحتلال الفرنسي، شارك في النشاط السياسي في عهد الادارة الفرنسية، وحاول الاحتفاظ بهيبة السلطنة بعد إلغائها.

---

(1) - محمد عبد الرحمن عبد اللطيف / مساهمة في دراسة تاريخ ومجتمع الطوارف شعب الصحراء الكبرى، خطوط مكتبة المؤلف / ص 401 .

## 7 - سلطنة كل اقرس

لما كانت هذه السلطنة تفصل بين التوارق والهوسا لهذا يبدو تأثير القبائل الأفريقية ظاهراً في شعبيها وعلى كل المستويات. ومن أهم شخصيات هذه السلطنة:

1 - الشيلكين: وقد تولى السلطنة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقاد حروب السلطنة ضد (تكريريت) و(اطرام) وتحالف مع (كوبير) و(تمزدا).

الباب الحادي عشر

الثوارق والاستقلالات الحدبية  
حاضرهم السياسي والاجتماعي



## الثورات والاستقلالات الحديثة

بقي التوارق في صحرائهم يتابعون في صمت النشاط السياسي في أفريقيا الغربية ونشوء الأحزاب التي تطالب بالاستقلال (الحزب التقدمي السوداني) و(حزب التجمع الديمقراطي الأفريقي) وكان القضية لا تعنهم كثيراً. خاصة وأنهم موغلون في الصحراء بعيداً عن الفرنسيين وعن الزنوج.

كما كان التوارق أيضاً يتابعون بإعجاب الثورة الجزائرية التي اندلعت ضد الفرنسيين في الجزائر في الفاتح من نوفمبر 1954 . وقاموا بمساعدتها وجمع التبرعات وتهريب السلاح لها، وايواء قادة الجهاد الجزائري في أراضيهم وفي خيالاتهم.

ولقد تأخرت استجابة شعب الصحراء الجزائري لنداء الثورة إلى ما بعد عام 1958 .

وفي عام 1958 قامت فرنسا بتفجير قبليتها الدرية في الحدود الجزائرية المالية. ومات الكثير من الأطفال والشيوخ من جراء الإشعاع الدرى. وأسمى المواطنون في تلك الصحاري ذلك العام بعام (الكحة) لأن الناس أصابهم السعال من جراء الإشعاع.

وcame المظاهرات في كل أنحاء الوطن العربي ضد هذه التجربة. وكانت شخصياً في ذلك الوقت طالباً بمهد العلمين بطرابلس فساهمت في قيادة مظاهرة طلابية تندد بهذا العمل. واستمرت تلك المظاهرة لأكثر من أسبوع تعرضت للقمع والضرب من قبل البوليس في عهد المملكة. ثم قفل المعهد لمدة خمسين يوماً ومنعنا من الدراسة.

ولم تكن فرنسا تكتفي بمثل هذا العمل. بل أعلن الجنرال ديغول بأنه يسعى لاعطاء الصحراء الكبرى استقلالها بعيداً عن البلدان المجاورة ويكون ذلك الاستقلال تحت الحياة الفرنسية. ويسمى باسم (جمهورية الصحراء) أو (جمهورية الطوارق) ودعا لهذه

الغاية وفداءً من عرب وتوارق مالي والنيجر إلى باريس لحضور احتفالات 14 يوليو  
الفرنسية عام 1958

وبعد أن جعلوهم يزورون المصانع الحربية ومصانع السيارات طلب الفرنسيون من  
التوارق والعرب (الوقد الصحراوي) أن يعلنوا عن رغبتهم في الاستقلال المنفرد تحت  
الحماية الفرنسية.. وإن فرنسا تستطيع أن توفر لهم كل ما يحتاجون إليه، وما عليهم إلا  
أن يعلنوا فقط.

وأجاب بعضهم أن فرنسا هي الأم ونحن أولادها وما تراه مناسباً نؤيدنه نحن. إلا أن  
بعض العقلاء منهم رفض ذلك العرض واعتبر هذا طعنة في ظهر الثورة الجزائرية لأن  
فرنسا في نيتها اقتطاع الجزء الصحراوي من الجزائر والحاقة بهذه الجمهورية المزعومة.  
كذلك يعتبر خذلانا للجهود الأفريقية المسلمة والراغبة في الاستقلال. وهذا عاد  
الرؤساء إلى مناطقهم قبل انتهاء مدة الزيارة المقررة.

غير أن بعض السلاح قاموا بتلبية رغبة فرنسا. ومن أولئك عقيد في الجيش الجزائري  
في منطقة (تمنغست) يسمى شعباني - أعدمه الجزائريون فيما بعد - ونقيب شرطة ليبي فرنسي  
من فزان والتحق بالقوات الفرنسية في تمنغست وكان من التوارق. قبضت عليه  
السلطات الليبية عام 1960 وسجين.

غير أن الليبيين قاموا بدور رائع لاشتعال الثورة في صحراء الجزائر، وأسهام  
الصحراويين صوت الرصاص. فلقد قاموا بحمل سرية جزائرية (من جيش التحرير  
الجزائري) بقيادة شخص يدعى الحاج علال تعززها كتيبة من الجيش الليبي إلى منطقة  
جبال غات بحيث تتسلل هذه السرية وتقوم بعمليات ضد الجيش الفرنسي لايقاظ منطقة  
الصحراء. كما قام الليبيون بغرس ألغام في طرق الدوريات الفرنسية.

وشعر الفرنسيون بالخطر وهددوا ليبيا وأنذروها ولكن العمليات استمرت. فقامت  
فرنسا بهاجمة قرية (إيسين) قرب غات بالطائرات. واستطاع الليبيون إسقاط طائرة  
وسقط من الليبيين شهيد وبعض الجرحى. وكانت الكتيبة الليبية تحت إمرة ملازم أول  
يدعى (يوسف القرلة) يساعده الملازم سليمان العبار<sup>(1)</sup>.

(1) — رواية المقدم المبروك مسيك الذي شهد الواقع وهو ضابط أمن حدود في ذلك الوقت.

وما أن سمع الصحراويون صوت الرصاص حتى سارعوا بالانضمام للثورة الجزائرية . وقد استقبل توارق مالي والنيجر وعربها مندوبي (جبهة التحرير الوطني الجزائري) وساعدوهم بالأموال والرجال . وأخفوهם عن عيون السلطة .

ولما تأكد للجنرال ديغول تجاوز الثورة الجزائرية خط التردد أعلن قراره الشهير بالاستفتاء في منطقة النفوذ الفرنسي بنعم أو لا . وذلك بعد زيارته لمناطق غرب أفريقيا . ورأى أن شعوب العالم لم تعد تتقبل الاستعمار العسكري المباشر ولكن عليه التفكير في نوع آخر من الاستعمار وطريقة أخرى غير هذه .

وأعدت البطاقات لهذا الاستفتاء . وصوت العرب والتوارق لصالح الاستقلال على أن يتفاهموا مع أخوانهم الأفارقة بعد الاستقلال على الطريقة التي سيحكمون بها . والمهم في هذه الفترة هو خروج المستعمر الكافر .

ولكن - وتقدرون وتضحك الأقدار - فالمدة التي بقيتها فرنسا في المنطقة ، وهروب العرب والتوارق من وجهها ومقاطعتهم لمدارسها وخططها التثقيفية جعلت الأفارقة السود يتبوأون المراكز المهمة في السلطة الجديدة نظراً لتفوقهم الثقافي ، ونظراً أيضاً لثقة الفرنسيين فيهم .

وبالتالي عندما انسحبت فرنسا تركت الادارة ومسؤولياتها جميعاً في يد الزوج . وبقي التوارق والعرب بعيداً في صحرائهم ، يضطهدون من جديد على أيدي حكامهم الجدد الذين يعتبرونهم دخلاء على المنطقة وأنهم لا فرق بينهم وبين المستعمررين البيض نظراً لبداية تغلغل القومية الزنجية التي بدأ مثقفوها الزوج المتعلمون في فرنسا يدعون إليها وعلى رأسهم (سينغور) الرئيس السنغالي الذي قال في إحدى خطبه (أنا موظف فرنسي في رئاسة الجمهورية السنغالية) . وهكذا وجد التوارق والعرب أنفسهم يخرجون من استعمار إلى استعمار ، ومن اضطهاد إلى اضطهاد لا فرق بين الفرنسي الأبيض المسيحي ، والأفريقي الأسود المسلم . كلهم يشرد هذا الشعب وكلهم يمتهن ، وكلهم ينظر إليه نظرة معاداة . وهذا وجوب على العرب والتوارق الخاذه طريق آخر في تعاملهم مع الحكومات الزنجية الجديدة .

## ثورة كيدال (1963)

تولى (موديبوكيتا) حكم مالي بزواجهها وعربها وتوارقها، وأظهر وجهًا تقدميًّا جعل التقديرين العرب ينظرون إليه نظرة خاصة أمثال المرحوم جمال عبد الناصر. بل ووقفوا يدعمونه ويساعدونه كما كان أيضًا الرئيس أحد بن بللا يعتبره صديقاً تقدميًّا لأنه كان من المطالبين بالاستقلال عن فرنسا.

وحاول موديبوكيتا أن ينشيء اتحادًا بين مالي والسنغال عرف باسم (الاتحاد مالي) معيناً بذلك مملكة مالي التي كانت تدير المنطقة في زمن من الأزمان. غير أن حليفه في هذا الاتحاد سنغور فك الاتحاد واعتقل موديبوكيتا الذي كان متواجدًا في السنغال للنقاش في إرساء دعائم الاتحاد. وأرسله مغفورةً في القطار المنطلق من داكار إلى باماcko.

وبدأ الاقتصاد المالي في التدهور خاصة وأن موديبوكيتا حاول أن يطبق الاشتراكية الصينية في بلده.

وبما أنه ليس هناك شيء يطبق عليه الاشتراكية في مالي. بدأ يضيق الخناق على الناس بالضرائب. وأرسل جنوده للشمال حيث يقيم العرب والتوارق في صحرائهم، وبدأوا يخسرون إبلهم وأغنامهم ناسرين دعاية تقول إن هناك دواء صينياً على هيئة حقن تحقن بها الماشي فلا تمرض أبداً.

وبدأ البدو على طبيتهم يصدقون ذلك ويحضرن إبلهم للتجمعات التي عينتها وحدتها لهم الحكومة ولكن جنود الحكومة كانوا يختلسون الألب بختم الدولة على اعتبار أنها أصبحت ملكاً لها وأمت من المواطنين.

وكان الجنود أيضًا في تجوالهم ينهبون الخيام ويمدون أيديهم لأموال الناس وحتى لأعراضهم. وشعر بدو الصحراء (توارق وعرب) بنوايا الحكومة. وأنهم خرجوا من استعمار أبيض ليحل محله استعمار أسود.

وهنا اجتمع مجموعة من قيادات المنطقة وعلى رأسهم زيد بن طاهر شيخ قبيلة إفوغاس. واللادي بشير من شباب إفوغاس، ويوسف الشيخ من شباب أدنان ومحمد الأمين من عرب الصحراء، والياس أحد أساتذة التوارق في مجموعة من التوارق والعرب

ووضحو مشاكلهم مع حكومة مالي وعدّوها، وقرروا أنه لا خلاص لهم من هذه الورطة إلا بالثورة.

وكانت للمجموعة بندق قليلة بعضها غير صالح للعمل، وبعضها بندق صيد. وانطلقت الثورة بعمليات صغيرة تعرّض طريق دوريات جنود موديوكينا وتستولي على إبلهم وسلاحيهم وتنزعهم من التوغل داخل مخيمات التوارق والعرب.

غير أن حكومة موديوكينا وجنودها أصبحوا كالثور المائج، وتتفجر في أنفسهم الحقد العرقي الدفين. فهاجموا المخيمات وبدأوا يقتلون الرجال كباراً وصغاراً. ومجلس (النقيب ديبي) المسؤول العسكري في الصحراء على رؤوس القتلى ويستجوب نساءهم.

واستباح الزوج نساء التوارق والعرب، وأخذوهنَّ قهراً إلى باماكي حيث تزوجوهنَّ غصباً كسبايا. وبدأ الزوج في تطبيق نظرية (الأرض المحرقة) حيث يستولون على حيوانات الصحراويين ومتاعهم، ويقتلون الرجال جميعاً دون استثناء مذنبين أو غير مذنبين، ويسبون النساء ويسمّون الآبار. وارتكب (النقيب ديبي)<sup>(١)</sup> أسوأ ما يمكن أن يرتكبه إنسان ضد أخيه الإنسان.

## اللادي بشير يروي أحداث الثورة

النقيب باللادي بشير عم 1981 وأخبرني أخبار الثورة. واللادي يسميه عرب الصحراء (بطل الجبل) لأنه وقف وحيداً يقاوم جنود مالي في الجبل يوماً كاملاً إلى أن نفذت منه الذخيرة . يقول اللادي :

«عندما بلغت سن العاشرة وجدت والدي يسكن وحيداً في الصحراء بخيته لا يجالط أحداً ولا يسكن أحداً. ولما سأله عن سبب ذلك أجاب :

«لقد عاهدت الله أنني لا أسكن تحت حكم النصارى ولا أنظر إليهم».

(١) – النقيب ديبي / قبض عليه في الانقلاب الذي قام به موسى تراوري ضد موديوكينا ووضع في مقطع الملح في تاودني يقطع الملح للقوائل. وكان الناس يدفعون 5 فرنكات لحراسه ليسمكتوهم من جلده جلدة واحدة وإذا رغبوا أكثر يدفعون أكثر. إلى أن مات.

غير أن الفرنسيين لم يتركوه في خلوته وهدوئه. فكانوا يتبعونه، ويترصّدون به الدوائر، ويترصدون له، ويرسلون له المراسيل ليحضر إليهم ويسلم سلامه.

ولكن الوالد كان يقابل ذلك بالرفض والتوعّل أكثر في الصحراء. وقال لأحد رسلهم ويُدعى (الخوان). (إنني لن أسلم بندقيتي للنصارى وأنا حي).

وركب الوالد جمله وسار في الصحراء. فتتبع جنود الفرنسيين آثاره حتى لحقوا به. وتبادلوا معه إطلاق النار. فقتل منهم جندياً (أحد المجندين) وقتل جملين من جملهم أحدهما جمل المسؤول الفرنسي الذي خرق ثيابه الرصاص وفر هارباً تاركاً جنوده لمصيرهم.

وسار الوالد متوجلاً في الجبل يرافقه أخي الأكبر الذي حصل على بندقية بعد هذه الواقعة حيث وصل إلى الحدود الجزائرية محتمياً بأحد المخيّمات التارقية هناك. وبقيت أنا وأختي الصغار وزوجة أبي وأمي مختبئين في الجبل.

واستغرق غياب أبي مدة طويلة من الزمن. وفي أحد الأيام سمعنا طلقة رصاص ظنناها من أبي يبحث عنا، فتوجهت إلى جهة الصوت. فلم أعثر على شيء فرجعت. وكانت الطلقة من جنود فرنسيين يبحثون عنا. فلما عدت وجدوا أثري فتتبعوه حتى وصلوا إلى الخيم. فهربنا أمامهم وتوزعنا في الجبل. فاستولوا على الماشي والخيام والنساء. وبقيت أنا خبئاً في الجبل يوماً وليلة. وكدت أهلك من العطش والجوع. وفي اليوم التالي وجدت أحد أحياء التوارق فبقيت معهم وأووبي.

وساق الفرنسيون النساء ووضعوهن في السجن ولما سمع أمير إفوغاس (الطاهر) ذهب للحاكم الفرنسي وطلب منه إطلاق سراح النساء تحت كفالته، فاستجاب له وأطلق سراحهن وسلمهن إليه.

ولما عاد والدي وصل إلى خيام الذين آووبي لمدة شهر. فأخذني وذهب معه إلى الأمير الطاهر حيث استلمنا بقية أفراد الأسرة ورجعنا ليلاً إلى الصحراء. وأخذنا جمالنا في سفر أنا والوالد نجلب الغذاء للعائلة فالتقينا مع فرقة فرنسية وتبادل معهم الوالد إطلاق النار وقتلوا لنا جملين من جمالنا ونجونا منهم.

وفي الليل اقتنى الوالد آثار الجنود يليلهم ليلحق بهم ولكنه لم يلحق بهم فعاد إلى مع الجمال وسرنا للخيام. وفي أحد الأيام وردت البئر أسفى مواشينا مع زميل لي فوجدنا عقب سيجارة على البئر فعلمتنا أن الفرنسيين مرروا من هنا فتبينوا أثراً لهم إلى الليل حيث وجدناهم في مخيم للتوارق فأحسوا بنا وطاردونا إلى الصباح ونجونا منهم. ولكن في الصباح لحقوا بنا وهاجوا المخيم فأسرروا بعض العائلات والمواشي، وتفرقنا منهم هرباً في الجبال.

وكان عدد الفرنسيين أربعين جندياً يمتطون الجمال (المهاري). ولما عاد الوالد وسمع الخبر اقتنى أثراً لهم مع خمسة من زملائه ففاجأهم ليلاً وقتل لهم خمسة وعشرين جلأً من جمالهم. وغنم مع أصحابه خمسة جمال، وعادوا إلى سالين. وبقوا يتربون مرور الفرنسيين في الصباح. ولما مرروا تبعوا أثراً لهم ولحقوا بهم وتبادلوا معهم إطلاق الرصاص ولكن لم يصب أحد من الفريقين.

وفي أحد الأيام بعد هذه الواقعة ذهب ابن عمي ليصطاد الغزلان. فسمع جنود الفرنسيين إطلاق رصاصه فهاجموه وأوثقوه كتفاً وأرغموه أن يدهم على موقعنا. وكنا في واد. أبي يجلس تحت شجرة ومعه أحد أصدقائه. وزوجة أبي تحت شجرة أخرى بعيدة عن الجماعة بعض الشيء. وأنا أجلس تحت شجرة ثالثة ومعي أخي وراعي الغنم. وكانتأشجار الطلع متباينة عن بعضها. وكان الوقت ظهراً.

ولما اقترب الجنود منا ترجلوا من على جمالهم وهاجمنا على الأقدام. وقبضوا على زوجة أبي وأمسكوا فمهما حتى لا تصيح. ثم أطلقوا النار على أبي فكسر وايده وبادهم إطلاق الرصاص وهو مكسور اليدين، ولكنهم أطلقوا عليه النار مجتمعين فأصابوه في صدره وقتلوه كما أطلقوا النار على شقيقتي فكسر وايده وصار يحاول سحب الأقسام بيده السليمة ثم بفمه ولكنهم لم يهلوه فأطلقوا عليه النار وقتلوه.

وفرت أنا حيث وصلت إلى بعض أصدقاء والدي الذين هرعوا معي إلى مكان الحادث فأخبرنا أحد الرجال أن الوالد وشقيقتي قتلا. فذهبت هائماً على وجهي حيث وصلت إلى أحد أصدقاء أبي فاستيقظت عنده لمدة أشهر وألحقني بالكتاب عند فقيه يعلم الأطفال في مثل سني القرآن حيث بقية عنده ثلاثة أعوام. وبعد هذه الفترة انتقلت إلى

الجزائر طالباً التطوع في جيش التحرير الوطني. ولكن الجزائريين رفضوا طلبي لصغر سنى فعدت إلى الصحراء.

هذه الأحداث جميعها أثرت في نفسي وتركتي أمقت الظلم المستعمر وأصبحت متشوقاً للثورة والقتال.

ولما قرر زيد بن الطاهر وجماعته الثورة في اجتماع عقدوه لهذا الغرض لم أكن حاضراً الاجتماع، ولكنني كنت توافاً مثل هذه الثورة، وقررت الحصول على السلاح بأي ثمن.

وعلى بشر (تيمياوين) كان الجنود الماليون يجلسون ويجمعون الضرائب من الشعب. لجئنا إليهم أنا وأحد زملائي... ووجدناهما النين. بقينا معهما عدة أيام نتحسين الفرصة لانتزاع سلاحهما والفرار به. وأخيراً جاءت الفرصة. فلقد جاء أحد التجار الجوالين للبشر، ونشر بضاعته، وتجمعت حوله الناس يتفرجون ويشترون. كما جلس الجنديان أيضاً في جمارة المحيطين بالتجار وتركا سلاحهما عند متابعيها على البشر.

وهنا قفزت أنا وزميلي واستولينا على البنادق وكذلك على جل من جمالها. ولكن أحد الجنود رأنا فجرى نحونا ولكننا أطلقنا عليه النار فوق يردد الشهادة، ولم نصبه.

ومضينا في طريقنا، ولكن ذلك الجندي - وكان من التوارق المجندين مع حكومة مالي - استمر يتابعنا ويوسط الناس في الأحياء التي نمر بها لنرجع لها بنادقيها.

وتوسط أخوه زميلاً بيننا وطلب منا اللقاء به فنزل له زميلاً من الجبل. فقبض الجنود عليه. أما أنا فرفضت اللقاء بأحد وصعدت الجبل فأطلقوا علي النار وبادلتهم الأطلاق. ولكنني لم أصب ولم أصب أحداً منهم.

وأخيراً توسط أحد أقاربي في أن أسلم له بندقية الحكومة على أن ينحني بندقية أخرى، وفعلاً فعل ذلك. وأخذ للمجندي بندقيته. فقبض عليه الجنود ووضعوه في السجن إلى أن توفي رحمه الله، لأنه لم يحضرني إليهم.

وفي الأيام التي حصلت فيها على البندقية انطلقت مجموعة زيد واستولت على مجموعة من إبل الجيش. وتبادلوا معهم إطلاق النار وتمكن سيدى الأمين من تبع آثار الجيش وقتل واحداً منهم ولحق ب أصحابه.

وكنا جميعاً في هذه الثورة لا نقتل الجنود البيض من (العرب والتوارق) المتواجددين في جيش مالي لأننا نظنهم معنا. وكنا إذا أسرنا أحدهم نأخذ سلاحه ونطلق سراحه.

وأجتمعنا سبعة ثوار. سيدى الأمين، وسالم، وبشير، واحمادو، وسميتا، وابراهيم، وأنا وقررنا الهجوم على قرية (بوغصة) وهاجناها. واحتمنينا بالجبل. وصلّتانا عن القرية ثلاث سيارات تحمل أسلحة أوتوماتيكية. فانسحبنا من الجبل ولحقنا بزيد الذي وجدنا أن الجنود الماليين هاجموا خيامه، وأنحدروا زوجته وابنه وسجّلوا مدينتة كيدال.



## الحرب الجزائرية - المغربية 1963

### وأثرها على ثورة كيدال

ما أن استقلت الجزائر حتى قام المغرب بالطالبية بمنطقة ولاية الساورة (بشار، تندوف) باعتبارها جزءاً من ترابه، والحقيقة أن الفرنسيين لما استولوا على منطقة المغرب العربي بدأوا يسعون الجزائر على حساب المناطق المجاورة لأنهم يتوقعون أن الجزائر لا يمكن أن تخرج من السيطرة الفرنسية ويعتبرونها ممتلكات فرنسية.

وكان الإخوة الجزائريون في أثناء الثورة الجزائرية يطمئنون المغرب، وكذلك ليبيا، ويطلبون منهم عدم تحطيم الحدود مع الفرنسيين. وعند استقلال الجزائر فإنها ستخطط الحدود مع إثيوبيا العرب حسب الخريطة الموجودة قبل الاستعمار الفرنسي.

لهذا أوقف المغاربة والليبيون أي محاولة من الفرنسيين لتحطيم الحدود معهم.

ولكن ما أن استقلت الجزائر حتى رفض الجزائريون أي تنازل عن الحدود الموروثة عن الاستعمار والتي أقرتها منظمة الوحدة الأفريقية. متذكرين لوعود زعماء الجهاد الذين قُتلوا في المعارك أو صُفّروا بعد الثورة في بدايات الاستقلال.

لهذا أعلنت المغرب استرداد المنطقة بقوة السلاح ونشبت الحرب بين الجزائريين الذين وقفت معهم مصر (عبد الناصر) وبين المغاربة.

ووقف الرئيس (موديبوكيتا) رئيس مالي يعلن وساطته بين الأخوة المتحاربين. ودعا لاجتماع بين الملك الحسن الثاني والرئيس أحمد بن بلة في باماcko. ولبيثت الملك الحسن امتنانه للرئيس المالي قبض على الأمير محمد علي الانصاري المتواجد بالمغرب في تلك الأيام وسلمه لموديبوكيتا.

وهنا يتحدث اللادي بشير:

«أرسلني زيد للجزائر لحس النبض في امكانية دخوله الجزائر لشرح قضية شعبه . ولشراء ما يلزم الثوار في صحرائهم ، ولكن أحد الجزائريين قال لي قبل لزيد لا يأتي للجزائر لأن الجزائريين والماليين متفقون على تأمين حدودها ، والتتعاون فيما بينهما على ذلك .

ورجعت لزيد وأبلغته ما سمعت . فأجابني «إذا رفضتني الجزائر ستسمح لي بالذهاب لبلد عربي آخر» وذهب للجزائر . وكان الحسن الثاني قد سلم محمد علي الأنصاري وليثبت الرئيس أحمد بن بلة أنه أفضل من الحسن الثاني لموديوكينا قبض على زيد بن طاهر والياس والثين أو ثلاثة آخرين من زعماء الثورة وشحنهما في طائرة خاصة وسلمتهم لموديوكينا الذي أودعهم السجن في باماكو . كما سمحت الجزائر للقوات المالية بالدخول إلى أراضي الحدود الجزائرية لمطاردة الثوار .

ويقول اللادي :

«بعد القبض على زيد وجماعته تحيرنا وبقينا لا نعرف ماذا نصنع . غير أن الزنوج هاجوا المنطقة الشمالية وبدأوا في ترحيل المخيمات التارقية والعربية للجنوب . فاجتمعنا ستين رجلاً ثملث خس بنادق وقررنا مهاجمة المخيم الذي يتواجد فيه الجنود الماليين . والتقيينا بمجموعة من النساء يجلبن الماء من البئر . فطلبنا منها أن يخبرن الجنود ليخرجوا لمقاتلتنا وفعلاً تم ذلك فأحرقوا لهم سيارة وقتلنا جندياً منهم وفرّ الباقيون . ثم نصبنا كميناً لمجموعة من السيارات استولى جنودها على إيل لأحد المخيمات واستطعنا تخلص الإيل . وغنمنا مدفعاً رشاشاً وجهاز لاسلكي كنا لا نعرف استعماله فكسرناه .

ومن ذلك المكان توجهنا إلى الحدود الجزائرية حيث بقينا مدة من الزمن نجمع صفوفنا ونسترد انفاسنا .

ولما عدنا وجدنا السينخ (انتا الله بن الطاهر) يبحث عنا للتفاوض مع حكومة مالي ويطلب منا التسليم . والشيخ (انتا الله) هو أخو زيد ومعتمد من قبل السلطات المالية لتولي شؤون الصحراء . والتقيينا معه ، ولكننا رفضنا طلبه . وزادت حكومة مالي بإرسال وفد للتفاوض معنا تحت رعاية (انتا الله) ولكن رفاقي رفضوا شروط التسليم .

واستمر الجنود الماليون في البطش بالمخيمات وأسر الرجال وسيبي النساء والأطفال .

وكليا هاجروا خفياً نصبنا كميناً لهم واسترجعنا ما نهبوه منه. غير أننا لم نستطع أخذ الثأر للقتل من النساء والأطفال والشيخ والعزل الذين كانوا بالملات وذلك لأن السلاح ينقصنا.

وفي النهاية قررنا الهجوم على أحد المعسكرات للحصول على السلاح. واجتمعنا حوالي مائة شخص، وكان معينا يوسف الشيخ وقررنا الهجوم على قرية (تسليت) وهجمنا ليلاً على غزن الأسلحة. وحصلنا على عشرين بندقية وجُرح يوسف جراحًا طفيفاً.

وبعدها أقمنا كميناً لدورية مالية قرب قرية (أجلهوك) فأعطينا سيارة وقتلنا سائقها وكسرنا رجل امرأة وكان الوقت ليلاً حيث ظنناها رجالاً. وغنمنا بندقيتين وافترقت مع مجموعة باتجاه الحدود الجزائرية أنا وزميل لي جزائري. وصادف أن أطلقت النار على غزال لتنغربي به، فسمع العدو رصاصة وهاجمتنا مجموعة من السيارات، فتقدمنا إليهم زميلي الجزائري ظنناً منه أنهم لن يقبضوا عليه لأنه جزائري، وكان على جمله قربة الماء التي تحملها معاً. فقبضوا عليه وصيّبوا عليه البنزين وأحرقوه وحاصروني في الجبل وصرت أبادهم إطلاق النار إلى المساء حيث نفذت ذخيرتي فقبضوا علي وأوثقوني بالقيود ووضعوا في عيني التبغ وبدأوا يحملونني بالسياط، ويضغطون بحبل القيد على يدي إلى أن تورمت يداي ورجلائي فقدت الاحساس فيها وتهرأ ظهري من الجلد. وبعد يومين أو ثلاثة بدأت الديدان تتکاثر في جروحي.

«ولقد رأيت شخصياً ظهر اللادي ويديه وكأنها محروقة بالنار من أثر التعذيب».

وهكذا قبض على كل قيادات الثورة وبقيت مجموعاتها الصغيرة تهيم في الصحراء بدون قيادة. وبعد سقوط موديبوكيتا وفدو موسى تراوري للسلطة خفت التعذيب على المسجونين ولكنه أبقىهم في السجن بدون محاكمة منذ عام 1963 .

وفي يناير 1974 زرت شخصياً باماكو للاتصال بهؤلاء السجناء في محاولة لإنراجهم. وقد أرسلت إليهم من يخبرهم بوجودي وطمأنتهم على أننا في ليبيا نسعى للافراج عنهم. وفي نهاية عام 1974 فرّ اللادي من السجن وجاءني في طرابلس عام 1980 ورجع ثانية إلى عام 1981 وروى لي قصص الثورة.

كما زارني أيضاً يوسف الشيخ الذي يقيم في الجزائر عام 1980 وروى لي حكايات

الثورة. وأفرجت مالي عن بقية المجموعة بعد أن هدّها السجن والمرض وكبار السن، وذلك في أوائل الثمانينيات لكنني سمعت أخيراً أن الجزائر سجنت اللادي خافة أن يقوم بالثورة ضد مالي !!

هذا بالنسبة لمالي. أما توارق النيجر فكانوا أحسن حالاً أيام الرئيس دبوري هاماني. ولكن ما أن أطاح به حسين كونشي حتى تبدل الوضع بالنسبة لهم. وببدأ الزنوج يضطهدونهم ويضغطون عليهم لغادرة المنطقة إلى الشمال.

وقام هؤلاء بمحاولة انقلاب بقيادة النقيب (سيدي) وهو عربي وذلك عام 1976 ولكن كونشي استطاع أن يقبض على مدير الانقلاب ويعذّب سيدي ومن معه، والذين فرّوا من العرب والتوارق حكم عليهم بالإعدام غيابياً أمثال محمد موسى أحمد الذي وصل إلى ليبيا ولا يزال يقيم بها هرباً من بطش حكومة النيجر<sup>(١)</sup>.

أما توارق الجزائر، ولبيبا فقد اندمجوا في الشعب وأصبحوا مسؤوّلين سياسيين حسب قدراتهم وأصبح منهم الضباط والمدرسوں والحرفيون. وتحولت بيوتهم التقليدية إلى فيلات أنيقة داخل المدن والقرى التي يتواجدون بها. والذي لا تعرفه من التوارق لا تظن أنه تارقي فلم يعد يميزه عن الآخرين شيء وأصبحت العمامات والقمصان الفضفاضن لباس المناسبات التقليدية.

## واقع التوارق في الصحراء الكبرى

يعيش التوارق اليوم في صحرائهم عيشة ضنك، اجتمع عليهم فيها الجفاف، وظلم الحكومات واحتقارها لهم وفقدانهم لموارد رزقهم، والتمييز العنصري من السود ضدّهم.

ولقد شاهدت منطقة الصحراء الكبرى (مالي، موريتانيا، النيجر) منذ سنوات 1972 وحتى 1981 في رحلات متتابعة. وشاهدت المجاعة كيف تُطْشَّ بهؤلئه القبائل البائسة. ولقد منعت حكومة مالي وصول الإمدادات والغوث لهؤلاء المساكين، كما منعت دخول الصحافيين لمنطقة مخيّمات التوارق الجوعى. وقد كتبت إحدى الصحف

(١) — رجع محمد موسى إلى النيجر بعد وفاة حسين كونشي.

الفرنسية عام 1973 أن أحد صحفيها وصل إلى هذه المخيمات وقال: «إنه ما بين خمسة وعشرين رجلاً وثلاثين يموتون يومياً في مخيمات التوارق من المرض والجوع».

وتكدست عائلاتهم في مخيمات على الحدود المالية الجزائرية في (تمنغست) وفي (تيمباوين) و(برج المختار) وغيرها. يزحفون كالأشباح في محاولة للوصول إلى العيش.

ولقد شاهدت الجزائريين يبعدونهم من الحدود، وشاهدتهم في جنوب الجزائر يشحذون في سيارات كبيرة كالأغنام ويلقون في الصحراء حيث يلاقون مصيرهم بلا زاد وبلاماء. أما مجتمعاتهم في (تمنغست) فهي مجيبة للسواح يشاهدوهم بالعشرات (كأي حيوان غريب) وينشرون صورهم بأزيائهم التقليدية. وحدث نتيجة لهذه المأساة أن تمزقت الأسر والعائلات، وهرب الشباب القادرون على الفرار نحو البلدان المجاورة، وتهدمت البنية الاجتماعية، وانهارت الطبقات ونشط بعض تجار الرقيق لبيع صغار التوارق في نيجيريا وغيرها.

ودخلت الكنائس هي الأخرى في السباق، وبدأت تشتري أولاد التوارق بعنز أو عنزين للولد الواحد أو البنت تُعطي لولي الأمر لحلبها نظير أن يسلم ابنه للكنيسة لتعليمه والعناية به !! . وبعد عامين أو ثلاثة يأتي الوالد ليستلم ابنه فيرفض الولد مصاحبة والده ويصبح الصغير مسيحياً.

ولاول مرة في تاريخ المنطقة تشييد الكنيسة كنيسة لها في منطقة التوارق في (قاو) وكذلك في (تبنيكتو). وتشتت نساء التوارق، فقدت نبلتها وتقاليدها وأصبحت - مع الأسف - تبحث عن قوتها بكل شيء. ووصل بعضهن إلى فرنسا في مسيرة للبحث عن الرزق، وتفرقن في عواصم الدول الأفريقية المجاورة.

وهكذا تخلى هؤلاء القوم عن كثير من مزاياهم الجيدة والممتازة، ونبي العرب والمسلمون جهادهم المستمر وحملهم راية الحضارة الإسلامية لعدة قرون من الزمن، في مجاهل أفريقيا، وحفظهم لكرامة العرب والمسلمين في الأندلس لأكثر من قرن من الزمن.

وأمام هذا الوضع السيء الذي وصل إليه حال قبائل الصحراء الكبرى، قامت الثورة في ليبيا الجماهيرية - شعوراً منها بمسئولياتها تجاه الضعفاء والمظلومين، وإحساساً

منها بوحدة الدين والعرق بينما وبين هؤلاء الناس - قامت بتبنّيهم وانتشالهم من مأساتهم المبكية حيث ألقى العقيد معمر القذافي قائد الثورة خطاباً بهذا المخصوص في بلدة أوباري بالجنوب الليبي في 16 أكتوبر 1980 شرح فيه الاضطهاد الذي يلاقيه التوارق، وأعلن أن الجماهيرية مفتوحة الأبواب للتوارق ليعودوا إلى وطنهم ليبيا ويعيشوا مع إخوتهم الليبيين .

ومنذ ذلك التاريخ اندفع آلاف التوارق إلى ليبيا للعيش بسلام وهدوء تبتلعهم المدن والمصانع ويعيشون بين إخوانهم الليبيين في عبة ووئام.

أما أولئك الذين دفعتهم الظروف القاسية للتجه إلى أوروبا وخاصة فرنسا فإنهم يعيشون عيشة الضياع وقد مسخت شخصيتهم وأصبحوا بقايا أناس لا يمتون لأهل الصحراء بصلة .

ولكن هل حلّ الليبيون مشكلة قبائل الصحراء؟ في الواقع لا . فإن آلاف الأسر لا تزال تعيش في الصحراء مفضلة الموت تحت خيامها على الانتقال من مرابع صباهم وأبار آجدادهم يتأملون بصمات آجدادهم على صخور تاسيلي والهقار وتيسطي وجبال أدغاغ ، وأيّر، يغذون في أولادهم الحقد المقدس على الاستعمار الفرنسي الذي أوصلهم لهذه الحالة .



جبل الجنون بالقرب من غات وقد شقت بجانبه طريق معد يصل غات بسبها.

تارقى بكامل زينته وكذلك جله الذى يعطيه استعداداً  
للانطلاق في السباق.

بعض رجال التوارق في احتفال شعبي.





سباق المهاوى في الأفراح، وقد تجمعت النسوة حول الطبل (التبينى).



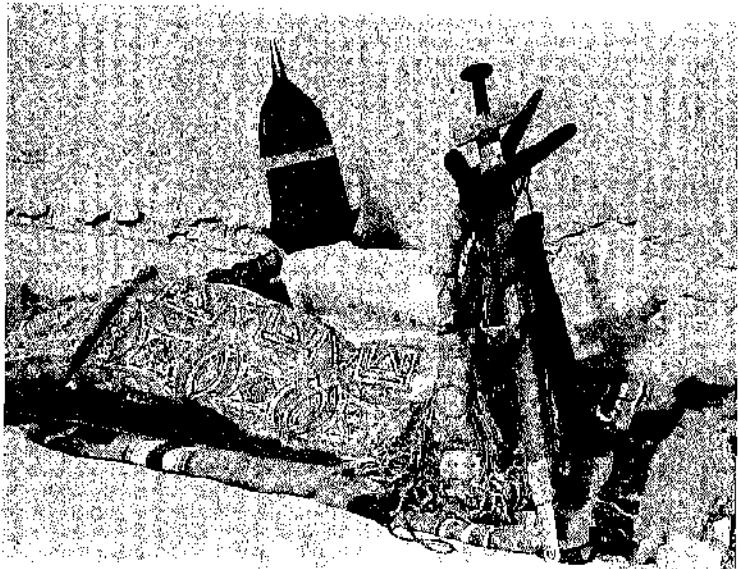
تارقى ينطوى جله بكمال زينتها.

سباق المهاوى.



راحلة تارقية وفي مقدمتها معلقة حقيبة من الجلد تسمى شكتوش يضع بها المسافر زاده في الرحلة.

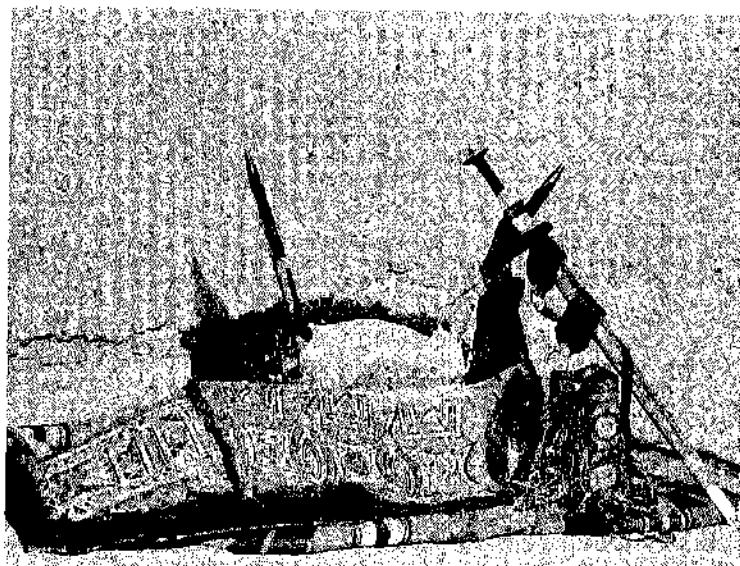




راحلة تارقية بكامل معداتها، وفي  
مقدمتها معلق السيف.

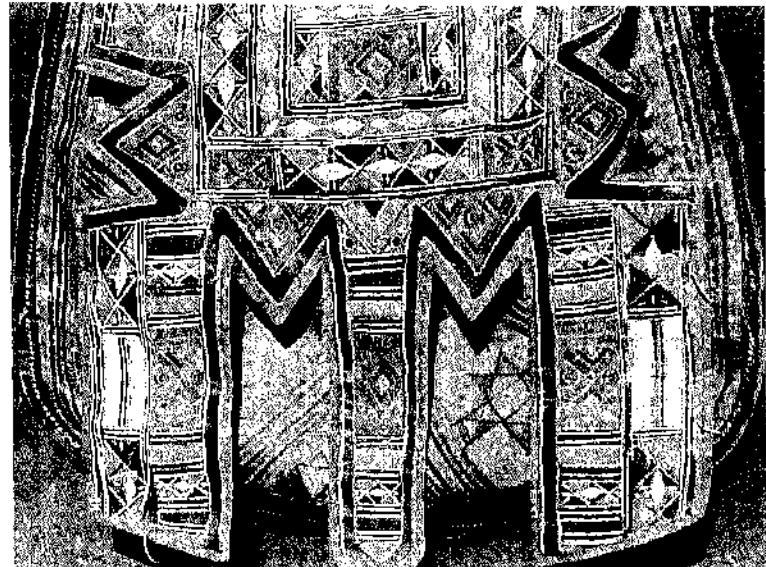


بعض رجال التوارق يتطون صهوان  
المهارى.



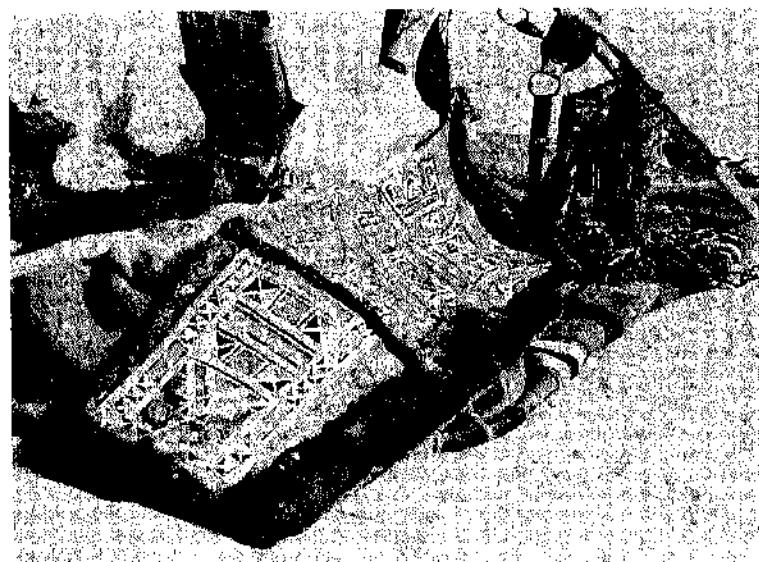
أثاث الجمل، الذى يوضع مع الراحلة.

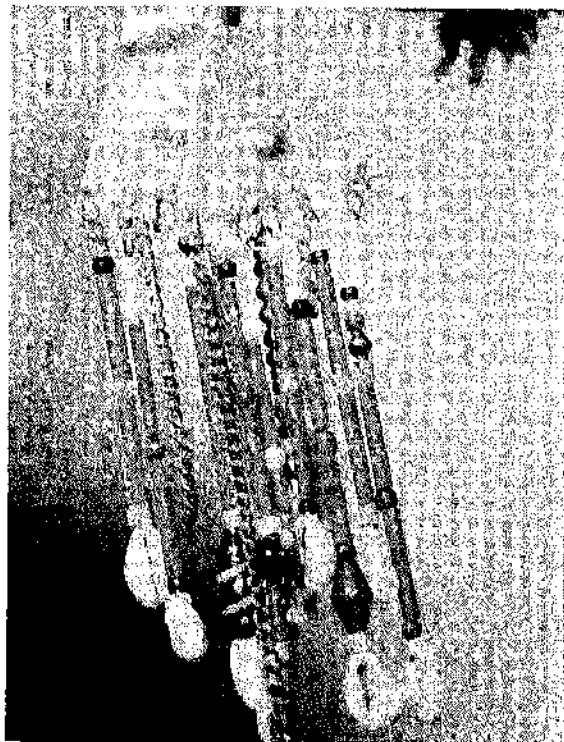
(جبيرة) من الجلد المزین، يعلقها  
التارقى على راحلة الجمل ويضع فيها  
لوازمه الخاصة، وتسمى (الجبيرة).



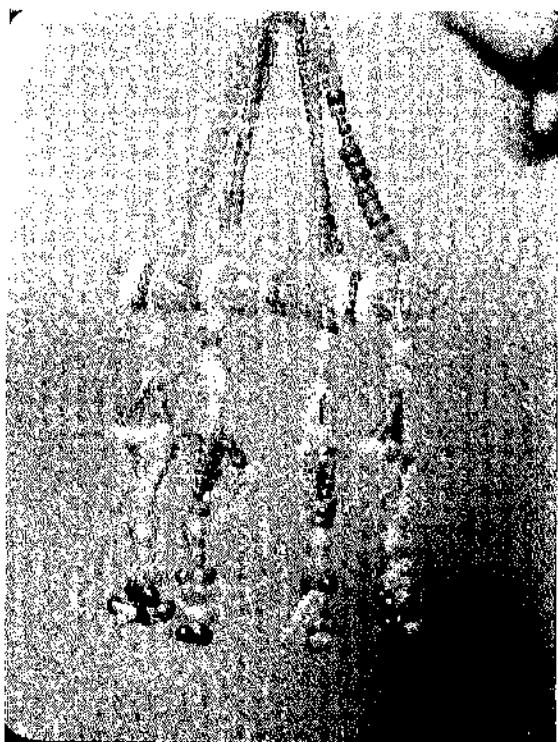
الراحلة التي توضع على غارب الجمل  
المهري، ويركبها التارقى.

قطع منقوشة في القماش تسمى  
(تيسات) توضع تحت الراحلة لتقى  
الجمل لقل الراكب.





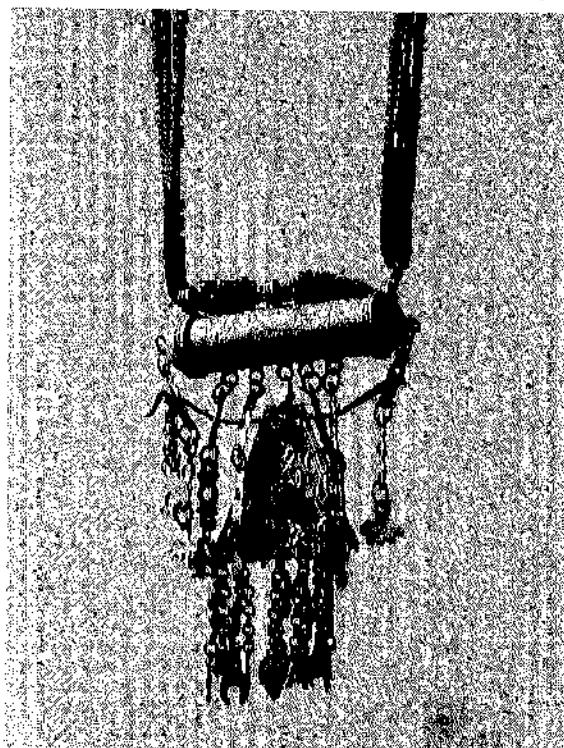
أقراط من الفضة والمرجان تليسها التارقية في المناسبات وأكثر من يلبس مثل هذه الأقراط التارقيات السود.

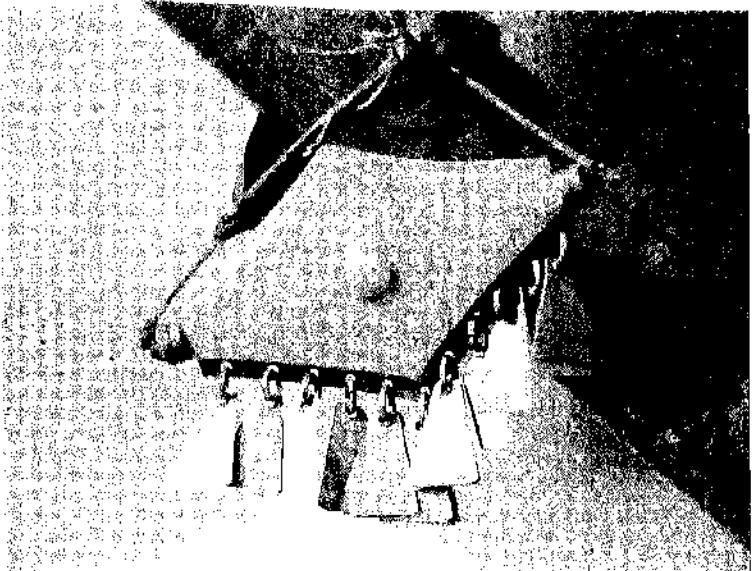


عقد من المزّ تلبسه المرأة التارقية في المناسبات.

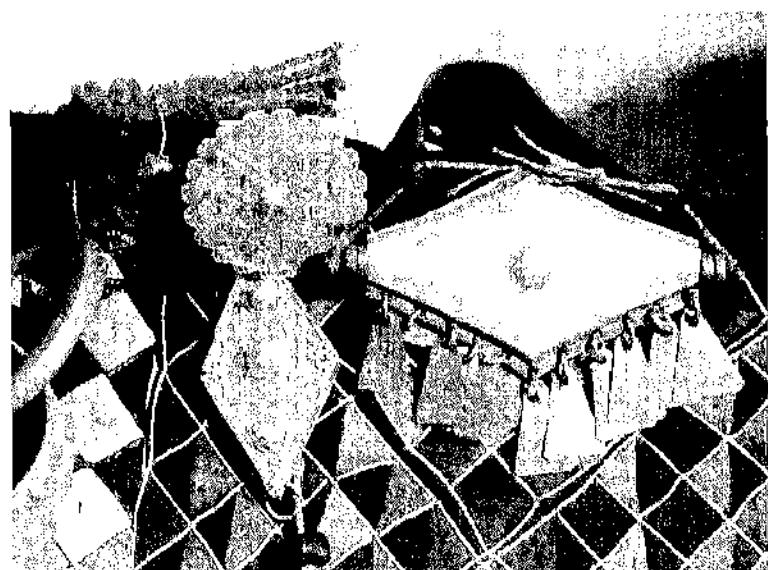
قطعة من الفضة تضعها النساء التارقيات في رقبتهن وعوجهة من الداخل حيث يوضع في داخلها (حرز) يحمي المرأة الشهور.

(حجابات) يضعها التارقى في رقبته اتقاء للشر وطردًا للحسد وجلبًا للهيبة وأحياناً في بعضها ضد الرصاص.

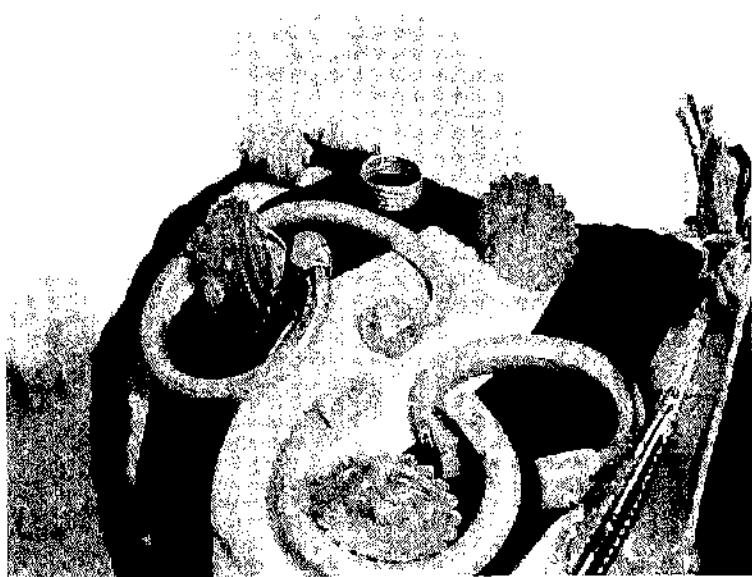




حل المرأة التارقية وهي قطعة من  
الفضة تضعها في رقبتها وتسمى  
(تكادضي).



حل مختلفة من الفضة تغطي على  
خاتم، وزينة للرقبة وقرط، وخلخال.



خلخيل (إيشيدان) ونواتم وعقد من  
العقيق. تلبسها نساء التوارق ولو أن  
أهل التوارق لا يستخدم سياو هم  
الخلخيل.



محفظة من الجلد يوضع بها (النفأة) (السعوط) ويعمل بها  
التارقى في رقبته، وتسمى (لينفت).



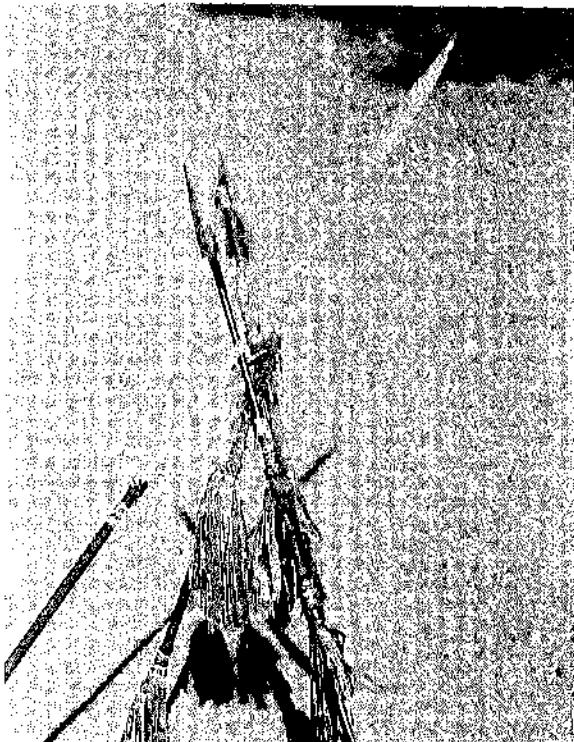
كيس من الجلد تضع فيه التارقية بعض عطورها.

حلى نسائية تارقية وقد عرضت على مؤخرة الراحلة في  
معرض غدامس للمعجناتيات التارقية.



(مكحلة) تضع فيها المرأة التارقية الكحل.





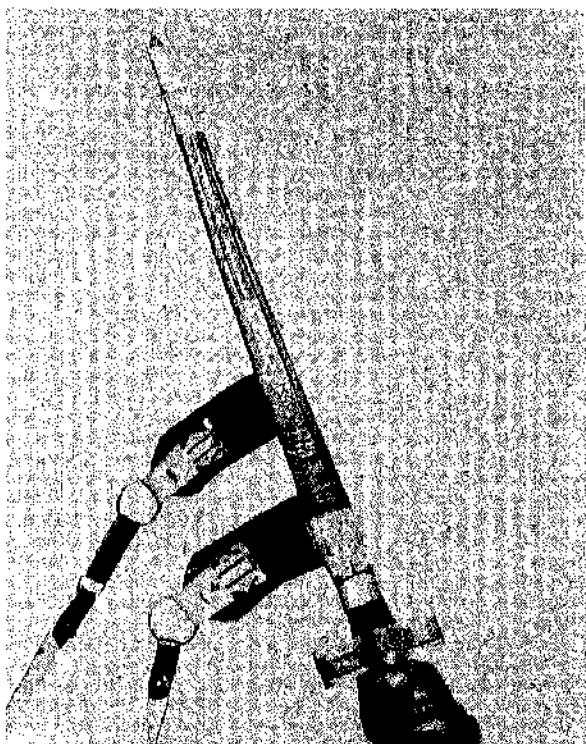
رماح تارقية.

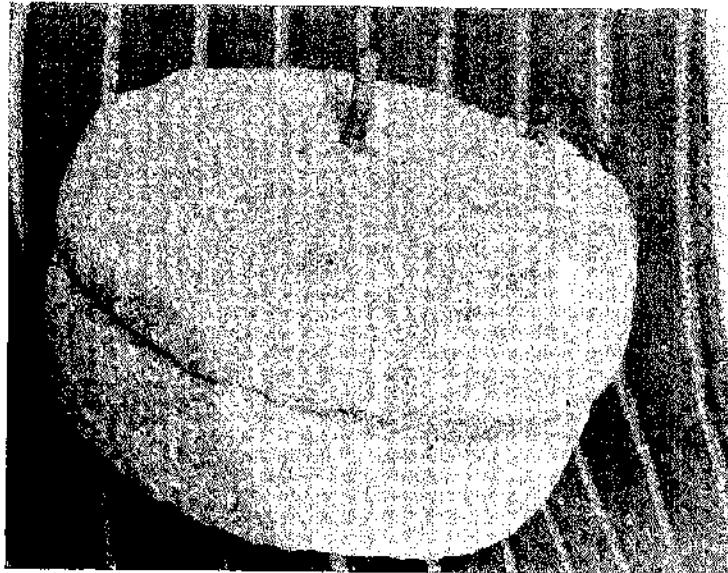


خيمة تارقية من المثلث.

رماح تارقية مختلفة الأحجام والأشكال (معرض المقتنيات  
التارقية - غدامس -).

سيف تارقى ويلاحظ الغمد المنقوش والمحائل من المثلث.

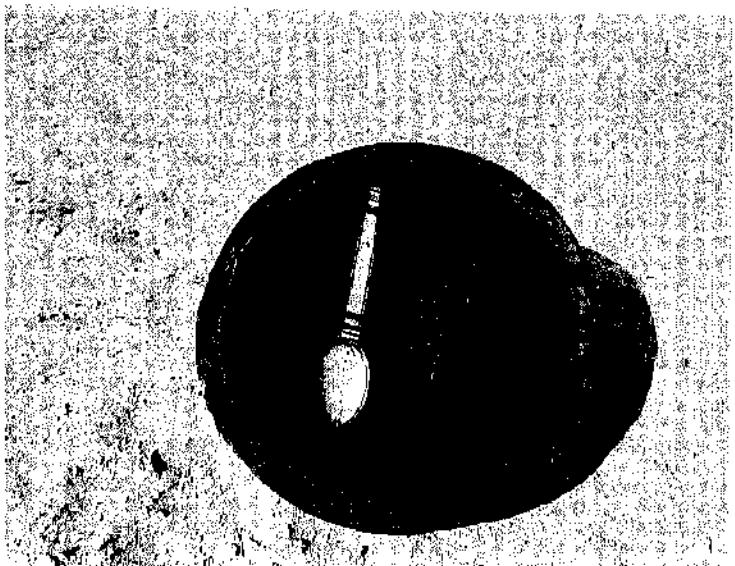




(رحا) من المجر تستخدم عند سكان الصحراء عموماً لطهي المأكولات، ولكن رحاة التوارق مختلف عن هذه فهوى عبارة عن حجرين تدعى كلها الخادمة بعضها.



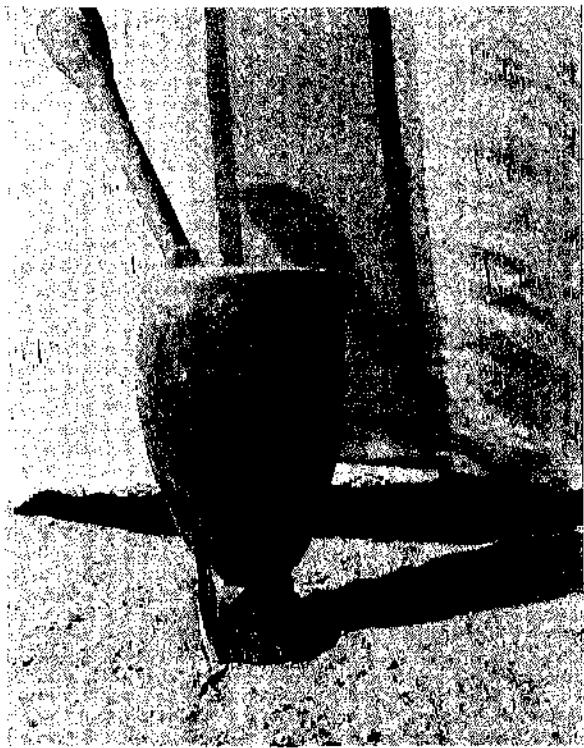
قدح من الخشب ويسمى عند التوارق (اطضا).



قصارة وملعقة من الخشب يستخدمها التوارق في طعامهم.



تارقى من المقار يطهى الشاي وحيداً في الصحراء، ومن خلفه أحجار المقار الناتحة.



هاون من المتشب ويسمى عند التوارق (تيشدي).



أمرأتان من التوارق تدقان الذرة في المساون استعداداً لطبخها.



وجه من التوارق.



تارقية تحضن طفلاً وهي بكامل زينتها.



تارقية تحب عزالتها.



تارقى يضع الميز في النار.

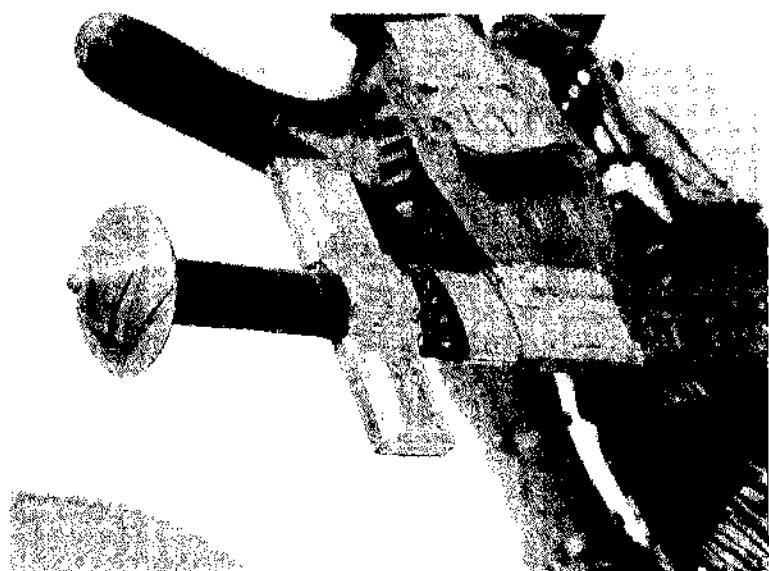


تارقى يطهى طعامه في قدر معلقة على النار.

وجه من التوارق.



سيف تارقى معدنیق على مقدمة  
الراحلة.



وجه من التوارق وقد تعمم بالبنية.





كوخ من الخوص، او راغن (غات).



اثنان من عرسان توارق او راغن في كوخ مفروش مع رفقائهم من الشباب. (غات).

تارقى بلباسه الكامل استعداداً لركوب (المهرى) للسباق في عرس بفات.



الله تشبة (القنتها) يضر بها هذا التارقى بعصاه في الأفراح.





جموعة من التوارق يلمّبون (المربقة) (السيزة)  
والتي يسمعونها (دارة).



تارق يتلّو القرآن في (المحضر).

غريس من توارق أوراغن. وقد ليس العمامه السوداء المتدخلة مع العمامه البيضاء





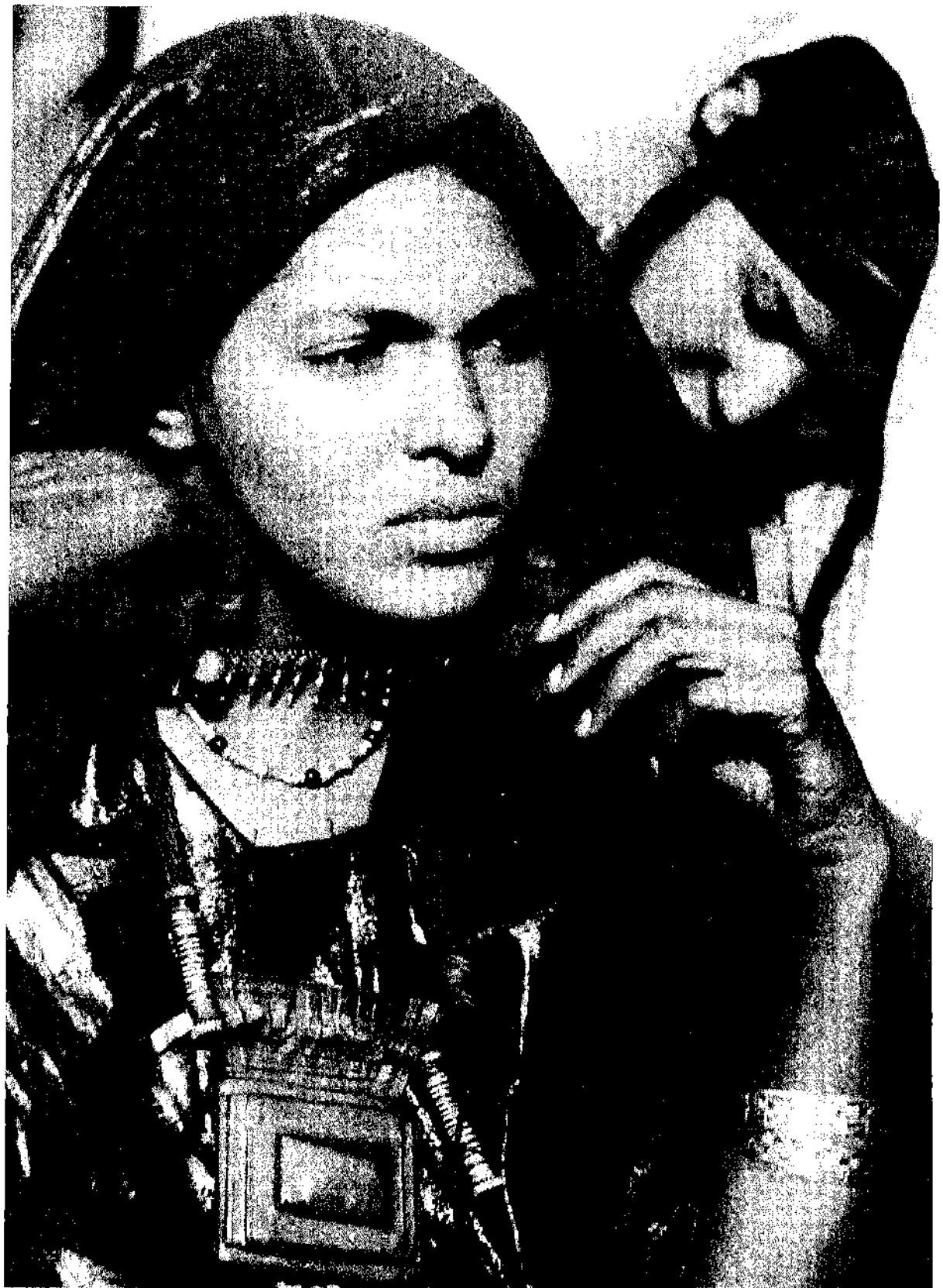
وجه من التوارق.



تارقى بكمال زينته يجلس بجانب  
أدوات الراحلة.



تارقية من غات بكمال زينتها.



تارقية بريتها البسيطة



فتيات توارق (أوراغن) وقد التحقن  
بالمدارس وهن باللباس العسكري في  
ثانوية غات.



امرأة تارقية تضع الكحول في عينيها  
(برود من الفضة).



تارقية تحصل إبنتها في طريقها الى  
عرس وقد زينت الطفلة بمنديل جيل  
على دأسها.



امرأة تارقية تتزين وقد ظهرت ضفائرها المحكمة  
الضفر وبطريقة خاصة.



عروس من التوارق بكامل زينتها.



تارقية بجانب خيمتها تدق الذرة استعداداً لطهي طعامها.



طفلة تارقية وقد ضفت شعرها  
بالطريقة التارقية المعيبة.



تارقية تحرك السدقيق والماء تسكبه  
على حجر عجمى ويصبح خبرًا. وقد  
جلس أمامها أطفالها بغير ملابس.



عازفة الأمزاج من توارق «المقار»



ضارب الطبل، والطبل رمز الزعامة عند التوارق.

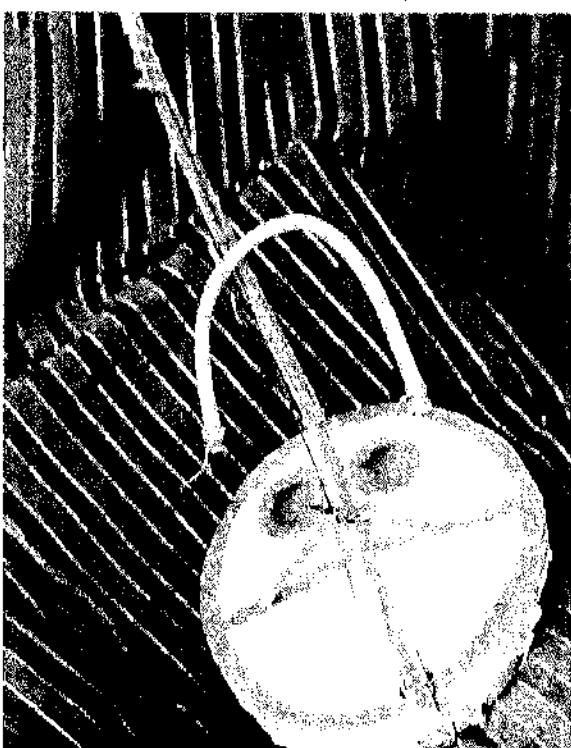


أحد الراقصين التوارق ويبن يديه قطع معدنية ينظم بها الأيقاع.

«الأمزاد، آلة طرب عند التوارق، ولعشقهم لها يقسمون

بها أحياناً في أيامهم».

رقصة السيف إحدى رقصات التوارق في الأفراح.





ضاربات الدفوف في أفراح التوارق.



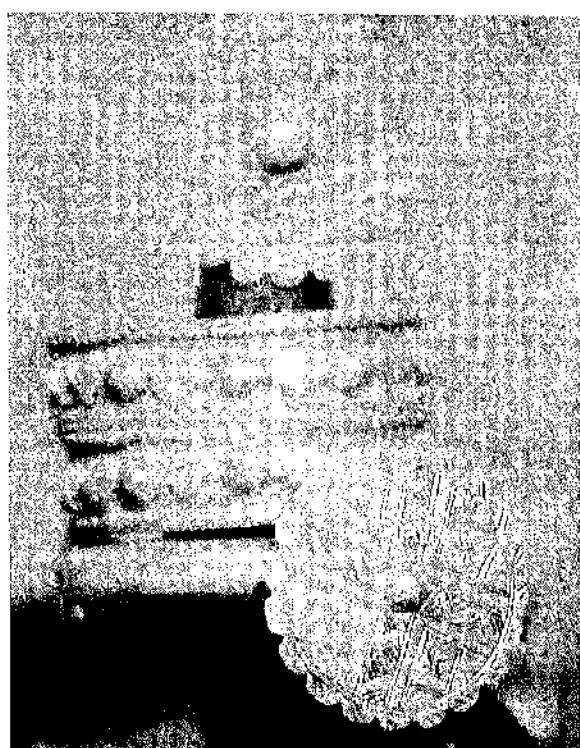
عازفة (الأمزاد) من منطقة «أوراغن»،  
«غات».



تارق يجهز جله للسفر.



خواتم من الفضة تلبسها نساء التوارق في أصابعهن  
وتسمى عند التوارق (تيضهوتى).



خواتم وسوار من الفضة حلية تلبسها النساء التوارق (غدامس).

جلس هذا التارقى بجانب الأثاث المعد لحمله على العمل.  
وتشاهد (غرانى) الجلد.



(آخر) من الفضة ويلاحظ أن أحدهما مفتوح ويظهر  
بداخله (الحجاب) وتعليق بخيوط مزينة بالمرجان.



## خاتمة

تناولت في هذا البحث خلال أحد عشر باباً التوارق من جميع جوانبهم، وطرق حياتهم، وسلوكهم الاجتماعي وتاريخهم، ومشاهيرهم، وتراثهم عبر التاريخ. وأخيراً تحدثت عن واقعهم المعاصر، وإمكانية مدي المساعدة إليهم في مختفهم الحالية، وظروفهم الصعبة.

وخرجت من هذا البحث بحقائق ثابتة لا تقبل الشك، توصلت إليها من خلال البحث والتنقيب والمشاهدة والرواية، وكان أهم هذه الحقائق:

- ١ - عروبة التوارق التي لا تقبل الجدل والنقاش، وانتهاءهم إلى الجزيرة العربية وانتهاءهم إلى أمة الفداد كما أثبتتها المصادر والمراجع واللقاءات التي تمت بيني وبين كبار السن منهم في صحرائهم الشاسعة. وكما وضحتها لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وحتى العابهم الشعبية.
- ٢ - إن الجزيرة العربية هي موطن التوارق الأصلي وأثنهم نزحوا إلى أفريقيا في هجرات بعضها قبل الإسلام وبعضها - اعتماداً على بعض الروايات - في صدر الإسلام، وبعضها تم حديثاً.
- ٣ - إن التوارق استقروا في ليبيا ومنها انتشروا جنوباً عبر الصحراء بحثاً عن الكلأ، وهرروا من الضغط الاستعماري على الشواطئ، ولنشر الإسلام في أدغال أفريقيا.
- ٤ - إن اللغة التارقية هي إحدى اللهجات العربية القديمة والتي لا تزال بقائها في حضرموت والمهرة بجنوب اليمن وغرب عُمان، وإن القرآن الكريم وحد لهجات العرب في لغة قريش.

- 5 - إن حروف (التفيناغ) هي نفسها الحروف الليبية القديمة (الفينيقية).
- 6 - إن دور التوارق في نشر الاسلام لا يُجهل سواء عندما انطلقوا ضمن جيوش موسى بن نصیر، وطارق بن زياد لفتح الاندلس. أو عندما أسّسوا دولة المرابطين (المثلثين) في المغرب والأندلس. أو عندما اندفعوا ينشرون الاسلام في افريقيا في دولة المرابطين الجنوبيّة. مهاججين مع إخوانهم العرب القادمين من جزيرتهم حديثاً.
- 7 - إن دولة المرابطين كانت إسلامية عربية ولم يفكّر أي من قادتها في غير ذلك.
- 8 - إن الامارات التي قامت في الصحراء الكبرى وكذلك السلطنتان كانت إمارات وسلطنتان عربية تمتزج فيها القبائل العربية الموجودة في الصحراء ومن ضمنها التوارق.
- 9 - إن الاستعمار الفرنسي حاول مسخ المنطقة وشوه تاريخها، وسلب الناس في الصحراء أفضل عاداتهم وتقاليدهم وقضى على أئمّة الاسلام وكبار المشاهير في الصحراء الكبرى.
- 10 - فرض الاستعمار الفرنسي على سكان المنطقة من عرب وتوارق عرب، الجهل ، والغفر والعيش الضنك ، وشردّهم في القفار والصحاري ، محاولاً إبادتهم كعنصر عربي في الصحراء .
- 11 - إن الجهاد الذي قام في الصحراء الكبرى ضد الاستعمار الفرنسي ساهم فيه جميع سكان الصحراء تحت قيادات ليبية وأموال ليبية وسلاح ليبي سواء أكان في تشاد أو النيجر أو شمال مالي وحتى جنوب الجزائر.
- 12 - إن الجماهيرية هي السنّد الوحيد الآن والملجأ الوحيد لسكان الصحراء الكبرى ونهاية التوارق في محنّتهم ومساعدتهم بالعمل والإقامة وحتمّهم من الموت جوعاً ومن التشرد في الصحراء. في الوقت الذي تمزقهم فيه الدول المجاورة وتصمت أمام موتهم البطيء بالجوع والجفاف والمرض.
- 13 - إن تاريخ المنطقة (الصحراء الكبرى) وشمال افريقيا مرتبط تمام الارتباط، ويعتبر حلقة واحدة من ضمن سلسلة التاريخ العربي الإسلامي.

14 - إن تاريخ المنطقة وخاصة الصحراء تعرض للتشويه من قبل المستعمرات وهو في حاجة لأقلام الشرفاء ليزكيوا الغبار عنه ويقدموه في صورته الحقيقة.

هذا وأنا إذ أقدم هذا البحث عن التوارق وهو على ما أظن - الأول من نوعه في العربية أتمنى أن أكون قد فتحت باب هذا الموضوع للباحث والكتاب والمؤرخين العرب والمسلمين ليقدموا دراسات أخرى جادة عن تاريخ الصحراء الكبرى وعن القبائل العربية التي تقوم بحرايتها منذ أقدم التاريخ.

وأطلب من الله العون والهدية.

الجماهيرية - طرابلس العرب / 1 من سبتمبر 1987

د. محمد سعيد القشاط



# المصادر والمراجع

## 1- المخطوطات

- 1 - مساهمة في دراسة تاريخ ومجتمع الطوارق شعب الصحراء الكبرى، تأليف محمد عبد الرحمن عبد اللطيف - مخطوط مكتبة المؤلف.
- 2 - أمراء دولة الملثمين: تأليف محمد عبد الرحمن عبد اللطيف - مخطوط مكتبة المؤلف.
- 3 - مقالات عن الطوارق: بحث مخطوط. تأليف محمد أحمد الشفيع - مكتبة المؤلف.
- 4 - ملخص عن تاريخ الصحراء: تأليف الخجي أمي - مخطوط مكتبة المؤلف.
- 5 - أزواباد: تأليف خي بابا شيخ - مخطوط مكتبة المؤلف.
- 6 - لمحنة عن ماضي أفريقيا التاريخي: تأليف أحد بابا دمه - مخطوط مكتب المؤلف.
- 7 - الطرائف والتلاش في أخبار الشيوخين الوالدة والوالد: تأليف الشيخ سيدي محمد بن شيخه سيدي المختار بن سيدي بابا أحمد بن سيدي أبو بكر الكنتي الوافي - مخطوط مكتبة محمد محمود ولد دادي. صورة بمكتبة المؤلف.
- 8 - دراسة عن التراث الشعبي عند الطوارق: تأليف همه وليلة - مخطوط مكتبة المؤلف.
- 9 - أزواباد: تأليف باشا شيخنا - مخطوط مكتبة المؤلف.
- 10 - دراسة عن الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي: تأليف محمد معلوم. دراسة لنيل الماجستير بجامعة الفاتح بلبيبا - مخطوط مكتبة المؤلف.
- 11 - ظاهرة الدولة: تأليف أحد بن سيدي سفير موريتانيا بلبيبا. بحث يتناول بلاد شنقيط وتركيبتها الاجتماعية. صورة مخطوط مكتبة المؤلف.
- 12 - الخطبة والزواج عند الطوارق: بحث يتناول عادات توarc شمال مالي كتبه عبد

الرحمن محمد قلة. عن رواية (وارتوردین محمد الشیخ) 61 سنه - مخطوط مكتبة المؤلف.

13 - كفاح اللادی آله بشیر: تفريغ شريط مقابلة مع اللادی أحد أبطال ثورة 1963 في كيدال (شمال مالي) عام 1981 - مخطوط مكتبة المؤلف.

14 - الحقائق الأزوادية (شمال مالي) : بحث كتبه موسى أحمد الأفوغاسي - مخطوط مكتبة المؤلف.

15 - لمحات عن أحداث حركة الاستقلال في مالي 1959 : بحث المرحوم خي باب شياخ - مخطوط مكتبة المؤلف.

16 - بحث موريتانيا للمرحوم خي بابا شياخ - مخطوط مكتبة المؤلف.

17 - قصيدة الشاعر محمد امبارك اللمنتوني. مخطوطة مكتبة المؤلف.

## 2 - المراجع العربية

- 1 - ابن عذارى المراكشى: *البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب* - دار الثقافة .  
بىروت 1980 .
- 2 - ابن خلkan: أبي عباس شمس الدين. «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان». دار  
صادر - بىروت 1977 .
- 3 - ابن خلدون عبد الرحمن: «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم  
والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» - مكتبة المدرسة ودار الكتاب  
اللبناني - بىروت - الطبعة الثالثة 1967 .
- 4 - ابن عهاد: أبي الفلاح عبد الحفيظ بن العهاد «شدرات الذهب في أخبار من ذهب»  
منشورات دار الآفاق الجديدة - بىروت .
- 5 - ابن علبون: أبي عبدالله محمد بن خليل «التنذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من  
الأخبار». عني بنشره الطاهر أحمد الزاوي. المطبعة السلفية .
- 6 - ابن الأثير: «الكامل في التاريخ» - دار الفكر - بىروت 1978 .
- 7 - ابن خرداذية. أبي عباس: «المسالك والممالك» مكتبة المثنى - بغداد .
- 8 - ابن بطوطة رحلة. تحقيق علي المتصر الكتاني. جزء أول وثان. مؤسسة بىروت -  
شارع سوريا .
- 9 - ابن منظور: لسان العرب - معجم لغوي - دار صادر - بىروت .
- 10 - دراسة عن الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي: تأليف محمد معلوم. دراسة لنيل  
الماجستير بجامعة الفاتح بليبيا - مخطوط مكتبة المؤلف .

- 11 - بللين بول: وغى روندرو (معلمات في الرقية التابعة للواد) «الألعاب الأطفال في الصحراء» بالفرنسية - ترجمه للعربية عبد المجيد شعبان - مخطوط مكتبة المؤلف.
- 12 - برولار: (نقيب احتياط في الجيش الفرنسي) (الموسيقى والرقص في غات) ترجمه للعربية عن الفرنسي عبد المجيد شعبان - مخطوط مكتبة المؤلف.
- 13 - اسماعيل محمد: الخوارج في المغرب الإسلامي - دار العودة - بيروت 1976 .
- 14 - التليسي خليفة محمد: «ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 ». دار الثقافة -  
بيروت 1974
- 15 - التيجاني : رحلة أبو محمد عبدالله بن محمد التيجاني - نشريات كتابة الدولة للمعارف  
التونسية. 1958 .
- 16 - حسين محمد كامل: «في أدب مصر الفاطمية» - دار الفكر العربي - مصر 1963 .
- 17 - جامي عبد القادر: من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى - ترجمة محمد الأسطي -  
دار المصратي للطباعة والنشر والتوزيع - ليبيا.
- 18 - خطاب محمود شيت: قادة فتح المغرب العربي - دار الفتح - بيروت 1966 .
- 19 - خطاب محمود شيت: عقبة بن نافع الفهري - دار الفكر - بيروت.
- 20 - دافدسن بادل: أفريقيا تحت أصواته جديدة - ترجمة جمال - م - أحمد - دار الثقافة  
للطباعة والنشر والتوزيع .
- 21 - راي ادوارد: المغرب العربي - ترجمة مصطفى محمد جودة - دار مكتبة الفكر -  
طرابلس 1968 .
- 22 - رايت لويس وجوليا ماكاليود - الحملات الأمريكية على شمال أفريقيا - تعریب روحي  
بعليكي - مكتبة الفرجاني - طرابلس - ليبيا.
- 23 - رايت جون: تاريخ ليبيا - تعریب عبد الحفيظ الميار، وأحمد اليازوري - الناشر  
الفرجاني - طرابلس - ليبيا 1972 .

- 24 - روش جان: صحراء وطوارق - ترجمه من الفرنسيه للعربية مجھول - مخطوط مكتبة المؤلف.
- 25 - الزاوي الطاهر أحمد: تاريخ الفتح العربي في ليبيا - دار التراث - ليبيا - الطبعة الثالثة 1972 .
- 26 - الزبيدي: محمد مرتضى - تاج العروس - معجم لغوي - دار صادر - بيروت. الطبعة الأولى - المطبعة الخيرية، المنشأة بجامعة مصر (المحمية سنة 1306 هـ).
- 27 - الزركلي: خير الدين، الأعلام - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان. الطبعة الخامسة سنة 1980 .
- 28 - السعدي: الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي - «تاج السودان» . وقف على طبعه هوداس مدرس اللغة العربية بمحروسة باريز وشاركه في ذلك تلميذه السيد بنوه. طبع بطبعه بردین انجي 1898 .
- 29 - سعدي عثمان: «عروبة الجزائر عبر التاريخ» - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1982 .
- 30 - ساليفو أندرؤ: «كاوصن أو الثورة السنوسية» - نشر المركز النيجيري للبحوث في العلوم الإنسانية - نيمامي 1973 - ترجمة محمد عبد الرحمن عبد اللطيف. مخطوط مكتبة المؤلف.
- 31 - شاكر محمد ونافذ أيوب: بيلتو من سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في أفريقيا مالي - المكتب الإسلامي .
- 32 - الشستريني: أبي الحسن علي بن بسام «الذخيرة في محسن أهل الجزيرة» الدار العربية للكتاب - ليبيا، تونس 1979 .
- 33 - الشنقطي: أحمد بن محمد الأمين. الوسيط في تراجم أدباء شنقط - مكتبة الوحدة العربية - الدار البيضاء 1958 .
- 34 - علي جواد: «تاريخ العرب قبل الإسلام» - دار العلم للملايين - مكتبة النهضة - بغداد 1976 .

- 35 - عنان محمد عبدالله : «عصر المرابطين والموحدين» - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الأولى - 1383 هـ 1964 م.
- 36 - العقاد عباس محمود : «فاطمة الزهراء والفاتحيمون» - دار الهلال .
- 37 - غير ستر جورج : «الصحراء الكبرى» - تعریب خیری حماد - المکتب التجاری - بیروت .
- 38 - الفتای مراجع عقبیة : «سقوط دولة الموحدین» منشورات جامعة بنغازی 1975 .
- 39 - القشاط محمد سعید «معارك الدفاع عن الجبل الغربي» - المنشأة العامة للنشر والتوزیع والاعلان - طرابلس - الجماهیرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية - الطبعة الأولى - 1983 .
- 40 - القشاط محمد سعید «خليفة بن عسکر» (الثورة والاستسلام) - دار المسيرة - بیروت - الطبعة الأولى - 1978
- 41 - القیروانی الرقيق : «تاریخ افريقيا والمغرب» الناشر رقیق السقطی - تونس .
- 42 - کحالة عمر رضا : «معجم قبائل العرب القدیمة والحداثة». منشورات دار مکتبة الأندلس - بنغازی - لیبیا .
- 43 - کعت : القاضی الفع محمد کعت «تاریخ الفتاش» - وقف على طبعه السيد هوداس مدرس اللغة العربية - بمحروسة باریز وشارکه في ذلك السيد دلافوس - مدرس اللغات السودانيات .
- 44 - لقبال موسى : «الحسبة المذهبیة في بلاد المغرب العربي» - الشركة الوطنية للنشر والتوزیع - الجزائر - 1971 .
- 45 - العوامر إبراهیم الساسی : «الصروف في تاريخ الصحراء وسوف» الدار التونسية للنشر 1977 .
- 46 - المھلی محمد : «ابن بادیس وعروبة الجزائر» - دار الشركة الوطنية للنشر والتوزیع والاعلان - الجزائر .

- 47 - الانصاري أحمـد بـك النـائب: «المنـهل العـذب في تـارـيخ طـرابـلس الـغـرب» مـكتـبة الفـرجـانـي - طـرابـلس - لـيـبيـا.
- 48 - البـعلـبـكـي منـير: «مـوسـوعـة المـورـد» - دـارـالـعـلـم لـلـمـلـاـيـن - الطـبـعـة الـأـولـى - 1980 .
- 49 - التـوـيـري شـهـاب الدـين: «نـهاـية الـأـرـب» - وزـارـة الثقـافـة والـإـرشـاد الـقـومـي - المؤـسـسـة الـمـصـرـيـة الـعـامـة لـلـتـأـلـيف وـالـتـرـجـمـة وـالـطـبـاعـة وـالـنـشـر.
- 50 - المسـعـودـي: أبيـالـحـسـن عـلـيـبـنـالـحـسـنـبـنـعـلـيـ«مـرـوجـالـذـهـب» - دـارـالـأـنـدـلـس - بـيـروـت.
- 51 - الـمـبرـدـ: أبيـالـعـبـاسـمـحـمـدـبـنـيـزـيدـ«الـكـامـلـفـيـالـلـغـةـوـالـأـدـبـ» - مـكتـبةـالـعـارـفـ - بـيـروـت.
- 52 - الطـبـرـيـ: أبيـجـعـفـرـمـحـمـدـبـنـجـرـيرـالـطـبـرـيـ«تـارـيخـالـمـلـوـكـوـالـأـمـمـ» - مـكتـبةـخـيـاطـ - شـارـعـبـلـسـ - بـيـروـت - لـبـانـ.
- 53 - الـبـرـغـوـثـيـعـبـدـالـلـطـيـفـمـحـمـودـ: «الـتـارـيخـالـلـيـبيـالـقـدـيمـ» - منـشـورـاتـالـجـامـعـةـالـلـيـبيـةـ - دـارـصـادـرـ - بـيـروـت - 1971 .
- 54 - لـوـتـهـنـرـ: «الـلـوحـاتـتـاـسـيـلـ» - تـعـرـيـفـأـبـيـزـكـيـحـسـنـ - مـكتـبةـالـفـرجـانـيـ طـرابـلسـ - لـيـبيـاـ.
- 55 - ليـونـ جـونـ فـرـانـسـيسـ: «منـ طـرابـلسـ إـلـىـ فـزانـ» - مـذـكـراتـ 1818 - تـعـرـيـفـ مـصـطـفىـ جـوـدةـ - الدـارـالـعـربـيـةـ لـلـكـتـابـ - لـيـبيـاـ، تـونـسـ.
- 56 - مـاتـيـ بـولـ: كـنـتـهـ الشـرـقـيـونـ «مـنـ عـرـبـ مـاـيـ وـالـنـيـجـرـ» - تـرـجـمـةـ مـحـمـدـمـحـمـودـ وـلـدـ وـدـادـيـ - مـطـبـعـةـ زـيدـ بـنـ ثـابـتـ - دـمـشـقـ.
- 57 - مـارـتـيـ بـولـ: «الـبـرـابـيـشـ» (بنـوـ حـسـانـ) - تـرـجـمـةـ مـحـمـدـمـحـمـودـ وـلـدـ وـدـادـيـ - مـطـبـعـةـ زـيدـ بـنـ ثـابـتـ - دـمـشـقـ.
- 58 - مـفـتـاحـ صـالـحـ مـصـطـفىـ: «لـيـبيـاـ مـنـذـ الـفـتـحـ الـعـرـبـيـ» - الشـرـكـةـ الـعـامـةـ لـلـنـشـرـ وـالـتـوزـيعـ وـالـاعـلـانـ 1978 .

- 59 - ماتسان هانريش فون : «ثلاث سنوات في شمال غرب أفريقيا» - ترجمة أبو العيد دودو - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1980 .
- 60 - معمر علي يحيى : «الاباضية في موكب التاريخ» - مكتبة وهبة.
- 61 - مقلد محمد يوسف «شعراء موريتانيا» - مكتبة الوحدة العربية - الدار البيضاء .
- 62 - مقلد محمد يوسف «موريانيا الحديثة» - دار الكتاب اللبناني - بيروت .
- 63 - منصور عبد الوهاب «قبائل المغرب» - المطبعة الملكية - الرباط - 1968
- 64 - ناجي محمود : «تاريخ طرابلس الغرب» - ترجمة عبد السلام أدهم و محمد الأسطي - منشورات الجامعة الليبية - كلية الآداب .
- 65 - هورغان فيدريلك : «رحلتان عبر ليبيا» - دار الفرجاني - ليبيا .
- 66 - هورغان فيدريلك : «الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان» - تعریف مصطفى محمد جودة - مكتبة الفرجاني - طرابلس - ليبيا - 1968
- 67 - ولد أباه محمد المختار : «دراسات في تاريخ التشريع الإسلامي في موريتانيا» - الجامعة التونسية 1981 .
- 68 - وجدي محمد فريد : «دائرة معارف القرن العشرين» - دار الفكر 1979
- 69 - ويللارد جيمس : «الصحراء الكبرى» - مكتبة الفرجاني - طرابلس - ليبيا .
- 70 - الوزان الحسن بن محمد (ليون الأفريقي) : «وصف أفريقيا» - ترجمه عن الفرنسية محمد صبحي و محمد الأخضر - دار الغرب الإسلامي . ص 2-5787-113 - بيروت .
- 71 - يوشع بشير قاسم : «غدامس ملامح وصور» - دار لبنان للنشر والتوزيع - 1973 .



### 3 - المراجع الأجنبية وترجمتها

- 1 - الجغرافيا العامة / الجزء الحادي عشر / أفريقيا الشمالية والغربية، القسم الثاني / الصحرا و أفريقيا الغربية. مكتبة أرمان كولان (1939).
1. GEOGRAPHIE UNIVERSELLE TOME X1 - AFRIQUE SEPTENTRIONALE ED OCCIDENTALE. - Deuxieme Partie.  
Sahara — Afrique Occidentale Librairie Armand Colin (1939).
- 2 - بحوث صحراوية / المركز الوطني للبحث العلمي، منشورات المركز الوطني للبحث العلمي / 1979 باريس / فرنسا.
2. RECHERCHES SAHARIENNES CENTRE NATIONAL DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE. - Editions Du Centre National de la Recherche Scientifique Paris (1979) France.
- 3 - أساطير طارقية / تأليف السيدة جان روني بونتي، المطبعة اللاتينية الحديثة . (1946).
3. LEGENDES TOUAREG, Jeane Rene Pottier, (1949). Nouvelles Edition - Latinas.
- 4 - من طرابلس إلى تومبوكتو / الرحلة الأخيرة د. لانج 1825-1826 . تأليف: تيدور مونو. الجمعية الفرنسية لتاريخ ما وراء البحار / باريس (1977) .
4. DE TRIPOLI A TOUMBOUCTOU LE DERNIER VOYAGE DE Laing, 1825-1826. Par Theodore Monod. - Societe Française d'Histoire d'Outre / Imer / Paris (1977).

- 5 - تقاليد طوارق النيجر / تأليف: محمد أغالي زكارا وجاني دوريين ، مطبعة هامتان . (1979)
5. TRADITIONS TOUAREGUES NIGIRIENNES PAR: *Mohamed Aghali Zakara et Jeanine Drouin*. - Edition l'Harmatan (1979).
- 6 - أجمل صحراء العالم / تأليف فيليب ديول ، مطبعة ألبان ميشال (1955) .
6. LE PLUS BEAU DESERT DU MONDE PAR: *Philippe Diole*. - Editions Albin Michel (1955).
- 7 - ملحمة التينيري / تأليف هنري لوت. مطبعة جاليمار (1961) باريس .
7. L'EPOPEE DU TENERÉ, PAR: *Henri Lhote*. - Librairie Gallimard (1961) Paris.
- 8 - الرؤوس المتهبة (الطريق الطويلة) قصة . مطبعة ألبان ميشال (1959) باريس .
8. LES TETES BRULÉES, (LA LONGUE PISTE) ROMAN PAR: *Jean - Louis Cotte*. Editions Albin Michel (1959) Paris.
- 9 - على مشارف الخوف / تأليف جوفري مورهاوس . ترجمه عن الإنجليزية روني بينزا . مطبعة أرتاود (1975) باريس .
9. JUSQU'AU BOUT DE LA PEUR, PAR: *Geoffrey Moorhouse*. Traduit de l'Anglais. Par *Rene Benezra*. - Editions Arthaud (1975) Paris.
- 10 - رجال جبال الهوخار / تأليف أوديت برنيزات . مطبعة جلينا (1985) .
10. HOMMES DES MONTAGNES DU HOGGAR PAR: *Odette Bernezet Glenat* (1985).
- 11 - الطوارق - دعابة ومحاربي الرمال . تأليف: إدموند برنس . مطبعة: برج - لوفرو - باريس / فرنسا (1984) .
11. LES TOUAREGS. PASTEURS ET GUERRIERS DES SABLES, PAR: *Edmond Bernus*. - Imp: Berger - Le Vrault, Paris / France (1984).

12 - الطوارق / بدو الصحراء. تأليف: فريديريكا سيسكو. منشورات: موندو / لوزان، سويسرا (1971).

12. TOUAREG, NOMADES DU SAHARA.  
PAR: *Frederica Cesco*. - Editions Mondo: Lausane / Suisse (1971).

13 - صحراء - تأليف: فرانسوا فرنبيو. بوان كاردينو / روبر لاфон / باريس (1977).

13. SAHARA, PAR: *François Vergniaud*.  
Ed. *Points Cardinaux / Robert Lafont / Paris* (1977).

14 - 50 سنة من الصحراء. تأليف: فريسيون روش - وبيار تايراز. مطبعة: أرتاود / باريس - فرنسا (1976).

14. SO ANS DE SAHARA.  
PAR: *Frison - Roche et Pierre Tarraz*. - Editions: Arthaud - Paris (1976).

15 - إمبراطورية قاو - تاريخ - عادات - وسحر الصنفai. تأليف: الدكتور جان بولنو وبوبوها. مكتبة أمريكا والشرق، أدريان - ميزان نوف - باريس / فرنسا (1957).

15. EMPIRE DE GAO. HISTOIRE - COTUMES ET MAGIE DE SONRAI.  
PAR: DR. *Jean Boulnois et Bobo Ham*. - Librairie d'Amerique et d'Orient. - Adrian - Maisonneuve, Paris (1957).



## الفهرس

5	الاهداء .....
7	مدخل .....
	<b>الباب الأول</b>
15	موطنهم ... نسبهم ... لغتهم ... كتابتهم .....
17	موطنهم .....
20	نسبهم .....
29	لغتهم .....
33	كتابتهم .....
	<b>الباب الثاني</b>
37	النظام السياسي عند التوارق .....
49	نظام الحكم في السلطانات .....
57	العلاقات السياسية بين السلطانات التارقية .....
	<b>الباب الثالث</b>
61	الحياة الاجتماعية في المجتمع التارقى .....
65	الطبقات الاجتماعية عند التوارق .....
	<b>الباب الرابع</b>
73	الحياة الاقتصادية عند التوارق وسيطرتهم على طرق القوافل .....
81	مساكن التوارق وطعامهم .....
85	أئذن التوارق .....
	<b>الباب الخامس</b>
87	عادات التوارق وتقاليدهم .....

	الباب السادس
107	أ - الطيب الشعبي عند التوارق .....
115	ب - المقال والتغطية عند التوارق .....
	الباب السابع
125	أ - الأدب والرقص والموسيقى عند التوارق .....
145	الغناء والموسيقى عند التوارق .....
151	ب - العابهم الشعبية .....
	الباب الثامن
159	دور التوارق في التاريخ الإسلامي .....
163	دولة المرابطين «المثمون» .....
	الباب التاسع
179	التوارق ودورهم في صد الاستعمار الحديث .....
185	التوارق والاستعمار الفرنسي .....
191	انتفاضات التوارق ضد الفرنسيين .....
193	ثورة فهرون بن الأنصار 1916
195	الملييون وإعلان الجهاد المقدس .....
203	حصار أقدز 13 ديسمبر 1916 - 3 مارس 1917
	الباب العاشر
213	مشاهير التوارق في التاريخ .....
217	أبراء دولة المثمرين .....
227	أشهر القادة العسكريين في دولة المرابطين .....
233	أبراء دولة بنى غانية الفرع الثاني لدولة المرابطين .....
235	دولة بنى غانية .....
239	سلطانهم ومشاهيرهم المشهورون في العصر الحديث .....
	الباب الحادى عشر
253	الثورات والاستقلالات الحديثة .....
263	الحرب الجزائرية - المغربية وأثرها على ثورة كيدال .....
269	عرض صور عن التوارق وعاداتهم .....
291	خاتمة .....
295	المصادر والمراجع .....



مطبع اديتار

احدى مؤسسات الشركة العربية الليبية للاستشارات الخارجية  
كاليري - ايطاليا - هاتف : 2003 / 070 - مبرق : 791055